

المسلمون وجهاء أرض الروم

في أرمينية والثغور الجذرية والشامية
خلال القرن الرابع الهجري

دكتور صابر محمد يارنج
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
بجامعة القاهرة - الخارطوم

١٩٨٤/١٤٠٤ م

مكتبة السلام العالمية
٣٢ ش. الفلكي ت ٣١٠٧٣



المسألة وجها لارضها ووجهها

في أرمينية والثغور الجذرية والشامية
خلال القرن الرابع الهجري

الحقبة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم المكتبة: ٧٦٤١
رقم التسجيل: ٧٦٤١

دكتور ضياء محمد يارنج
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
جامعة القاهرة - المحرم

١٩٨٤/٨١٤٠٤ م

مكتبة السلام العالمية

٣٢ من الطلوع ت ٣١٠٧٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المقدمة ١

التمهيد : الحدود العربية - البيزنطية ٩

الفصل الاول :

- الأوضاع السياسية في أرمينية بين القرنين الثالث والرابع الهجريين ٤٥
- (أ) بنو السجاح في أرمينية واذربيجان (٣٦٦-٣١٨هـ / ٨٧٩ - ٩٣٥ م) ٤٦
- (ب) الإمارات العربية الأخرى في أرمينية ٤٩
- (ج) الممالك الأرمينية في مستهل القرن الرابع الهجري ٥٧

الفصل الثاني :

- الحمديون وجهادهم ضد الروم بقيادة سيف الدولة « الفترة السورية للجزيرة (المزمويونية) » ٣١٩ - ٣٣٣ / ٩٣١ - ٩٤٥ م) ٧٧
- (أ) مرحلة المواجهة الأولى في الثغور الجزيرية وأرمينية ٣١٩ - ٣٣٣ م) ٧٨
- (ب) مرحلة المواجهة الثانية في الثغور الجزيرية وأرمينية ٣٣٤ - ٣٣٣ م) ٨٧

الفصل الثالث :

- سيف الدولة وجهاده ضد الروم في الثغور الإسلامية .
 ١٢٧ (٣٣٣ - ٨٣٥٦ / ٩٤٤ - ٩٦٧ م)
 ١٢٨ المرحلة الأولى : حماية الثغور في عهد سيف الدولة (٣٣٣ - ٨٣٤٣ م)
 المرحلة الثانية : الانقضاض البيزنطي . و بداية افول نجم
 ١٣٨ سيف الدولة (٨٣٤٣ - ٩٥٤ / ٨٣٤٣ - ٩٦٠ م)
 المرحلة الثالثة : محاولات نقفور . فوكاس . انهيار الوجود
 الاسلامي من مناطق الثغور الشامية (٣٤٩ -
 ١٤٨ ٨٣٥٦ / ٩٦٠ - ٩٦٧ م)

الفصل الرابع :

- جهاد المسلمين ضد الروم خلال النصف الثاني من
 القرن الرابع هـ (٣٥٩ - ٨٣٩٤ / ٩٦٦ - ١٠٠٣ م) ١٩٧
 ٧٥ (أ) خلت سيف الدولة وجهودهم في صد الروم .. ١٩٩
 (ب) موقف الخلافة العباسية من الأحداث .. ٢١٣
 الملحق : ٢٢٩
 ١ - ثبت بالخلفاء العباسيين في القرنين الثالث والرابع الهجري ٢٣٠
 ٢ - ثبت بامراء الحمدانيين في الموصل و حلب ٢٣٢
 ٣ - فتح بلاطرة البيزنطيين في القرنين التاسع والعاشر ٢٣٣
 الميلاديين
 ٤ - الضرائط :

- (١) الجزيرة وثغورها وأرمنيّة ٢٣٤

(ز)

الموضوع	الصفحة
(ب) البنود (الثيمات) البيزنطية في آسيا الصغرى من القرن السابع حتى القرن التاسع الميلادى والثغور والمواصم الاسلامية	٢٣٥
(ج) الشام وثغورها البرية والبحرية	٢٣٦
(د) البنود البيزنطية في أواسط القرن العاشر الميلادى تقريباً	٢٣٧
(هـ) سورية البيزنطية	٢٣٨
أولا : المصادر والمراجع العربية	٢٣٩
ثانيا : المراجع الأجنبية	٢٥١

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، وكل من تبعه بإحسان إلى يوم الدين • • • وبعد :

المعروف أنه منذ بدأ نور الاسلام يسطع على العالمين خارج الجزيرة العربية — بعد تأسيس النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، دولته في يثرب ، ودعوته الملوك والباطرة والأمراء المعاصرين له إلى الاسلام — والحرب قائمة والصراع مستمر ضد الممالك الاسلامي من جانب الروم • فتارة يشتد أواره وأخرى تهدأ حدته ، إلى حالة أشبه ما تكون بالهدنة المؤقتة ، التي تكون غالباً لانشغال الروم بمشاكل داخلية أو خارجية على الجبهات البيزنطية الأخرى سواء في الشمال أو الغرب •

وعلى هذا نستطيع القول أن موقف الروم من الممالك الاسلامي ودولته وأمته تأرجح صعوداً بين الحرب والسلام ، وبين الهدوء والمهادنة • وذلك وفقاً لمقتضيات الظروف والأحوال في العالمين الاسلامي والبيزنطي •

وابتداءً من منتصف القرن الثالث الهجري ، اتخذ البيزنطيون من الحالة السيئة التي وصلت إليها الخلافة العباسية — بسبب استيلاء الاتراك ، والبوليين بعدهم ، بالسلطة دون للخلفاء — فرصة سانحة للاغارة على بلاد هذه الدولة وتفوقها المجاورة لوجود يولتهم • فغزوا ميناء دمياط سنة ٢٣٨هـ (في عهد ولاية عتجة بن اسحاق الضبي) (٢٣٨ — ٢٤٢هـ) ، كما أغاروا على عين زربة — على مقربة من المصيصة سنة ٢٤١هـ ، وأمبروا من كان فيها • ثم تبوطل الأسرى بين

المسلمين والروم في نفس السنة ، وذلك في عهد ميخائيل الثالث (٨٢١ - ٨٢٨ م / ٢٢٨ - ٨٢٣ هـ) ، وكان عدد الأسرى المسلمين عشرين ألفا ، تعرضوا لصنوف العذاب والهوان ، حتى اضطّر معظمهم للتصنّع ، وقتل من أبى منهم القنصر ، بيد ثيودور أمّ الإمبراطور ميخائيل الثالث . وكان عدد من قتل نحو اثني عشر ألفا - ومن دخل في النصرانية حول سبعة آلاف (١) .

ثم أغار الروم على شمال العراق حتى بلغوا آمد وأسرّوا حول عشرة آلاف مسلم . لكن المتوكل العباسي ثار منهم فاستولت قواته على بعض بلادهم جنوبى آسيا الصغرى سنة ٨٢٤ هـ . وفي سنة ٨٢٤ هـ أسر المسلمون أحد بطارقة وقادة الروم ، الذى أسره القائد المسلم على بن يحيى الأرمنى ، كما استولوا على مدينة لؤلؤة . وقد عرض ملك الروم لفدائه أن يبدل مكانه ألف رجل من المسلمين الأسرى لديه (٢) . ولما زاد تقلص نفوذ الخلافة العباسية في عهد المعتمد العباسي (٢٥٩ - ٨٢٧ هـ) إلى حدود الجزيرة والعراق ، اشتدّ تجرؤ الروم على بلاد المسلمين وأرواحهم ، فتمكنوا في عهد إمبراطورهم باسيل الأول (٧٦٧ - ٨٢٦ هـ / ٢٥٣ - ٨٢٧ هـ) من الانتصار على بعض أمراء المسلمين مستغلا ضعف الخلافة العباسية ، واستبداد القواد بالخلفاء ، وتورّط الجند عليهم (٣) .

كما أتاح اشتغال العباسيين ، بمحاربة قرامطة زكروية في شمال العراق وبادية الشام وبعض المدن الشامية ، الفرصة للروم ، فأغاروا سنة ٨٢٩ هـ على الثغور الشامية في مائة ألف جندي ، وعاثوا في الكثير من المدن مثل الحدث ، فخرج إليهم المسلمون من طرموس ، وهتخوا

(١). الطبري : ج ١١ ص ٥١ - ٥٢ .

(٢). الطبري : ج ١١ ص ٥٥ - ٥٦ .

(٣). الطبري : نفسه ج ١١ ص ٦٠ .

(٤). لعلمن إبراهيم : الإسلام السيلبي ٢/٣٣٣ .

أنطاكية — شبيبة القسطنطينية على حد قول ابن الأثير^(١) — وقتلوا منهم خمسة آلاف وأسروا مثلهم ، واستغفروا أسارى المسلمين فيها ، وأخذوا نحو ستين مركبا ، وغنموا الكثير من الأموال والمقاتع والسبى • وكانت مغانم المسلمين وفيرة حتى بلغ نصيب الجندي المسلم ألف دينار • وقد بلغ المسلمون قونية (قونية) سنة ٣٩٤ هـ ، حتى اضطر الأمبراطور البيزنطى الى طلب الصلح والمهادنة ، وتبادل الأسرى بين الفريقين^(٢) •

وفى مستهل القرن الرابع الهجرى ، استغل الروم فرصة ثورة الحسين بن حمدان على بنى يوية ، فأغاروا على مناطق الثغور الجزرية • وقصدوا حصن منصور سنة ٣٠٣ هـ وسبوا من كان فيه ، وأوقعوا بجند المسلمين فى طرسوس ، وعاثوا بهرعى فسادا^(٣) • فسار القائد العباسى مؤنس الخادم فى السنة التالية الى ملطية ، حيث فتح كثيرا من حصون الروم • وقد كان من أثر هذا النصر المؤزر الذى أحرزه مؤنس أن خلف عليه الخليفة المقتدر بالله لقب المظفر • واضطر الروم الى طلب المهادنة من المسلمين سنة ٣٠٥ هـ^(٤) •

ولما زاد ضعف الدولة العباسية فى عهد المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٣٠ هـ) وعجزت عن امداد الثغور وتدعيمها بالرجال والعتاد ، أرسل الأمبراطور قسطنطين السابع بورغيروجنتس (٩١١ — ٩٥٩ م / ٢٩٩ — ٣٤٨ هـ) ، الى أهل الثغور الاسلامية يطلب منهم أداء الفراج اليه ، كما دخل الروم ملطية بعد أن هجرها أهلها واستغاثوا بالخليفة سنة ٣١٣ هـ^(٥) •

(١) ابن الأثير : الكليل ج ٧ ص ١٩٠ •

(٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ١٩٧/٧ •

(٣) ابن الأثير : المصدر نفسه ٢٢/٨ •

(٤) ابن الأثير : الكليل ج ٨ ص ٢٧ •

(٥) ابن سكويه : تجارب ١٤٦/١ وحسن ابراهيم : الاسلام

السياسى ٢٢٥/٣ •

وهذا الكتاب الذى أقدمه بين يدى القارىء الكريم يتناول بالدراسة فترة هامة من فترات المواجهة بين المسلمين والروم ، ونعنى بها القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) • ووجه الأهمية فيها يكمن فى بروز قوى إسلامية نشطة حملت عن الخلافة العباسية — رغم خلافها معها مذهبيا — عبء مواجهة الهجمات البيزنطية المتلاحقة ، على أراضى وشعور العالم الإسلامى المتلخمة للحدود البيزنطية • ونعنى من هذه القوى بالذات دولة الحمدانيين فى الموصل و حلب ، والاششيدين فى مصر وجنوب الشام ، ثم الفاطميين من بعدهم •

والحق أن منطقة الثغور الإسلامية — البيزنطية ، شهدت معارك طاحنة ، خاضها الطرفان دفاعا عن مصالحه • بحيث يمكن القول أنه لا يوجد منطقة ثغرية ، أو مناطق حدود ، شهدت مثل ما شهدته منطقة الثغور الإسلامية البيزنطية على مدار التاريخ ، وبصفة حادة وقوية فى القرن الرابع الهجرى • ولعل هذا ما دفعنى لتخصيص الدراسة وحصرها فى القرن الرابع الهجرى • لأننى اعتبرها — والى حد ما — إحدى حلقات الصروب الصليبية الموجهة ضد عالم الإسلام •

وقد تناولت هذه الدراسة من خلال تمهيد وأربعة فصول ، دعمتها بالخرائط •

تحدثت فى التمهيد عن الحدود العربية البيزنطية ، ذاكرة أهمها • ثم تكلمت فى الفصل الأول عن الأوضاع السياسية فى أرمينية بين القرنين الثالث والرابع الهجريين • وذلك لأن بيزنطة حاولت التصدى للوجود الإسلامى هناك ، بل حاولت تصفية الحساب مع المسلمين على أرض أرمينية باعتبارها جبهة أمامية ، وهو ما لم يتحقق لها ، حيث باءت محاولاتها جميعا بالفشل • وقد تحدثت فى هذا الفصل عن بنى الساج فى أرمينية وأذربيجان باعتبار أنهم كانوا القوة الرئيسية المؤثرة سياسيا هناك وقتئذ (٢٦٦ — ٨٣١٨/٨٧٩ — ٩٣٠ م) •

ثم تكلمت عن الامارات العربية في ارمنية وعلاقتها بالامران الأرمن، ودورهم في مواجهة أو تأييد التحركات البيزنطية ضد الوجود الاسلامي على أرض ارمنية • وتكلمت عن الممالك الأرمنية في مستهل القرن الرابع الهجري وأوضحت دورها في مواجهة محاولات التدخل البيزنطية ضد المسلمين ، تحت دعوى حماية مصالح الشعب الارمني •

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الحمدانيين وجهادهم ضد الروم في الثغور الجزرية والسورية بين سنتي ٣١٩ و ٨٣٣/٩٣١ - ٩٤٥م، وهي الفترة التي يسميها المؤرخون الأجانب الفترة « الميزوبوتامية » ، بسبب دوران رعي الصراع أوانها على أرض إقليم الجزيرة (مابين النهرين) • وقد قسمت حديثي في هذا الفصل إلى قسمين :

أولا : مرحلة المواجهة الأولى في الثغور الجزرية وأرمينية (٣١٩ - ٣٢٣ هـ) •

ثانيا : مرحلة المواجهة الثانية في الثغور الجزرية وأرمينية بين سنتي ٣٢٤ و ٣٣٣ هـ وهي ما تسمى بفترة ما قبل سيف الدولة •

ثم تناولت في الفصل الثالث مرحلة الصراع البيزنطي ضد العالم الاسلامي من ٣٣٣ هـ حتى ٣٥٦ هـ (٩٤٤ - ٩٦٧ م) وجعلت عنوان الفصل هو : « سيف الدولة وجهاده ضد الروم في الثغور الاسلامية » • وقد سار الصراع البيزنطي ضد المسلمين آنذاك على ثلاث مراحل : المرحلة الأولى : اتسمت بمحاولات سيف الدولة حماية الثغور الاسلامية (٣٣٣ - ٣٤٣ هـ) •

المرحلة الثانية : الانقضاء البيزنطي على مناطق الثغور ، ويدلية أقبول نجم سيف الدولة وهي تشمل الفترة من ٣٤٣ هـ حتى ٣٤٩ هـ / ٩٥٤ - ٩٦٠ هـ •

والمرحلة الثالثة : محاولات الروم انهاء الوجود الاسلامي كلية

من مناطق الثغور الشامية ، وهي تشمل الفترة بين سنتي ٨٣٤٩ و ٨٣٥٦ م (٩٦٥ — ٩٦٧ م) ، أى حتى وفاة سيف الدولة الحمداني بطل الجهاد الاسلامي ضد الروم في مناطق الثغور .

بعد ذلك تناولت بالحديث في الفصل الرابع الفترة التي جاءت بعد خلو المسرح العسكري والسياسي في بلاد الشام من شخصية سيف الدولة الحمداني وجعلت عنوانها : « جهاد المسلمين ضد الروم في النصف الثاني من القرن الرابع » فيما بين سنة ٣٥٦ هـ و ٨٣٩٤ / ٩٦٦ — ١٠٠٣ م أى حتى سقوط دولة الحمدانيين في بلاد الشام .

وفي هذا الفصل تحدثت عن خلفاء سيف الدولة وموقفهم من الروم . كما أوضحت موقف الخلافة العباسية والقوى الاسلامية الاخرى من الاحداث الدائرة ، على مسرح المواجهة — بين المسلمين والروم — في بلاد الشام . ونتائج هذا كله على العالم الاسلامي عامة ، موضحا العوامل التي ساعدت على تمكن الروم من رقاب المسلمين آنذاك .

ثم ختمت الكتاب بخلاصة استنتاجية لما سبق دراسته من تطورات واحداث بين المسلمين والروم .

وقد زودت الكتاب بثبوت للخلفاء العباسيين ، وآخر لأمراء الحمدانيين في الوصل وحلب ، وثالث للاباطرة البيزنطيين ، وذلك ليسهل على القارئ متابعة وربط الأحداث .

كما وضعت فيه خرائط توضح أماكن الثغور الاسلامية في الجزيرة وبلاد الشام ، ومناطق الثغور البيزنطية ، وذلك ليسهل على القارئ معرفة الأماكن والبقاع الوارد ذكرها في ثنايا الكتاب .

وبعد...

فهذا جهد المقل ، وأدعو الله أن أكون قد وفقت في اللقاء الضعيف
على إحدى الحقب التاريخية التي شهدت صراعا داميا ورحيبا ، قاده
الروم ضد المسلمين في القرن الرابع الهجري (المائتين الميلادي) ، وهي
فترة هامة في تاريخ العالم الاسلامي ، لما تفللها من مظهر عديده
متباينة سياسيا وعسكريا في كل من العالمين الاسلامي ، والبيزنطي
(المسيحي) ، في شرق البحر المتوسط .

أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد ، ليستبين للمسلمين مواطن الضعف
فيتجنبوها ، ويتلمسوا مواضع القوة وأسبابها ، فيسعوا اليها ليرتدوا
بها ، وما أظنها الا في اعتصام المسلمين بدينهم — المورد والمصدر
الرئيسي لقوتهم — وأن يكونوا كما قال الله في صفات من مع نبيه
محمد ﷺ « أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

والله المستعان ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

المؤلف

صليح دياب

٢٧ رمضان ١٤٠٤ هـ

٢٧ يونيو ١٩٨٤ م

التحيد

الحدود العربية - البزنطية

تصديق

الحدود العربية - البيزنطية

١ - من البنود البيزنطية بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين :

نالت منطقة سوريا والفرات اهتماما بالغا لدى الرومان منذ فتحهم لها ، بحكم موقعها الجغرافي ، ومتاخمتها لأعداء الدولة في الشرق . وكانت القواعد العسكرية الرئيسية بشمالى سوريا في مراكز مثل : انطاكية واللاذقية وكيريهوس (*Cyrrhus*) والاسكندرونة *Alexandrette* ^(١) .

وقد قنع الرومان باعتبار جبال آسيا الصغرى الشرقية ، وبإدبية الشام تشكلان حاجزين طبيعيين ملائمين . واكتفوا - في هذه المناطق - بإنشاء قلاع موزعة في مواقع معينة ، لحماية الطرق ، والجسور ، والمعابر الطبيعية . وبذا أصبح حدهم الشرقى منطقة مراقبة محصنة تبدأ عند طرابيزون ثم تتجه جنوبا حتى مجرى الفرات الأعلى ، فمصب الخابور ، فحدود البادية حتى الحقة . وكان خط الدفاع الممتد نحو ٨٠٠ كم - بين قوقيسيا عند مصب الخابور وبين الحقة - يتألف من طريق معبدة موازية للحدود ، محمية من الجانبين بلبراج كثيرة عند مفارق الطرق . وكانت تدمر ، ودمشق ، والبتراء ، تدخل بقلاعها وحضونتها والطرق الموصلة اليها في هذا الخط الدفاعي ^(٢) .

(١) انتهى مثلى : الحدود الإسلامية البيزنطية ١ : ص ٨٧/٧٥

ومنه راجع :

Chapot : La Frontiere de l'Euphrate de Pompée a la Conquete Arabe, pp. 71 - 77.

(٢) اسد رستم : الروم ج ١ ص ١٩١ - ١٩٣ . و

Bury : Hist. of Later Rom. Emp. I, p. 945.

وقد والى الرومان والمبزنطيون اهتمامهم بتحسين المدن الهامة في سوريا ، فبنوا لدمشق — مثلاً — سوراً أحاط بها منذ مستهل القرن الثالث الميلادى^(١) . ثم اضطرت الدولة المبزنطية — فيما بعد القرن السابع الميلادى — الى اتخاذ وسائل حاسمة لحماية حدودها للشرقية لمواجهة هجمات كل من الفرس ، والغرب (المسلمون) . وزاد من أهمية هذه الوسائل ظهور القوة البحرية للدولة الإسلامية ، وتفوقها الظاهر في أمواء البحر المتوسط ، لدرجة هدت الروم في منطقة آسيا الصغرى نفسها ، وجزر الأرخيل ، وإيطاليا ، وصقلية معا^(٢) .

لذلك أقام الروم نظام البنود (الثيمات) المبزنطى . فظهر في الشرق أربعة أقسام مبزنطية عسكرية حملت فيما بعد اسم البنود (الثيمات) Thema وهي بند أرمنية (Armeniaci / Armeniacoi) شمالي شرق آسيا الصغرى عند الحدود الارمنية ، وبند الأناضول (Anatolicoi) وبند الأوبسيكون (Opsikion) في آسيا الصغرى حول بصر مرمرة لحماية العاصمة المبزنطية ، وبند البصرى كرافيزيوناروم (Caravisionarum) أو كبرايورت أو كيرهايونوس (Cibyratote) على الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى والجزر المجاورة . وكان قادة البنود يسمون استراتيجوى (Strategoi) مما يدل على الطابع الحربى لهذه البنود^(٣) .

وفي مستهل القرن الرابع الهجرى كان تنظيم أقاليم الحدود المبزنطية يعتمد على تقسيم الأقليم المبزنطى الى دوائر اقليمية كبيرة يحكمها قائد عسكري يسمى « استراتيجوس » يجمع في يده السلطات المدنية والعسكرية مما . وكانت هذه الدوائر الإقليمية تسمى لواءات أو ثيمات Themes أو أيلات . وهى كلمة كانت تطلق في البندائية على

(١) أسدرستم : الروم ج ١ ص ١٩٢ .

(٢) فتحى مفلح : الحدود الإسلامية المبزنطية ج ١ ص ٩٠ .

(٣) داجع العدوى : دراسات في التاريخ المبزنطى (مقال بالمجلة التاريخية م ٢٤٢ أكتوبر ١٩٤٩) .

وحدة عسكرية كبيرة ، مستقرة في منطقة ما ، يتكفل بالدفاع عنها ^(١) .

وكان الثيم (اللواء) ينقسم الى وحدات (Turmes) (وحدات
تكتيكية) على رأس كل منها Turmarque (أى قائد وحدات ، يحكم
مجموعة من الوحدات التكتيكية (Turmes) . هناك بعض مناطق لها
أهمية خاصة لأنها تحرس ممرا جبليا (Clisure, Kleisura) وتتكفل بنع
العدو من اجتيازه ، هذه أخرجت من مجموعة الثيمات ومنحت مرتبة
Cleisurarchies المستقلة ^(٢) .

وكما أن القسمين الكبيرين الأولين للحدود الشرقية وهما لواء
(ثيم) الارمنياك (الارمن) Armeniakques ، ولواء الأناضول
(anatoleques) جزءا مكونا من عدة لواءات جديدة . فكذلك انفصلت
من هذا اللواء (الثيمات) وحدات من نوع الـ Cleisurarchies
وحولت بالتالى الى ثيمات ^(٣) .

على هذا النحو شهد القسم الأخير من القرن التاسع ، وأوائل
القرن العاشر الميلاديين ، ظهور ثيمات (لواءات) جديدة على الحدود ،
لم يكن من السهل في كل الأحوال تحديد تواريخ ظهورها . ولكن ظهر
بعضها في عهد الامبراطور ليو السادس (الحكيم) (٨٨٦ — ٩١٢ م)
وكانت اسمائها شائعة طوال القرن الرابع الهجرى (العاشر
الميلادى) ^(٤) .

وكانت قوات الثيمات (الحدود أو الثغور) — أو كما عرف
بالجيش الثيماتى (الثغرى) — المكلفة بالدفاع عن الحدود بصفة
دائمة ، الى جانب عمليات أخرى محدودة — تنضم لتنفيذ عمليات
على نطاق واسع ، الى مجموعة من القوات تسمى تاجمات

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 727.

(١)

Canard : Ibid., P. 727.

(٢)

Canard : Ibid., P. 727.

(٣)

Brehier : Le Monde. Byzantine, II, P. 121.

(٤)

Tagmata أو **Tagmes** ، وكانت تقيم في القسطنطينية مشكلة الحرس الإمبراطوري . وكانت التلجانات هذه من أشد وحدات الجيش البيزنطي صلابه . أما قائد التلجانات — الاسكول — **Scholes** — ويسمى الدومستيق **Domestique** ، فقد تقدم في النهاية على سائر القواد العسكريين . وذلك رغم انه كان حتى القرن العاشر الميلادي — نظريا — أدنى مرتبة من الاستراتيجوس على لواء الأناضول . وقد ظهر الدومستيق في القرن العاشر ، قائدا عاما ، تسند اليه ادارة العمليات الهامة على الجبهة الشرقية (الاسلامية) بصفة رئيسية في حالة عدم قيام الإمبراطور بإدارة هذه العمليات بنفسه ^(١) .

على هذا الاساس كانت ثيمات وكليسورارشيات الجبهة البيزنطية من الشمال الى الجنوب ^(٢) هي :

١ — **خالدنيا أو كالدنيا Chaldia** عاصمة طرابزون . وكان اقليمها يمتد حتى جوار وادي الفرات الاعلى تجاه كيليكيا (قاليقلا) ، وكانت جزءا من كلترين **Keltzene** قبل أن تندمج كلترين في لواء الميزوبوتاميا (ما بين النهرين) .

٢ — **كولونيا Coloneia** وعاصمته بنفس الاسم . وهي متفرعة من لواء الأرمن (الأرمنياques) وقد امتدت هذه أيضا حتى الفرات . وربما الى ما بعده قليلا . وكان هذا التيم يشمل في البداية كمخ **Kamakh** التي ضمت بعد ذلك الى لواء الميزوبوتاميا .

٣ — **ميزوبوتاميا (بين النهرين)** : يقع في الجنوب الشرقي من اللوامين السابقين . وهو يقع بين الفرات — قره صو — ونهر أرسناس

Brehier : Monde Byzantine. II. P. 121, 363.
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 728.

(١)

Brooks E.W. : Arabic Lists of Themes. P. 67.
(J. of Hellenic Studies, 21, 1901).

(٢)

Arsinias — وعن ثم كان اسمها — وهو لا علاقة له بالجزيرة أو العراق في منطقة درسم *Dersim* الحالية . وقد تشكل هذا اللواء بأقليم دجيق *Dagik* — أو تكيس *Takis* . — الذي تتنازل عنه مانويل الارمنى للإمبراطور ليوا السادس (الحكيم) (١) .

وقد ألحق بهذا اللواء أو النيم المتريمان — أى الوحدتان — المكونتان من كلترين وكمخ (كمكا) *Camacha* أو *Kamac* الذى كان تابعا في البداية للوائى كالديا وكولونيا .

أما لواء تشمنشجزيك *Tchinichgezok* على الضفة اليمنى للنهر الذى يحمل نفس الاسم ، فكانت تابعة لأقليم خوزن *Khoun* الشرقى .

٤ — سبسطية (سبسطية) *Sebastia* وبها عاصمة بنفس الاسم — وهى نفسها سيواس *Sivas* — وهذا اللواء (النيم) كان تابعا في البداية للواء الارمنيك (ق) ، الذى كان ملحقا به أقليم منطقة أبرأ *Abara* التى كانت تصرف فيما مضى باسم بوليشية *Paulicenne* ولا يعرف موقعها تحديدا . وكانت تمتد حتى عقدة نهر الفرات . اذ كانت (أبرأ) على طريق سبسطية — ملجية ، عبر وادى فورتنس *QuruTchai* (نهر جر جاريا) في الشمال الشرقى من منطقة « حسن بطريق » . ويتبعها أيضا غربى هذا الموضع ، وجنوبى سيواس ، ولاريسا *Larissa* ، التى كانت على ما يحتل ، في منطقة شهر تخفة صوالا على *Tokham Su* (٢) .

٥ — خارسيان (خرسيون أو خرشنة) : *Charsiane*

هذا اللواء تكون أيضا من تجزوء لواء أرمنييا (الأرمنييا) ، ولم يكن — على ما يبدو — متصلا بخط الحدود ، في عصرنا الذى نحن

Brooks, K.W. : Arabic Lists of Themes, P. 67 etc. and Canard : (١)

Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 728-729.

Canard : Ibid., P. 728, Brehier : Le Monde Byz. II, P. 363.

(٢)

بصدده ، الا من عند طرفه الجنوبي • وكان القسم الأكبر منه في منعطف نهر هاليس Halys وفي الشمال يمتد شرقا على ضفة نهر هاليس العليا حتى صارخه Crikha ، التي كانت على مسيرة يومين من كمكا (كمخ) والتي كانت تعتبر — في منتصف القرن التاسع الميلادي — قلعة من قلاع لواء خارسين (خرسيون) • وفي قسمه الشرقي كان اللواء مفصولا عن خط الحدود الصحيح بلواء ليكاندوس • أما قيصرية مازكا Casuree Maska ، التي كانت جزءا من كبادوكيا في البداية ، فانها التحقت في هذا العصر بلواء خرسيون (خارسين أو خرشنة)^(١) •

٦ — ليكاندوس Lykandos : تكونت في عهد ليو السلدن في المنطقة الواقعة شمالي عريسوس Arabissos ، حيث تلتقي بثلاث قنوات مائية ، فتكون نهر جيهان • وقد جعلت لواء في مستهل عهد زوى Zoe وقسطنطين بورغروجنتس (٩١٣ — ٩٥٩ م) وقد سرد قسطنطين تاريخ انشاء هذا اللواء سردا تفصيليا^(٢) • وكان يتبع اللواء أيضا من ناحية الغرب تراماندوس Tramanados ، والاقليم المسمى « صحراء سمبوزيون » الذي يذكر كئارد نقلا عن هونجمان أنه في منطقة نهر تضمه صوب الأعلى ، ومن الصعب تعيين حدود اللواء بالضبط^(٣) •

وكان تنظيم هذا اللواء وتعيينه لأغراض الدفاع — بلعباره موقعا شديد الأهمية — يرجع الفضل فيه إلى التقليد الميزنطي ملباس المعروف عند العرب باسم ملح الأرمني ، الذي تفتخره البحار العربية والسرمانية بتاريخ ٢٩٩ هـ / ٩١١ — ٩١٢ م على أنه صاحب قلعة هي اما قلعة

Brookes : Arabic Lists of Themes, P. 66 +

(١)

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 739.

وراجع بورغروجنتس : ادارة الإمبراطورية : ٢٠٥ — ٢٢٥ •

(٢) راجع قسطنطين بورغروجنتس : ادارة الإمبراطورية ص

١٩١ — ١٩٢ •

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 730

(٣)

تزامندوس *Tzamandous* أوليكاندوس^(١) • وقد سماه العرب باسم « صاحب الدروب » ، أى سيد منطقة المضائق (الدروب)^(٢) • وقد ورد ذكره فى حملات ٩١٥ م ٣٠٣/٣٠٢ هـ و ٩٢٨ م ٣١٦ هـ • ومات عام ٩٣٤م — ٣٢٢هـ^(٣) • وكانت ليكاندوس وتزامندوس أيام الحمدانيين تتبعان بطريقا واحدا^(٤) •

٧ — كابادوكيا : أو على الأصح كابادوكيا الصغيرة — *Mikra Kappadokia*

وكان هذا اللواء — فى البداية — كليسورارخى أو وحدة فى لواء الاناطوليك (الاناضول) • وكان فى قسمه الجنوبى ملاصقا للحدود عند مخرج بوابات كيليكيا *Pyles Calyiennes*

وكان يتبع كابادوكيا الصغيرة — فيما مضى — بعض المواقع التى فصلت منها ، ربما حينما صارت لواءا • من هذه المواقع : قيصرية ، ونيسا *Nyssa* • أما عن الأماكن المجاورة لمخرج بوابات كيليكيا وهى رودنتن *Rhodnton* (فراشة) ولولن *Lulon* — أو لؤلؤة — وحتى بودندوس *Podandos* بداخل المرتفعات ، فإن بورفيروجنتس يذكر بأنها واقعة على حدود اللواء (لواء كبادوكيا)^(٥) ، وإن كل ما هو موجود على الجانب الآخر يتبع كيليكيا • وربما كانت هذه المناطق تكون وحدات مستقلة • وفى هذه الصلة فإن اللواء لم يكن يمتد شرقا حتى طورس • أما من الناحية الشماية فإن اللواء كان يضم منطقة الظالمير (وهى مسكن فى الكهوف) التى ورد ذكرها عند ابن خرداذبه •

(١) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ٢/٢٢٨٦ — ٢٢٨٧ وعريب ، صلة الطبرى ٣٦ وقدامة بن جعفر : كتاب الفراج •

(٢) راجع ابن الاثير : الكامل ٨/٣١٦ •

(٣) راجع ابن الاثير : حوادث ٢٠٢ ، ٢٠٣ و ٣١٦ هـ ٢٢٢ هـ •

(٤) *Canard : Hist de la Dyn. des Hamd., P. 780.*

(٥)

(٥) راجع بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٣١ و ١٨٩/١٩٠ والخرائط فى آخر الكتاب •

٨ - لواء سيلوقية *Séleukeia* : يقع غربى كيليكيا العربية ونهر اللامش المار على الحدود الاسلامية - البيزنطية • ولم تكن سيلوقية حتى عهد ليو السادس لواء أوثيما • وإنما كانت وحدة حاضرتها مدينة سيلوقية الواقعة على نهر كالميكانس *Calycadmus* (١)

عن البنود البيزنطية في المصادر العربية :

ناجز المسلمون الروم في الشام ، ودارت الحرب سجالا بين الفريقين عبر ممرات جبال طوروس • وعرف المسلمون شيئا مذكورا عن نظم الادارة والحرب عند عدوهم • من ذلك ما كتبه ابن خرداذبه - الذى ألف كتاب المسالك والممالك حول ٢٣٢ هـ (٨٤٦ م) - نقلا عن « مسلم بن ابي مسلم الجرمي » ان اعمال الروم التى يوليها الملك عماله ١٤ عملا (٢) •

ثم جاء قدامة بن جعفر بعد ابن خرداذبه - حوالى ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م - فأورد قائمة بأعمال الروم ، خالفت النسق الوارد - في كتاب ابن خرداذبه - سواء في الترتيب أو في بعض التسميات • فالعمل الذى نقله ابن خرداذبه عن قائمة الجرمي « طافلا » سمى قدامة « طايللا » وسمى الاقطى ماطى باسم « الابطباط » وجعل اسم الناطلوس « الناطليق » ، كما أورد قدامة أيضا اسم خرشنة مقابل لاسم خرسيون عند ابن خرداذبه ، وسمى خالديا باسم الخالدية (٣) •

كما ذكر قدامة ان القوة البيزنطية المرابطة في كل بند أو عمل كانت ما بين أربعة آلاف وستة آلاف رجل ، عدا عمل فلاغونية الذى

Canard : Hist de la Hyn. des Hamd., P. 780 - 781.

(١)

(٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٠٥ - ١٠٨ وفتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ١/١٠٤ - ١٠٦ •

(٣) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ملحق بابن خرداذبه ص ٢٥٥ - ٢٥٨ (ضمن مجموعة ذى غوية : المجموعة الجغرافية العربية Bihl. Arab. — Geogr. ط . بريل ، لندن ، ١٩٦٨ م) •

كان يربط فيه عشرة آلاف ، وعمل الناطليق (الناطلوس) حيث رابط خمسة عشر ألفا لأهميته واتساعه . أما العاصمة فكان فيها نحو ٢٤ ألف (١) .

هنا ، ويذكر اليعقوبى أن « جميع جيش بلاد الروم من الجند المولف على الرساتيق والقرى أربعين ألف فارس ، وليس فيهم مرتزق ، وإنما هم — حينئذ — رجال يخرجون مع بطريقها وقت الحرب . فبعض البنود مثل خرشنه (خرسيون) وسلوقية قوتها ٥٠٠ فارس ، وتراقية قوتها ٥٠٠٠ فارس ، بينما كانت قوة مقدونية ٣٠٠٠ فارس » (٢) . بينما يورد ابن خرداذبة « أن ديوان الروم مرسوم على ١٢٠ ألف رجل . وهناك ست بطارقة في العاصمة ، وستة في الأعمال عسورية وأنقرة والأرمسينياق (أرمنية) وتراقية ، وصقلية وسردينية » ، ويذكر أيضا أن « ٥٠ الفيل المقيمة على باب الملك (الإمبراطور) أربعة آلاف فارس ولعسكر الملك مقيما كان أوراحلا — أربعة بنود عليها أربعة بطارقة في الفيل ، كتيبه كل واحد منهم اثنا عشر ألفا : ستة آلاف مرتزق وستة آلاف شاجرد . فان خرج الملك نحو بلاد العرب عسكر بدرولييه على مسافة أربعة أيام من قسطنطينية وهو مجمع للحرب والروم » (٣) .

أما المسعودى (ت ٨٣٤٥/٨٥٦م) فيذكر لنا قائمة معلة معرها البنود بقوله : « أرض الروم واسعة في الطول والعرض ، أخضة في الشمال بين المشرق والمغرب ، مقسومة في قديم الزمان على أربعة عشر قسما ، وأعمال مفردة تسمى البنود — كما يقال لجناد الشام : كجند فلسطين وجند دمشق ، وجند حمص ، وجند قنسرين — غير أن بنود الروم أوسع من هذه الالجناد وأطول . وهناك تسعة بنود دون الخليج ،

(١) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج ص ٢٥٨ .

(٢) اليعقوبى : البلدان (ملحق بالاصلاق النفسية لابن رسته)

ص ٣٢٣ .

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٠٦ — ١١١ وللزيد من تنظيم مرق الجيش البيزنطى : راجع بينز : الإمبراطورية البيزنطية ص ١٧١ — ١٧٣ .

مما يلي الثغور الشلمية والجزرية وغيرها من بلاد الاسلام ، والتسعة الباقية من البنود وراء الخليج متصلة بالقسطنطينية^(١) .

٢ — مناطق الثغور والمعاصم في الدولة الاسلامية : (بين القرنين الثالث والرابع الهجريين)

(١) الثغور (٣) :

يعد اقليم الثغور خطوة جديدة وحامة في التنظيم الاداري للدولة الاسلامية . وقد رأى الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣ هـ) فصله عن جند نصرين ، لتأمين الحدود الاسلامية ، على غرار منطقة الاطراف البيزنطية التي كان يحكمها حكام الثغور (كليسوريارش)^(٢) .

ولقد كانت الحدود بين المسلمين والروم حتى العصر العباسي الأول تتألف من سلسلتى جبسال طوروس ، وطوروس الداخلية Anti-Taurus وكانت الثغور تمثل خطا طويلا من القلاع يحمي ما وراءها . ويميل من ملطية على الفرات الأعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط . وقد تبودلت هذه القلاع بين المسلمين والروم ، فكان الفريقان فيها بين كر وفر^(٣) . وينقسم خط القلاع هذا الى مجموعتين : احدهما تحمي الجزيرة وتسمى الثغور الجزرية ،

(١) المسمودى : التقييه والاشراف ص ١٥٠ — ١٥٣ .

(٢) الثغور : مفرد ما ثغر . وهي كل موضع قريب من ارض العدو . وهو مأخوذ من الثغرة أى الفرسة أو الفرجة في الحائط . ومنه ثغر الشام ، وجبعمه ثغور الشام . وهو يشمل بلادا كثيرة . ومن أهم المدن الثغرية ببلاد الشام : بياس ، المصبصة . عين زربة ، اذنه (اطنه) طرطوس ، الجوزات ، اولاس ، الكنيسة السوداء ، الهارونية ، انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٦ و ج ٦ ص ٢٣٦ — ٢٣٧ والبلاذرى : فتوح البلدان .

(٣) فتحى عثمان : الحدود — الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ١٢١ .

(٤) لى مترانج : بلدان الخلافة الشرقية (ترجمة بشرى فرنسيس وكوركيس مواد) ص ١٦٠/١٦١ ،

وهى الشمالية الشرقية • والثانية تحمى الشام وتسمى الثغور الشامية وهى الجنوبية الغربية^(١) •

وكان من ثغور الجزيرة : ملطية ، وزبطرة ، وحصن منصور ، وبهسنا ، والمحدث ، ومرعش ، والهارونية ، والكثيسة ، عين رزية • ومن الثغور التى تحمى الشام — وكانت قرب الساحل الشمالى لخليج اسكندرونة — : المصيصة ، وأذنه ، وطرسوس^(٢) •

أما لفظة « العواصم » فالمقصود بها سلسلة الحصون الداخلية الجنوبية ، بطرقها الحربية • وسميت عواصم « لأنها كانت تحمى أو تعصم الحدود وتعينها على صد غارات الروم • ولذلك تتميز عن الحصون الشمالية الخارجة الملاصقة للحدود البيزنطية المسماة بالثغور •

ولم تكن الحدود الاسلامية البيزنطية خطأ مفردا ، وانما كانت تخومها غير محدودة وليست ثابتة • تمتد على عمق كبير أو يسير مسيرة فى معظمها منحنى جبال طوروس ما بين البحر المتوسط حتى سلسلة طوروس الأرمنية • وكانت أرمنية تعد اقليم حدود بيزنطى ، وبخاصة منذ بداية القرن العاشر الميلادى (أواخر الثالث الهجرى) اذ ان الجزء الغربى من أرمنية هبما بين الفرات وأرسنلس كان قد غدا اقليما بيزنطيا • وكان لدى المسلمين — فى المؤخرة — ممر هر يخرقونه فى أرمنية حتى منطقة قاليقلا (ثيودوسيوبوليس أو أرضروم) التى فتحوها ، وارتبطوا مع أهل تلك البقعة — التى يخرقها الممر — بمهد يضمن لهم حرية المرور^(٣) •

وقد عدد قدامة بن جعفر الثغور المختلفة ، التى تضمنتها مناطق الحدود بين المسلمين والروم ، وفرق بين الثغور والعواصم فقال :

(١) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ١٢٢ •

(٢) فتحى عثمان : المرجع السابق ج ١ ص ١٢٢ •

« ان الثغور المقلبة لبلاد الروم — منها برية تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البر ، ومنها بحرية تلقاه وتواجهه من جهة البحر ، ومنها ما يجتمع فيه الأمران • • وعواصم هذه الثغور وما وراءها اللينا من بلدان الاسلام ، وانما سمي كل واحد منها عاصمة لأنه يعصم الثغر ويمده في أوقات النفير ، ثم ينفر اليه من أهل أنطاكية والجومة والقورس » (١) •

والجدير بالذكر أن اتساع نطاق الدولة الاسلامية وفتوحاتها ، أدى الى لفت أنظار المؤرخين المسلمين الى أهمية الجغرافية في دراساتهم • فقدم البلاذري (ت ٨٢٧٩ / ٨٩٢ م) في كتابه فتوح البلدان ايضا حات جغرافية قيمه • كما مزج المسعودي (ت ٨٤٥ / ٩٠٦ م) في كتابه التتبية والاشراف بين التاريخ والجغرافية العلمية • فنراه يقدم ببيان لشكل الأرض ، ومواقع المدن ، والظواهر الجغرافية الهامة والمحيطات والانهار والجزر والبحيرات والمجسانى وما أصاب الأرض من تغييرات طبيعية وما الى ذلك (٢) •

على أى حال ، فإن الثغور الجزرية والشامية ترتكز الى أرض الجزيرة في شمال العراق من جهة وأرض الشام من جهة أخرى • كما تتصل من ناحية الشرق والشمال الشرقي بأرمينية ، ومن ناحية الشمال بآسيا الصغرى ، ويقع الى الغرب منها ساحل البحر المتوسط الذى سماه العرب « بحر الروم » • وكان اقليم الجزيرة وشمال الشام يمثلان وحدة تتمم بعضها بعضا ، من حيث ارتباط حصونهما وتعرضهما لاغارات البيزنطيين • والجزيرة هى المنطقة الشمالية الخصبة بين دجلة والفرات ، وتمتد الى منطقة الدروب عند سلاسل جبال طوروس كما نعتد الى جبال فارس (٣) •

(١) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتف ص ٢٥٣
(ملحق بلبن خرداذبة ضمن المجموعة العربية الجغرافية ، نشر دى غوية ط : بريل ، لندن ، ١٩٦٨ م) •

(٢) Rosenthal : A Hist. of Muslim Historiography, P. 94-96.

(٣) لعلى مثلبان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ١٤٢، ١٣٦ •

وقد تنوعاً - لاقليم الجزيرة - بحكم موقعها الجغرافي المتوسط ،
وكونها معبراً بين العراق والشام والامبراطورية البيزنطية وأرمينية
واذربيجان ، وبحكم أنهارها ومواصلاتها ومواردها الطبيعية ومعدنها
الاهلة - أن تكون ذات أهمية خاصة بين اقاليم الخلافة العباسية . فقد
كانت الجزيرة - مع العراق - بمثابة جسر أرضي يصل بين طرق
المواصلات البحرية في جنوبي آسيا وطرق المواصلات البحرية في جنوبي
أوروبا ، وذلك بحكم الموقع بين البحر المتوسط والخليج الفارسي .
وكانت أهميته في العصر العباسي كبيرة بالنسبة لتجارة الشرق
والغرب (١) .

أما بلاد الشام فتكون معبراً بين البحر المتوسط والصحراء .
ويدعوها البحر تارة للتجارة والملاحة ، في حين تخط دروب جبال
طوروس ممرات نحو آسيا الصغرى حيث الدولة البيزنطية . كما يفتح
واذى الفرات طريقاً للشام نحو الخليج الفارسي . وحد الشام « من
الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية ، أما عرضها فمن جبل
طىء - من نحو القيلة الى بحر الروم . . وبها من أهميات المدن :
منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق وبيت المقدس والمرة » (٢) .

حلب Aleppo : في جبهة الحدود الاسلامية البيزنطية :

(١) حلب : يشبر الاصطخرى وابن حوقل الى أهمية موقع
حلب « عاصمة اقليم قنسرين على مدرج طريق العراق الى الثغور
وسائر الشامات » (٣) وتجارتها رائجة وأهلها أثرياء . . . وهي مدينة

(١) راجع : د. عبد المنعم ملحد : التاريخ السياسي للدولة العربية
٢٠٧/١ - ٢١٠ وجاسم الخلف : محاضرات في جغرافية العراق
ص ٨ - ١٦ و ٢٨٨ - ٣٩٠ و Canard : Ibid., P. 143. وابن عبد الحق :
مرامد الاطلاع ٢٧/١ ، ١٠٦ وفتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية
١٤٢/١ - ١٥٩ ، وجود فروى نيمويين :

Le Monde Musulman, P. 40.

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية : ١٦٠/١ .

(٣) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٦٦ وابن حوقل : مسورة

الأرض .

حدود ، ومدينة اتصال • تلتقى بمنطقتها الوحدات الكبرى : سوريا
ويلاذ الرافدين والاناضول ، وتجتمع في ارجائها مجموعات عرقية هامة •
وهي من اقدم المدن في المنطقة ^(١) • قال فيها المقدسي ^(٢) : « أما حلب
فبلد نفيس ، خفيف ، حصين ، مبني بالحجارة ، شريهم من نهر قويق
يدخل الى البلد » • ولحلب سبعة ابواب حاول « لى سترانج » تحقيق
اسماء الابواب السبعة لحلب ومواقعها ^(٣) ، وهذه الابواب السبعة هي :
بواب همص (الآن يسمى بواب المقام نسبة لمقام ابراهيم) ،
باب الرقة ، باب قنسرين وهو في الطرف الجنوبي من الحائط الغربى
وقد بنياه سيف الدولة الحمداني ، باب اليهود (حاليا باب النصر)
ويقوم هناك حى اليهود ، باب العراق (أو باب ثريب كما سماه
Russel) ، باب دار البطيخ (لعله باب الجنان عند رسل وهو في
الحائط الغربى الى الشمال وتقليل من باب أنطاكية ، وباب أنطاكية
وهو ينفتح وسط الحائط الغربى الى الشمال من باب قنسرين وبينه
وبين باب الجنان ^(٤) •

وأهم مدن حلب كما يذكر المقدسي (ص ١٥٥) هي : أنطاكية ،
بالس ، السويوية سحيمنط ، منبج ، بياس ، التينيات ، شيزر ، وادى
مرعش ، اسكندرونة ، أنجون ، رغنبة ، جوسيه ، حماة ، شيزر ، وادى
بطنان ، معره النعمان معره قنسرين • وهذا التعداد تدخل في مدن تعد
من الثغور والعواصم • ويذكر لى سترانج أن افراد الرشيد (١٧٠ —
١٩٣ هـ) العواصم كالتليم منفصل ، جعل جند قنسرين مقصورا على
البلدان المحيطة بقنسرين وحلب ، مع التليم المرتين وسمرين ^(٥) •

(١) راجع مسليمان عادل عبد الحق وميد العزيز عثمان : نزعات
اثرية في سوريا ص ٨٣ — ٨٥ •

(٢) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم •

(٣) Le Strange : Palestine Under the Moslems, P. 360-7 +
Canard : 220 - 224.

فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ٢١٩/١ — ٢٢٠ •

(٤) راجع : Ruess : Natural Hist. of Aleppo.

(٥) Le strange : Ibid., P. 36.

ب — العواصم :

١ — منبج Hierapolis

أهم العواصم هي : منبج ، وقد لعبت دورا تجاريا ودينيا هاما منذ القدم ، وظلت منقطعة بأهميتها في العصور الوسطى بحكم موقعها كنقطة اتصال بين الثغور الجزرية والشامية ، ومجاورتها للفرات وحلب . ولم تقتصر مهمة منبج على حملية مواقع الحدود . بن اضطلعت بمراقبة صمراء الشام في الجنوب حتى منطقة بنلس . وبين منبج وبين الفرات ٣ فراسخ (١٢ ميلا تقريبا) وبينها وبين حلب ١٠ فراسخ (٤٠ ميلا) وهي — كما قال ابن حوقل — قريبة الى الثغور منها الى الفرات مرحلة خفيفة ، وإلى قورس مرحلتان ، وإلى ملطية أربعة أيام^(١) :

٢ — **فاليا** : بين منبج وحلب . وهي من أعمال منبج في جهة قبلتها قرب وادي بطنان .

٣ — **بقعاء العيس** : من كور منبج ، ويقعاء ربيعة من كور منبج أيضا .

٤ — **بالسى** : في غربى الرقة عند حد أرض صفين ، حيث يتجه الفرات شرقا بعمد جريانه الى الجنوب وهي تسمى *Barbalissus* عند الرومان . وكانت فرضة عظيمة لاهل الشام على الفرات ، ولذلك كانت مركزا لكثير من القوافل . قال عنها الاصطخرى « هي أول مدن الشام من العراق ، والطريق اليها عامر ، وهي فرضة الفرات لاهل الشام »^(٢) .

(١) الطبرستانى : صبح الامشى ج ٤ ص ١٢٧ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٦ — ٢٢٩ .

Canard : *Ibid.*, P. 233.

(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٦ .

٥ - **أنطاكية** : Antioch يذكر ابن حوقل والاصطخري أنها قسبة إقليم العواصم وهي أنزه مدينة في الشام بعد دمشق . ويذكر ياقوت أن أنطاكية ظلت قسبة العواصم بين النحور الشامية ، بينما ذكر في موضوع آخر أن منبج مدينة العواصم . وذكر أن بينها (أنطاكية) وبين البحر نحو فرسخين (٨ ميل) ، ولها مرسى في بليد يقال لها السويدية Boudin ، ترسو فيه مراكب الأفرنج ، عند مصب نهر العاصي (١) Zrontes .

وقد استمرت أنطاكية بيد المسلمين الى أن ملكها الروم منهم سنة ٣٥٩/٣٥٨ هـ (٩٦٩ — ٩٧٠ م) . وقد احتفظت أنطاكية في عهدها بالإسلامى بمكانتها الدينية ، فضلا عن أهميتها العسكرية كقاعدة هامة في الطرف الغربى لخط العواصم (٢) .

٦ - **حارم** : حصن حصين وكورة جلييلة تجاه أنطاكية « يحرمها العدو وتكون حرما لمن فيها » كما يذكر ياقوت . وهي نقطة استراتيجية هامة لاستفاد بها الروم عند غزوهم أنطاكية سنة ٣٥٨ هـ (٣) .

٧ - **بغراس** : في لصف جبل اللكام وهي Pagras القديمة . وقد كانت في العصور الوسطى على طرف الطريق المؤدى الى مضيق بيلان . بينها وبين أنطاكية ٤ فراسخ (١٦ ميلا) وهي على يمين القاصد أنطاكية من حلب ، في البلاد المطلة على نواحي طرسوس . وكانت لمسلمة بن عبد الملك ثم وقفها على سبيل البر . قال البحتري : (٤)

(١) الاصطخري : ص ٤٦ وياقوت المعجم ٤٦/٢ .

(٢) فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية ٢٢٨/١ — ٢٢٩ .

(٣) القلقشندي : صبح ١٢٤/٤ . و

Canard : Ibid., P. 217.

وياقوت : معجم ١٩٩/٣ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦٥
وابو الفدا : تقويم البلدان ٢٥٨ — ٢٥٩ .

(٤) راجع ديوان البحتري .

سيوف لها في كل دار غداردي وخيل لها في كل دار غدا نهب
علت فوق بغراس فضافت بها جنت صدور رجال حين ضاق بها درب

٨ — **دريمالك** : قلعة من جند قنسرين شمالي حلب على نحو
٣ أو ٤ مراحل منها ، ولها من شرقها مروج متسعة كثيرة الخشب يمر
بها النهر الاسود . وهذا البلد ليس له ذكر في المفتوح وإنما جدد في
دولة الأرمين لما ملكوا الثغور كما يذكر ابن شداد^(١) .

٩ — **حصن بوقا** : بوقا من قرى انطاكية ، أرسل اليها الزط مع
جواميسهم في عهد الوليد بن عبد الملك . وقد بنى هشام بن عبد الملك
حصن بوقا ، وجدد من بعده^(٢) .

١٠ — **قوروس** *Cyrrhus* . تشرف على الطريق من انطاكية
الى المرات وحلب مارا بمعزار وقويق . وهي خط دلفي أمامي عن
حلب وانطاكية . وظلت بيد المسلمين حتى أخذها منهم جوسلين
الفرنجي الصليبي ثم استردها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي
أتابك دمشق وحلب .

١١ — **بروزيه** : حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل
شلق . وقد أخلى الحمدانيون كل القلاع التي تحتكم في طريق
للاذقية ، خاصة بروزيه وصهيون عند هجوم الامبراطور يوحنا
زيمسكس سنة ٩٧٥م . وكانت بروزيه بيد الصليبيين بعد ذلك الى
فتحها صلاح الدين سنة ٥٥٨هـ^(٣) .

(١) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٠ — ٢٦١ وابن الشحنة :
الدر المنتخب ص ٢٢٢ . وابن شداد : الاطلاق الخطيرة .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٣٠٧/٢ — ٣٠٨ وابن الشحنة : الدر
المنتخب ص ٢٢٢ والبلانزي : فتوح البلدان ص ١٧٤ وابن العديم : بغية
الطلب ورقه ٢٨٠ و

Canard : Ibid., P. 229.

(٣) ياقوت : معجم ١٢٦/٢ ، ابن العديم ، بغية الطلب ورقة ٣٧٣ و
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, P. 152-3.

١٢ — **الجرجومة** : مدينة يقال لاجلها الجراجمة • كانت تقع على جبل اللكام بالثغر الشامي عند معدن الزاج ، فيما بين بياس وبوقه قرب انطاكية • وقد صالح المسلمون الجراجمة عند الفتح ، وكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون أخرى^(١) •

(ج) الثغور الجزرية : أهمها :

١ — **شميشاط** : يسميها الروم *Arsamosata* وقد ذكر الاصطخري أن شميشاط هي ثغر الجزيرة على الحقيقة ، معتبرا ملطية من ثغور الشام •

٢ — **ملطية** : وهي *Malitene* عند الروم • وهي من أجل الثغور الاسلامية أمام الروم • قال عنها قدامة : « وهو خارج في بلد العدو من جميع هذه الحصون وكل واحد بينه وبين العدو درب وعقبة ، وثغر ملطية مع بلد العدو في بقعة واحدة • وكان يواجه هذه الثغور الجزيرة ويقابلها من بلد الروم خرشنة (خرسيون) وعمل الخالدية » •

ويعتبر سهم ملطية نقطة التقاء طرق عدة ، ومفتاحا لمدخل آسيا الصغرى بالنسبة لجيوش المسلمين القادمة من الشرق ، ولمدخل الجزيرة بالنسبة لجيوش الروم القادمة من الغرب • وتمثل ملطية مركز تقاطع عدة طرق وأودية مثل وادي قباغب (تخماصو) *Tokhma - Su* ثم وادي الفرات ومعايره الى هانزيط أنزيتين *Anzitene* والجزيرة •

ولتقليم ملطية على رخاء واسع لجودة ريه كما يذكر ابن حوقل • وقد وصف الاصطخري مدينة ملطية في المائة الرابعة للهجرة ، بأنها مدينة كبيرة تحف منها الجبال » ، وبعدها من أكبر الثغور دون جبل اللكام ، كما اعتبرها ثغرا شاميا وليس جزريا • لذلك ذكر ياقوت أنها : « بلدة

(١) البلاذري : فتوح ١٦٦ وياقوت : معجم ٨٠/٣ — ٨١ وابن المديم : بغية الطلب ورقة ٢٨١ •

من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتأخض الشام وهي للمسلمين • وقد ذكرها المتنبى فقال « ملطية أم للبنين ثكول » • وقد أخذها الدمشقي سنة ٣٣٢ هـ وهدم سورها وقصورها : ثم جاء المستوفى فذكرها — بعد ياقوت بقرن تقريبا — بأنها مدينة حسنة ذات حصن منيع ••••• مراعيها مشهورة يكثر فيها القمح والفواكه والقطن • ويسمى كسارد Canard جرجر Gerger أو كركر Kerkor (١) •

٢ — زيطره : عند الروم Zapetra أو Sazopetra تقع الى الجنوب الغربي من ملطية • وهي بين ملطية وسيمساط في طريق بلاد الروم • ويحدد اندرسن Anderson موقعها حاليا بمدينة فيرانشير قرب منابع نهر سلطان صو (قراقيس) ، وجوك صو جنوب النهر الأزرق ، وهو موضع يتفق مع ما ورد عند أبو الفدا (٢) • وكان امثلاك زبطرة بمثابة المفتاح في الطريق الى ملطية • وقد ذكر قدامة ابن جعفر أن زبطرة كانت تلى الثغور الجزرية • وحين زارها أبو الفدا (٧١٥ هـ) ذكر انها كانت خرابا • بينما ذكر ابن شداد أنها كانت في عهده قرية • وأيا كان الأمر فقد احتفظت زبطرة بشيء من أهميتها ، الى أن أخذها الروم أيام الامبراطور باسيل الاول المقدوني ، وكانت لها أهميتها في القرن المئزر الميلادى (الرابع العجرى) (٣) •

٣ — الحدث : Adata فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب • ويذكر البلاذرى أن حرب الحدث سعى في العصر الأموى بحرب السلامة توكيا للتطير والتشاور • وقد ذكر الاصطخرى انه كثير الخيرات • ونوه ياقوت انها قلعة حصينة بين ملطية وسيمساط ومرعش من الثغور • وتسمى الحمراء اما لحمرة تربتها أو لتمييزها عن الحدث

Canard : Ibid, P. 202, 204.

(١)

الاصطخرى : مسالك ٤٧ ، ٥٣ ، والبلاذرى فتوح ١٩٥ — ١٩٦ وياقوت : معجم ١٥٢/٧ ، ١٥٠/٨ ، وابن الفسحة : الدر المنتخب ص ١٩٥ •

(٢) أبو الفدا : تقويم البلدان : ٢٣٤ •

(٣) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ٢٤١/١ •

الآخري الموجودة في صحراء تدمر ، كما يذهب كنارد • وتسمى حدث الزمناق • وكان لسيف الدولة بها وقفلة ، وقد خربته الروم فعمره سنة ٣٤٣هـ (١) •

٤ — مرعش : يسميها الروم Narasion ويقال انها قامت في مكان جرمانيكيا Germanica وهي مدينة في الثُغور بين الشام وبلاد الروم ولها سوران وخذق ، وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالرواني بناء مروان بن محمد • ثم احدث الرشيد بعده سائر المدينة • وبها ربض يعرف بالمهارونية وهو ما يلي باب الحدث وقد خربها الروم عدة مرات ، وبنها سيف الدولة سنة ٣٤١ هـ ، وأخذها الفرنج ١٩٤ هـ (١٠٩٧م) ثم صارت مدينة هامة في مملكة أرمنية الصغرى (٢) •

٥ — بهسنا : على أحد روافد الفرات اليمنى الذي يصب أسفل سميساط وهي غربي حصن منصور ورستاقها رستاق كيسوم • وهي « قلعة عظيمة حصينة بقرب مرعش وسميساط » وقد ذكرت في أخبار الحروب الصليبية ، كما وقال الجغرافيون أنها قلعة حصينة لا ترام حصانة في الغرب والشمال من عينتاب • وقيل عنها « هي الثغر المتأخم لبلاد الدروب والمشتعل في جمرة الحروب ، وبها عسكر من التركمان والاكرد • ولا يزال لهم أثر في الجهاد • ويحتمون قرية من أعمال بهسنا من أعمال كيسوم بين الروم وحلب » (٣) •

(١) البلائري : فتوح ١٩٧/١٩٨ ، ياقوت : معجم ٢٣١/٣ — ٢ ، الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٧ البكري : معجم ما استعجم ٦٥٦/٢ ،

(٢) لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ١٦١ والبلائري : فتوح ١٩٦ — ١٩٧ وياقوت : نفسه ٢٥/٨ وابن الشحنة : الدر ١٩١ — ٢ وابن العديم : بغية الطلب ورقة ٢٨٥ •

(٣) راجع لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٦ وأبو الفدا : تقويم البلدان : ص ٢٦٤ — ٢٦٥ وابن الشحنة : الدر المنتخبه ص ١٧١ وابن العديم : بغية الطلب ورقة ٣٧١ •

٦ - كيسوم : من أعمال سميساط في جنوب بهنسنا على نهر كيسوم على ٧ فراسخ (٢٨ ميلا) من الحدث . اعتبرها ابن خردادويه ثغرا جزريا . وهي تتحكم في الطريق الى بهنسنا^(١) .

٧ - كركر : حصن بين سميساط وحصن زياد (خرتبرت) شمال حلب على نحو ه مراحل . قال ياقوت : « وهي قلعة حصينة شائعة في الهواء ، يرى الفرات منها كالجدول الصغير وهو منها في جهة المشرق وكانت من أعظم الثغور زمن التتار »^(٢) .

٨ - قلعة سميساط : يسميها العام Samosta ، تقع على ضفة الفرات اليمنى - أى الشمالية - وعندها ينحرف النهر . وكانت حصينة . يذكر المسعودى أنها عرفت أيضا بقلعة الطين . أما ياقوت فيورد أنها « مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربى الفرات » قال فيها المتنبى ودون سميساط المطامير والملا وأودية مجهولة وهو أجل :

ويعتبر قدامة بن جعفر أن سميساط ثغرا بكريا - نسبة الى ديار بكر - وقد استعادها المسلمون سنة ٨٣١٨ هـ . ثم أخذها الروم ثانية^(٣) .

(د) الثغور الشامية : أهمها :

١ - عين زيسى (عين زربة) عرفها الافرنج (الصليبيون) باسم Anasarbuz وكانت عاصمة الاقليم الرومانى في كيليكيا . قال عنها الاصطخرى : « بلد يشبه مدن الثور بها نخيل وهي خصبة » كان لها سور حصين في المائة الرابعة للهجرة . وقد نقل اليها الزط في أيام المعتصم العباسى (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) فانتقم بهم أهل الثغر ، ثم أخذها

(١) غازيليف : العرب والروم (ترجمة شعيرة) ص ١٠٧ .

(٢) ابن عبد الحق : المراصد ١١٥٩/٢ وأبو الفدا : تقويم البلدان ٢٦٤ - ٢٦٥ والقلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ١٢٠ .

(٣) قدامة : نبذة من كتب الخراج (ملحق بابن خردادويه) ص ٢٥٤ Canard : P. 254-7.

الروم وخربوها . فانفق سيف الدولة عليها ٣ ملايين درهم لتعميرها ، ثم أخذها الروم ثانية . قال عنها أبو الفدا في تقييده « بلد في جبل ذات قلعة مستعملة عنها ، وهي على مسيرة يوم جنوبي سيبس وفي جنوبها نهر جيجان » . وقد صار اسمها في القرن الثامن للهجرة « زاورزا » .

ومن أهم الثغور الشامية كذلك سيبس أو سيبس والهارونية ، والكنيسة السوداء . ونيكابوليس Nicopolis (اصلاحية حاليا) على الجانب الشرقى من أمانوس .

٢ — المصيصة : Mopsuestia وهي من بناء الروم . « وهي من ثغور الشام بين انطاكية وبلد الروم » وقد أطلق ابن شداد على المصيصة اسم « بغداد الصغيرة » . وقد انتقلت الى ملوك (أرمنية الصخرى) .

وهناك من الثغور الشامية كذلك بيباس (مدينة ترقى انطاكية) بينها وبين الاسكندرونه (٦ ميل / فرسخان) ، قريية من جبل اللكام (١) .

٣ — العيئات : تجهز منها المراكب بخشب الصنوبر . وهي بين بيباس والمصيصة وهي قريية من ميدان معركة سوس كما يرى كنارد Canard (٢) .

٤ — طرسوس : تقع قرب مصب نهر الباردان في البحر المتوسط . وقد اشتهرت طرسوس في العصر الاسلامي ، لأهميتها الحربية وخصائص سكانها . وكانت أجمل الثغور وهي تشرف على المدخل الجنوبي لحرب أبواب قليقية . ذكر ابن حوقل ، أن عليها سورين من حجارة وبها مائة ألف فارس ، وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعبة من اللكام . وهكذا كانت طرسوس حاجزا بين

Canard : Ibid., P. 281.

(١) البلاذرى : فتوح ١٧٢ — ٣ و

Canard : Ibid., P. 278.

(٢)

العالمين الاسلامي والمسيحي • وعين زارها ابن حوقل (٣٦٧هـ / ٩٧٨م) رأى المجاهدين الوافدين اليها من مختلف البلدان الاسلامية •

ويذكر ياقوت أن مدينة طرسوس أحدثت في عهد هارون الرشيد على يد سليمان أحد خدامه في سنة نيف وتسعين ومائة^(١) أى قبيل وفاة الرشيد التي حدثت سنة ١٩٣ هـ • كما يقول عنها الهمداني « وهي مدينة لشعور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم » • وبين طرسوس واذنه ست فراسخ (١٨ ميلا) وظلت بيد المسلمين حتى أخذها نقفور فوبكاس سنة ٣٥٤ هـ بعد المصيصة •

ويقول عنها ابن النديم هي « مدينة قديمة من بلاد الشعور الشامية عظيمة ، وبها كان يقوم سوق الجهاد ، وينزلها الصالحون والعباد ، ويقصدها الخزاة من سائر البلاد »^(٢) •

وأبواب طرسوس خمسة هي : باب الجهاد ، باب الصلصاف ، باب الشام ، وباب البحر ، والباب المسدود • وهي — كما يقول ابن حوقل — في غاية الخصب • ويوجد على مرحلة من طرسوس ناحية نهر اللامس *Lamos* الذي كان يمثل هذا اسلاميا بيزنطيا ، وتمت عنده الكثير من عمليات الفداء وتبادل الاسرى بين الجانبين الاسلامي والبيزنطي •

وأهم دروب جبال طرسوس درب الحدث في الشمال الشرقي من مرعش الى « ابلستين » التي عرفت أخيرا باسم البستان *Abiastha* (البيزنطية) وباسم ارايبسوس *Arabissos* اليونانية (عربسوس)

(١) يذكر القلقشندي ان طرسوس بناها الرشيد سنة ١٧٠ هـ اكملها ١٧٢ هـ • فإذا صح هذا ، يكون ما قام به خاتمه سليمان ما هو الا التجديد والاستحداث لها • ولعل ما يدل على ذلك كلمة « احدث » • ياقوت : ج ٦ ص ٣٨ •

(٢) ياقوت : مادة طرسوس ٣٨/٦ — ٣٩ وابن النديم بغية الطلب ورقة ٢٣٥ ، ٢٧٥ وأبو الفدا : تقويم البلدان ٢٤٨ — ٢٤٩ والقلقشندي : صبح ٤ ص ١٣٣ ، ابن الصحنة : الدر المنتخب ص ١٨٠/١٨١ و Canard : Ibid., P. 282.

وبليه أهمية درب الابواب القليلية الضارب شمالا من طرسوس الى القسطنطينية^(١) .

وبعد هذا العرض السريع للعواصم والنخور الشامية والجزرية يجب أن نتساءل عن الوضع الاستراتيجي لحدود الدولة الاسلامية مع الروم ، وإلى أي مدى كانت حدود الدولة الاسلامية تحقق لها الأمان لأن الاجابة على هذا السؤال ستوضح الى حد كبير مفزى اهتمامات المسلمين وبخاصة الحمدانيين بمناطق النخور الاسلامية المتاخمة أو المطلة على بلاد الدولة البيزنطية .

ويادى ذى بدء ، فمما لا شك فيه أن الدولة الاسلامية كانت تهدف دائما الى ازالة دولة الروم ، مثلما ازالته دولة الفرس لوقفها العدائي . كما أن الدولة البيزنطية (الرومية) لم تكن في نوابها ومشاعرها أكثر صفاء للمسلمين ودولتهم . ولذلك فما من لحظة من لحظات الضعف يمر بها المسلمون ، الا وكنا نجد الروم يسارعون للانقضاض على أطراف الدولة الاسلامية ، منتهزين ما تعانیه الدولة الاسلامية من أوضاع غير مريحة سواء خارجيا أو داخليا . وقد انتهر الروم كل الفرص التي سنحت لهم منذ نهاية العصر الأموي ، وبداية العصر العباسي ، وفي أوقات ضعف الخلافة العباسية وتجزؤ أقاليمها الى ولايت مستقلة ، لم يكن كل حكامها من طراز رجل مثل سيف الدولة الحمداني أو نور الدين زنكي ، يصمدون للمطامع والطامعين فيصدونهم ويفخون عن الحرين^(٢) .

وقد حرص المسلمون — وهذا أمر طبيعي — أن تحقق الحدود لدولتهم تأمينا كافيا ، لذلك اتجهوا لفتح اقليم الجزيرة و ارمينية ، بعد أن أنتموا فتح الشام^(٣) . وقد برزت قيمة وأهمية اقليم الجزيرة (أقور كما يذكر المقدسي) باعتبارها « ثغر من ثغور المسلمين ، ومعقل

(١) Le Strange : Palestine Under Moslems, P. 377 - 8.

بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٤ — ١٦٦ وابن النخبة : الدر المنخب ص ١٨٠/١٨١ .

(٢) فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ٢٥٨/١ — ٢٥٩ .

(٣) الطبري : الامم والملوك ٥٧/٤ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ١٩٥ .

من معلقاتهم ، لان آمد اليوم — عصر المقدسى ٨٣٧٨/٩٨٨م — دار جهادهم ، والموصل من أجل أنضادهم ، ومع ذلك (أى وفوق ذلك) هو واسطة بين العراق والشام ومنازل العرب في الاسلام ^(١) .

كذلك عمد المسلمون — تأميناً لوجودهم وحدود دولتهم — الى محاربة بعض الطوائف التي تحتل أماكن حساسة (هامة) على الاطراف . فتعاقدوا مع الجراجمة ^(٢) في جبل اللكام ، كما تعاونوا مع البيلاقة على اطراف الدولة البيزنطية ، القريبة من حدود المسلمين عند الفرات الاعلى ^(٣) .

ولعلنا نتساءل هنا عن الحمدانيين — أولاً — الذين تصدوا ، ردحا من الزمن ، لهجمات الروم ، وخاضوا ضدهم غمار حروب ومعارك طاحنة ، زودا عن حياض دولة الاسلام وأمته . كما نتساءل عن سر شهرتهم في الآفاق . تلك الشهرة التي لم يحظ بها مثلهم من الاسرات الحاكمة ، سواء في عصرهم أو بعدهم فيما عدا بنى أيوب الذين قادوا المعارك — دفلا عن المسالم الاسلامى — ضد جمافل البنى الافرنجى القادمة من الغرب الصليبي .

فمن هم هؤلاء الحمدانيين ، وكيف نشأوا ؟ ، وبمن اتصلوا ؟ وكيف فرضوا أنفسهم على التاريخ ؟ وما هي الاحداث التي مروا بها أو مرت بهم ؟ وفي عهد من الخلفاء كانوا ؟ وما هو لون السياسة في عهدهم ؟ . هذا ما سنحاول الاجابة عليه في الصفحات التالية .

(١) المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٣٦ .

(٢) ينسب الجراجمة الى بلدتهم الجرجومة . ويسميهـم المسلمون باسم « المردة » *Maradaites* ، لكثرة تبرداتهم وثوراتهم . اذ كانوا مضاة لكل سلطة في بلاد الشام منذ العصر الروماني ، حتى اعتبرهم الرومان « اعداء دائمين » *Hostis Perpetuus* وقد نجح الروم (البيزنطيون) في جلب عناصر منهم بالفتح والعطايا ، لعرقلة حركة الفتح الاسلامى . وساهم انبيزنطيون « القضيبان الحديدية » لاعتقادهم السري في يدهم قضبان حديدية . راجع : فتحى مثنان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ٣٦٢ .

(٣) فتحى مثنان : المرجع السابق ٢٦١/١ .

من الحمدانيين : تعريف بهم وبطبيعة عصرهم :

ينتسب الحمدانيون — كما يقول ابن خلدون^(١) — « الى قبيلة تغلب — التي قامت بضواحي الموصل — وكان بنو تغلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار . وكانوا من نصارى العرب في الجاهلية ، لهم محل في الكثرة والعدد ، وكانت مواطنهم في الجزيرة وديار ربيعة ، ثم رحلوا مع هرقل الى بلاد الروم ، ثم رجعوا الى بلادهم وفرض عليهم عمر بن الخطاب الجزية ، فقالوا يا أمير المؤمنين لا تذلنا بين العرب باسم الجزية وأجعلها صدقة مضاعفة ففعل . وكان قائدهم يومئذ حنظلة بن قيس بن هرير من بنى مالك بن بكر من حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . ثم كان منهم بعد ذلك في الاسلام ثلاثة بيوت : آل عمر بن الخطاب العدوي ، وآل هارون المنصري ، وآل حمدون بن الحدث بن لقمان ابن أسد » .

وهذا النص يدلنا على ان الحمدانيين بطن من بطون بنى تغلب ابن وائل ، وهم عدنانية ، يعني عرب خلص ، ممن ولدت العربية في كنفهم . وقد استمروا ينتقلون من تهامة الى نجد الى الحجاز الى أرض ربيعة الى شغاف الفرات حيث أنزلوا سهل الرقة الفسيح ، ثم انتقل حمدان بن حمدون منها الى الموصل^(٢) .

وقد توافق ظهور الحمدانيين وبرز نجمهم مع ضعف الدولة العباسية ، وأقول نجمها : بحيث أصبحت الخلافة رسماً فقط ، والخليفة لم يعد أملاً سوى أن يقنع بما يعطى له من راتب سنوى وما يسمح له بمزاويلته من مهام ، وكان ذلك في أواخر القرن الثالث للهجرة بحيث لم يعد الخليفة سوى رئيس ديني لا أمر له ولا نهى ، ولا وزير يعتمد عليه^(٣) .

هكذا شهد الحمدانيون هذا التدهور في صورة وسلطة الخليفة

(١) ابن خلدون : تاريخ العبرج ٤ ص ٢٢٧ .

(٢) سلسى الكيلى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ٣١ — ٣٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ١٦٦ — ١٦٧ ، ١٦٩ — ١٧٠ .
وحسن إبراهيم : الاسلام السياسى ج ٣ ص ١١٥ (ط : ١٩٦٥) .

والخلافة ، لدرجة هزت الدولة الاسلامية هزة انتهت بانفراط عقدتها ، وظهور دويلات وامارات مستقلة في اقاليمها المختلفة .

كذلك شهد الحمدانيون تقلص النفوذ العربي وذويانته تحت سيطرة العناصر غير العربية ، بشكل مزر . لذلك رأوا أن يقوموا بنصيبهم في حمل هذا العبء ، صونا للتراث العربي ، وزودا عن الثغور الاسلامية من هجمات الروم . فجرت المنافع المادية بعضهم الى الهاوية حبب المنافع تغلى وتثور ، وارتفعت المبادئ السامية ببعضهم ممن كان دفاعهم عن العروبة والاسلام مجيدا .

ظهرت الأسرة الحمدانية ابان ارتقاء المعتضد دست الخلافة (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) الذي تسلمها وهي في حالة من التفكك والانحلال لا يحسد عليه . وقد أراد المعتضد بالله العباسي معالجة الامور نهوضا بالدولة والخلافة ، بكل ما في نفسه من حب الإصلاح ، وما في شخصيته من سمات الحزم وقوة القلب وشجاعة الرأي . لكن الوقت كان متأخرا (١) .

ذلك ان اقليم الجزيرة كان يموج باضطرابات دامية ، وكان القرامطة يميثون في البلاد فسادا ويهزون العقائد هزا عنيفا ، وقد بدا الصراع بين العرب والترك للمرة الأولى في عهد المعتضد . وكان تغلى العباسيين عن العرب ، وتمكينهم الاعاجم من السلطة في الدولة العباسية ، مما دفع عرب الجزيرة - وبخاصة - ربيعة - الى المحافظة على استقلالهم ومن هؤلاء بنو شيان الذين جرد لهم المعتضد جيشا لخماد ثورتهم سنة ٢٨١ هـ ساربه الى قلعة ماردين (٢) .

فلما علم حمدان بن حمدون بذلك ، انهزم وتراجع في جوف الليل تاركا القلعة لابنه الحسين ، الذي استبسل في الدفاع عنها ، مما دفع الخليفة المعتضد الى الرجوع للموصل ، فيكتب لحمدان بن حمدون يستحثه على اعلان الخضوع والاذعان فأبى حمدان ، لكنه سرعان

(١) سلهي الكيلاني : سيف الدولة ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٦٩ - ١٧٠ .
وحسن ابراهيم : الاسلام السياسي ج ٢ ص ١١٥ (ط : مطبعة ١٩٦٥) .

ما استسلم عندما زحف اليه المعتضد على رأس جيش لجب ثانية ، وهرب حمدان واختفى من المسرح . وقد تمكن حمدان بن حمدون من العبور ، في قارب كان له على ضفة نهر دجلة ، الى الجانب الغربى حيث ديار ربيعة . فنزل هناك عند احد الخوارج طالبا حمايته ، دون ان يدري أن هذا الذى يستجير به سيسلمه للخليفة المعتضد ، الذى سيزج به بعد ذلك في غياهب السجون . وهكذا نرى ان جد الأسرة الحمدانية تبدأ سيرته بثورته على الخلافة ، وغوض معارك طاحنة ضدها ، ثم استسلامه ، فسجن .

في هذا الوقت (أواخر القرن الثالث الهجرى) رأى الخليفة العباسى ضرورة الاستعانة بالحمدانيين في حربه ضد هارون الشامى احد الخوارج ، الذى كانت قواته قد ألحقت بالقوات العباسية هزائم كبيرة . لذلك قرر المعتضد العباسى (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ) الاستعانة بالحسين ابن حمدان بن حمدون ، الذى وافق بعد تردد ، وشروط ثلاثة وضعها ان هو وفق في مهمته . وقد صرح باحد هذه الشروط وهو « اطلاق سراح والده حمدان بن حمدون » ، أما الشرطان الآخران ، فأجل الحسين بن حمدان البوح بهما ، لحين الانتهاء من اخماد ثورة هارون الشامى الخارجى واتباعه^(١) .

وهكذا انخرطت الأسرة الحمدانية في خدمة الخلافة العباسية ، وصارت هذه الأسرة دؤوبة على انتهاز الفرص ، لاثبات اخلاصها وولائها ، كلما أمكنتها الظروف من ذلك^(٢) . وكان الحسين بن حمدان ، قد نال تقدير الخليفة المعتضد ، الذى خلع عليه^(٣) . واستجاب لطلبه بتكوين فرقة جيش نظامية ، تكون من بنى تغلب (قبيلة الحمدانيين) . وقد بلغ تعداد تلك الفرقة خمسمائة فارس يتناولون أرزاقهم من

(١) حسن ابراهيم : الاسلام الاسياسى ١١٥/٣ وسلمى الكيالى : سيف الدولة ص ٣٦ .

(٢) الكبيسى : عصر الخليفة المعتضد بالله ص ٩٩ .

(٣) الطبرى : ج ٤ ص ٢١٥ — ٢١٥١ وابن الاثير : الكامل ٨١/٦ والمسدودى : مروج الذهب ج ٤ ص ١٨٨ والكبيسى : المرجع السابق ص ٥٠٠ .

الدولة ، وقيادتهم الى انحصين بن حمدان بن حمدون^(١) .

ومنذ ذلك الحين بدأت شهرة الحمدانيين في الظهور ، حيث قاموا بدور فعال في احداث ذلك العصر — (القرن الرابع الهجري • • بدأت دولتهم ٢٩٢هـ وانتهت ٣٩٢هـ) — اذ كرس الحسين بن حمدان نفسه لحرب معارضى السلطة العباسية وبخاصة القرامطة • وقد أثبت الحسين ابن حمدان — من خلال المهام التي اسندت اليه — قدرته العسكرية ، مما جعله مثار اعجاب المسئولين في الدولة العباسية ، حتى ليحكى أنه وجد في خزانته — بعد موته — أكثر من عشرين طوقا لفيف وعشرين فتحا بالمشرق والمغرب^(٢) • مما جعله من رجال الصف الأول في الدولة العباسية ، منذ ذلك الوقت — خلافة المعتضد (٢٧٩ — ٢٨٩هـ) — حتى بداية عهد المقتدر العباسي (٢٩٥ — ٣٣٠هـ) .

ولقد كان طبيعيا أن ينضوى باقى امراء الحمدانيين تحت لواء الطاعة للعباسيين ويعملون في خدمتهم • وبذلك وصلوا الى ارقع المناصب ، حيث منحهم الخليفة أمر الموصل ، فاستقلوا بها ، ثم سرعان ما مدوا نطاق حكمهم الى منطقة ديار بكر وسورية واقليم الجزيرة فيما بعد •

ولما آلت الخلافة العباسية الى المكتفى بالله بن المعتضد سنة ٢٨٩هـ — عقب وفاة والده — سار المكتفى على نمط والده ونهجه ، من حيث الثقة في آل حمدان ، والاعتماد عليهم في ادارة وتسيير شئون الدولة ، لأنه رأى فيهم عنصرا عربيا قويا ، يشارك الخلفاء العباسيين مشاعرهم واحاسيسهم^(٣) • ولذلك ولّى الخليفة المكتفى أبا الهيثماء عبد الله بن حمدان بن حمدون الموصل واعملها سنة ٢٩٣هـ (٩٠٥م)^(٤) •

(١) أبو فراس : ديوانه ص ١٢٨ ، ١٦٥ •

(٢) فيصل السامر : الحمدانيون ج ١ ص ٨٧ •

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٣٩٦ •

(٤) ابن الأثير : للكنيل ج ٦ ص ١١١ وابن خلدون : العبر ج ٣

ص ٤٧٨ — ٤٧٩ وسرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٧٢
وحسن ابراهيم : الاسلام النبيل ص ١١٥/٣ •

واستمروا كذلك الى وفاة المكتفى سنة ٢٢٩٥هـ (١٠٧٠م) حيث بدأ الزمن يقلب ظهر المجن لهذه الأسرة مع الخلافة العباسية .

ذلك ان الحسين بن حمدان (أخو أبو الهيجاء) — كما يذكر المؤرخون — اعترض على تولي المقتدر السلطة لحدائثة سنه ، وأنه — لذلك — شارك في تخطيط استهدف عدم توليه المقتدر ، وتعيين عبد الله ابن المعتز خليفة^(١) . بينما هناك رأى يقول ان الحسين لم يشترك في اختيار المقتدر — لا تمردا عليه واستصغارا لشأنه — وانما لأن الحسين عسكى ، والعسكريون ابعدوا عن عملية الاختيار نهائيا^(٢) ، وهذا أيضا محل نظر .

ويجمع أصحاب الرأى الأخير قولهم ، بتحليل توقيت خروج الحسين بن حمدان على الخليفة المقتدر ، بأنه جاء أو ظهر بعد تولي المقتدر الخلافة العباسية سنة ٢٢٩٥هـ وليس قبل ذلك . ويعلمون ذلك الخروج بأن الخليفة لم يعط العناصر العسكرية في الدولة الأهمية الواجبة أو المطلوبة ، من حيث الاستشارة فيما يعين للحولة من أمور . وأن ذلك دفع العناصر العسكرية للتآمر عليه سنة ٢٢٩٦هـ ، والسعى لقتولة عبد الله بن المعتز^(٣) .

على أى الأحوال ، فلقد فشل تآمر الحسين بن حمدان ومجموعته العسكرية ، مما دفعه للسير هاربا الى الموصل ، تاركا وراءه باقى عناصر التآمر ، ناجيا بنفسه من مصير مؤلم حتما ينتظره لو وقع فى أيدي المقتدر ورجاله . أما شركاء الحسين بن حمدان فتم القبض عليهم ، وصاروا بين مفتول ومنفى وسجين ومصادر^(٤) . والحق ان

(١) السامر : الحمدانيون ١٠٢/١ — والكيس : عصر الخليفة المقتدر بالله ص ٥٠١ — ٥٠٢ .

(٢) المسعودى : انشبيه والاشراف ص ٣٧٠ وروج ٢٢٢/٤ وعريب القرطبي : الصلة ص ٢١ والجوزى : المنتظم ٦٧/٦ ، وابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١١٧ .

(٣) ابن العبري : ص ١٥٥ وابن العماد : شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ج ٢ ص ٢٢١ وابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٠٧ .

(٤) ريب : الصلة ص ٢٨ وابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١٢٢ .

هروب الحسين ابن حمدان — بعد انفضاح أمر التآمر وعناصره — أدى الى انهيار معنويات زملائه ، وتشككهم فيه ، واضطرابهم ، وتفكيرهم جديا في الهرب ، معتقدين « ان الحسين بن حمدان قد عرف ما يجري ، فهرب من الليل ، وهذه موأاة بينه وبين المعتذر »^(١) .

واثباتا للحق ، فان هذا الاتهام تدحضه وتتقضه الوقائع التي حدثت بعد ذلك ، متمثلة بصفة أساسية في جد المعتذر بالله العباسي في البحث عن الحسين بن حمدان ومطاردته حيث أرسل قوة بقيادة القاسم بن سيما ، كما أمر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان (أخو الحسين) والى الموصل بمহারبة الحسين بن حمدان — وهو أخوه — وطلب منه القبض عليه^(٢) .

على ان ملقيه أبا الهيجاء من ثقة الخليفة المكتفى (٢٨٩ — ٢٩٥ م) ثم المعتذر (٢٩٥ — ٣٣٠ م) ، أوغر صدر أخيه الحسين بن حمدان عليه . وقد تمكن أبو الهيجاء فعلا ، وبمساعدة القاسم بن سيما ، من أخيه الحسين في جبل سنجار ، وأوشك ان يسلمه للخليفة المعتذر العباسي ، لتأديبه على اشتراكه في المؤامرة ضده ، لولا توسط ابن الفرات وزير المعتذر للحسين بن حمدان^(٣) . ثم لم يلبث بالخليفة حتى خلع على الحسين بن حمدان ، ومنحه أعمال ديار ربيعة سنة ٣٠١ هـ فيكون الحسين بذلك مشاركا أخاه أبا الهيجاء في السلطة على اقليم الموصل ، الذي حكمه الأخير منفردا منذ ٢٩٣ هـ ، مما أوغر صدره على أخيه الحسين بن حمدان . فهل كانت الخلافة العباسية تريد حقا منح الحسين مناطق ترصيه له وتأيينا لقلبه ؟ وفي هذه الحالة كانت هناك مناطق أخرى يمكن ان تمنحه حكمها غير ديار ربيعة . أم كانت تريد — بعد أن أيقنت بخطور الحمدانيين عليها وبدأت تشك

(١) ابن الأثير : الكليل ج ٦ ص ١٢١ والكبيسي : عصر المعتذر بالله ص ٥٠٧ .

(٢) الذهبي : دول الاسلام ج ١ ص ١٢٢ وابن خلدون : العبر ج ٢ ص ١٠٥ ، ج ٣ ص ٧٥٦ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٦ ص ٨٢ .

Sourdel, D. Le Viatre 'Abbasid T. 2, P. 378.

في ولائهم — أن تضرب أفراد الأسرة بعضهم ببعض لتقل حدهم وتكسر شوكتهم بما تبثه مثل هذه العملية بين الأخوة من عداوة وشحناء • ٢
وهذا ما لم يحدث أو يصل — على الأقل — الى المدى الذي ارادته الخلافة • ولذلك لم يعد مناص من المواجهة الحادة مع الأسرة الحمدانية « فازور (المقتدر) عنهم — أى تحول قلبه عنهم — وألقى القبض على أكثرهم وزجهم في السجن » حيث ظلوا به حتى سنة ٨٣٠٦ حيث أطلق سراحهم (١) •

أما الحسين بن حمدان ، فقبض عليه ، وأودع السجن بدار زيدان القهرمانه ، وظل حبيسا الى أن مات ميتة غامضة سنة ٨٣٠٦/١٨هـ — لحظة الافراج عن باقي أفراد الأسرة — مما يدفع المؤرخين الى القول أنه نجح في السجن ، وهو أمر غير مستبعد (٢) •

أيا كان الأمر ، فقد وصلت الدولة العباسية في عصر المقتدر الى مرحلة متناهية في الضعف والانحلال ، بظهور المتغلبين في أطراف المملكة والشغور ، مع تصاعد حدة الخطر البيزنطي ، على حدود العالم الاسلامي في أعالي بلاد الشام ومصر ومنطقة الجزيرة وأرمينية • ففي مارس قامت دولة بنى بوية ، وفي مصر قامت الدولة الاخشيدية سنة ٨٣٢٣هـ ، كما أعلن الفاطميون خلافتهم في الشمال الافريقي سنة ٨٢٩٦هـ ، وسيطر القرامطة على منطقة هجر (البحرين) واستبد الديلم بجرجان وطبرستان ، وسيطر المرينيون على واسط والبصرة ، وقام الحمدانيون في الموصل وديار ربيعة وجزء كبير من العراق •

فكان هذا التشتت والتوزع الذي وقع في كيان العالم الاسلامي ، مما اطمح البيزنطيون في مهاجمة ثغور الدولة الاسلامية • فهاجموا كيليكيا وسورية بقيادة نقفور فوكاس مثلا ، الذي اشتبك في معارك

(١) سلمي الكيالي : سيف الدولة ص ٢٨/٢٥ ، الكيبي : عصر المقتدر بالله ص ٥٢٠ •

(٢) الذهبي : دول الاسلام ١٣٦/١ ، ابن الاثير : ١٦٢/٦ ، ومريب : الصلة ص ٧٧ وأبو المحاسن : النجوم ١٩٤/٣ •

طاحنة وضارية مع سيف الدولة على أبواب حلب • وهو ما سنفصله فيما بعد^(١) •

وبوفاة الخليفة املتتحر سنة ٨٣٣٠ م يتولى أمر الخلافة القاهر ، ثم الراضى بالله الذى تولى السلطة سنة ٨٣٣٢ م وظل خليفة حتى سنة ٨٣٣٩ م • وكانت خلافة الراضى بالله تمثل فترة مليقة بالفتن والتوترات ، بسبب الصراع على السلطة بين كبار رجال العهد ، مما صرف الانظار والأهتمام عن الأخطار المحقة بالدولة الاسلامية ، ممثلة فى تربص الروم على ثغور البلاد وحدودها^(٢) •

فى هذا الوقت يستقل ناصر الدولة بن حسين بن حمدان بالموصل ، غير عابىء بالخليفة • ثم يدخل هو نفسه فى صراع مع عمه أبى العلاء ابن سعيد بن حمدان • وقد ترتب على استقلاله بالموصل وقوع توتر فى جو العلاقات بين الأسرة الحمدانية والخلافة العباسية • هذا التوتر سرعان ما ينتهى بوفاة الراضى سنة ٨٣٣٩ م واعتلاء المتقى لله عرش الخلافة • ثم يسيطر سيف الدولة على حلب الشهباء ، تاركا أخاه ناصر الدولة يحكم نفوذه فى منطقة الموصل^(٣) •

وبينما كان سيف الدولة يؤسس ملك بنى حمدان فى حلب — بعد أنهبأر قواتهم ملكهم فى الموصل بعد انتصار توزون التركى أمير الأمراء عليهم — أواخر أيام أخيه ناصر الدولة — كان ابنساء ناصر الدولة يتقاتلون على السيادة والمال ، وقد اساءوا الى أبيهم ، وانضموا الى غيرهم من الطامعين فى الأرض التى احتفظ بها أجدادهم الحمدانيون نحو أربع وسبعين سنة • وكان خلافتهم ، وقيام بعضهم على بعض ، مما دفع عضد الدولة البويهى للتقدم ، وطرد أبا تغلب بن ناصر ، وبسط نفوذه فى البلاد • وبذلك تنطوى راية الحمدانيين فى الموصل وديار بنى ربيعة لتخفق من جديد راية دولتهم فى حلب الشهباء على يد سيف الدولة^(٤) •

(١) مسلى الكيالى : سيف الدولة ص ٤٤ •

(٢) مسلى الكيالى : سيف الدولة ص ٤٤ •

(٣) مسلى الكيالى : ص ٤٥/٤٤ •

(٤) مسلى الكيالى : ص ٤٦/٤٥ •

فلماذا اختار سيف الدولة أرض حلب ؟ هل فيها مناعة المدن الحصينة التي تصد هجمات العدو ؟ الواقع انها تقوم على سهل منبسط خصبه وكثيرا ما تغنى الشعراء بجودة تربتها وطيب هوائها ، وجمال سماتها ، وبساتينها الفيحاء التي بزت غوطة الشام . وكانت قلمتها الأثرية التي تجثم في قلب البلد ، وقد عرفت عمر الزمن وخلود الحياة ، موضع إعجاب ودهشة الفاتحين الغزاة . فهل كانت قلمتها هذه سببا في اختيار سيف الدولة لحلب لبيذر فيها بذور دولته .

في الحقيقة ربما كان سيف الدولة يرى ضرورة المقام في حلب ليرصد منها تحركات الروم — وهم وهو في حلب قرييون منه — ولاغرو فالروم كان يمضهم الشوق الى تلك البلاد التي ضاعت منهم منذ عهد الراشدين . فلم يتركوا فرصة الا وأغاروا على ثغور المسلمين محاولين اخذها . مما يبرر نظرة سيف الدولة في الوقوف هنا ليرصد هجمات الروم المتربصين بالمسلمين شرا ، فبنى مملكته الجديدة في أرض الشهباء المتاخمة لأرض الروم .

على أى حال ، فلقد دخل سيف الدولة حلب سنة ٨٣٣ ، فأخذها من يد أحد قواد الافشيدي حاكم مصر . وكانت حلب في عهد سيف الدولة ، عاصمة دولة تمتد من الموصل حتى تكريت^(١) . ومن عاناه على الفرات حتى البحر المتوسط ، مشكلة — على وجه التقريب خطا مستويا يمر من جنوبي حمص . وقد امتدت ممتلكات الحمدانيين شمالا ، حتى منطقة كيليكيا ومطية وديار بكر حتى مدينة أحيلا (خلاط) الواقعة على بحيرة وان Wan .

ولقد ظلت الدولة الحمدانية مدة تتيف على السبعين عاما (٣٣٣ — ٨٣٩) ثم انتهت كما بدأت ضعيفة تارة وقوية تارة أخرى . على أن نفوذها لم يقو الا في عهد سيف الدولة الذي رفع من شأنها وخلد ذكرها ، مما يجعلنا نقدر باطمئنان أنه اذا ذكرت الدولة الحمدانية فليكن معروفا ان سيف الدولة هو الذي خلقها وفرض اسمها في التاريخ .

(١) سلمى الكيالى : سيف الدولة ص ٥٢ .

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في أرمينية

بين القرنين الثالث والرابع

بمد الهجرة

(أ) بنو الساج في أرمينية وأذربيجان

• (٢٦٦ - ٥٢١٨ - ٨٧٩ - ٩٢٠ م)

(ب) الإمارات العربية الأخرى في أرمينية •

(ج) الممالك الأرمينية في مستهل القرن الرابع الهجري •

الأوضاع السياسية في أرمينية

(١) بنو الساج في أرمينية وأذربيجان (٢٦٦-٣١٨هـ / ٨٧٩-

٩٣٠م) :

اتحدت منطقة أذربيجان^(١) مع اقليمى الجزيرة (ما بين النهرين) وأرمينية^(٢) - في معظم الأوقات - تحت سيطرة حكم واحد . وفي نهاية

(١) ذكرها في الأصل البستاني فقال : « قال ملطبرون (رحالة) في جغرافيته وكلفت - اى اذربيجان - تسمى عند الاقدمين اطروباطينة ... ومعنى اذربيجان أو اطروباطينة أرض النار ، أما لكون عبادة النار ظهرت ونشأت فيها ، أو لكونها كانت مرضة لوبجان جبال النار . . . وهى لأرضى جبلية باسطة منتشرة فيها أودية خصبة كثيرة الفواكه . . . » .
راجع : السيد محمد أمين الخانجى : منجم العبران في المستشرق على معجم البلدان (بسلب الهمزة والذال وما يليهما) ص ١٨٤ .
واذربيجان اقليم شمالي إيران يحدها شمالا ومن الشمال الشرقي أملاك روسيا ، ومن الشرق جبالان *Alam* ومن الجنوب كردستان الفارسية والعراق العجى ومن المغرب (كردستان التركية وأرمينية . مساحتها نحو ٣٠ ألف ميل مربع) . . أكبر أنهارها نهر قرصو والرس . . . وهواؤها غالبا معتدل وصيفها حار جدا ، وشتاؤها في غلبة البرد . وبها بحيرة أرمية الكبيرة المشهورة . . . وعلى الجبلية هى بلاد قديمة العهد جدا . انظر نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

وكلفت تتداولها ولاية من المسلمين . فقد وليها سنة ١٣٢هـ أبو جعفر المنصور العباسي (الخليفة بعد ذلك) كما وليها الرشيد سنة ١٦٤هـ أيام أبيه الخليفة المهدي ، وأقطعها المتوكل ابنه المعتز سنة ٢٣٥هـ . ثم اتصلت سنة ٢٨٨هـ الى يوسف بن الساج وكلفت بيد أخيه محمد . وان كان ابن الاثير يذكر ان يوسف وليها سنة ٢٩٦هـ ، ثم نزعته منه أيام المعتز على يد مؤنس الخادم سنة ٣٠٥هـ ثم تداولها أصحاب ابن أبي الساج .

راجع الخانجى : منجم العبران المستشرق ص ١٨٥ - ١٨٧ .

(٢) أرمينية : صنع عظيم واسع يمتد شمالا الى جبال القيق (التوتاز) والبحر الأسود . وبعض اقليم الجزيرة جنوبيا . وبحر الخزر (أو قزوين) *Caspian* وهضبة أذربيجان شرقا ، وآسيا الصغرى والجزيرة قربا . وتشتمل أرمينية على الاراضى الجبلية التى تخترقها أنهار عظيمة أهمها : الحجلة والفرات في الجنوب ، ونهر الكر *Kyrus* ونهر الرس أراكس *Araxes* في الشمال . وكان يسكن هذه البلاد شعب آسيوى مجهول الأصل يعرف باسم الأرمن . وقد اعتنق الأرمن المسيحية في وقت مبكر ، كما ظهرت شخصيته الشعب الأرمنى متميزة عما جاورها من شعوب . كذلك عاش في أرمينية جماعات من اليهود والمجوس ، نفعت الى هذه البلاد من البلاد المجاورة . راجع المقدسى : احسن التقاسيم ص ٣٧٣ - ٣٧٤ وصـابـر ديبـاب أرمينية ص ١ - ٥ . وط

: Sterck Art. Armenia (Ency of Islam I. P. 637) ط . عربية وفتحى عثمان :

الحدود الإسلامية البيزنطية ج ١ ص ١٩١ ، ١٩٢ و ١٩٦ - ١٩٨ .

القرن الثالث الهجري (بداية العاشر الميلادي) كانت أذربيجان ضمن منطقة نفوذ الأسرة الساجية (بنو الساج)^(١) . وقد حكمت هذه الأسرة الساجية منطقة أرمينية — التي كانت وقتذاك تابعة لاهليم الجزيرة — بالاستقرار مع عيسى بن الشيخ وحلفاؤه من بنى سيان وابن كنداج . وانتهى بنو الساج من أرمينية وأذربيجان باغتيال « أبو المسافرين فتح بن أفسين » بيد أحد غلمانه، ومغادرة آخر أفراد الأسرة الساجية البلاد الأرمينية ، ليصبح مجرد ضابط في الجيش العباسي تحت أمرة ابن رائق^(٢) .

والحق أن الأسرة الساجية ممت — بعد سنة ٨٣١٧ — بفترة مشوبة بالاضطرابات والفتن . وكل ما نعلمه عن هذه الفترة الحرجة في تاريخ بنى الساج بأرمينية هو أنه تعاقب على حكم أذربيجان اثنان من غلمان بنى الساج هما : وصيف شيرواني و « مفلح » الذي ورد ذكره عام ٨٣١٩ م) ، ضمن ذكر اغارة على البلاد الأرمينية^(٣) . وان كان من غير الواضح كم من الوقت استمر حكمهما .

والثابت ، أنه في عام ٨٣٠ م (٩٣٣ م) حصل مرداويج بن زيار الديلعي سيد أو حاكم طبرستان واقليم الجبل — من الخليفة العباسي المعتذر بالله (٨٣٣٠-٨٣٩٥) — على عهد متوليته اقليم أذربيجان والبلاد الأرمينية ، الى جانب طبرستان والجبل^(٤) . ولم يثبت ما اذا كان مرداويج بن زيار قد توجه الى هناك ليدير هذه المناطق ، أو أنه أرسل أحد معثليه ليحكم هناك نيابة عنه . بل أن المرجح أن اقليم أذربيجان ، كان — وقتذاك — لا يزال في يد ديسم بن شاذلويه الكردي أحد ضباط

(١) بنو الساج : هم أسرة تنسب الى ضابط تركي من ضباط الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٢٢ — ٢٢٤٧ هـ) . وقد قتل أحد أفرادها البارزين عام ٨٣١٥ م (٩٢٧ م) اثناء القتال ضد القرامطة . راجع : زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي . ج ٢ ص ١٧٧ وابن حوقل : صورة الارض ٢٢٨

(٢) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 454. (٢)

Canard : Hist. de la dyn. des Hamd., P. 454. (٢)

Defermery; Sadjides (J. Asiatique, 1947, X P. 436).

(٤) ابو المحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٢٢ .

يوسف بن أبي الساج^(١) . فلما قتل مرداويج بن زيار للعلمي أوائل
علم ٣٣٣ هـ (٩٣٥ م) ، واصل أخوه وخليفته « وشمكير » المناداة
بمطالبه في أذربيجان^(٢) .

وهكذا يتضح أنه منذ وفاة آخر أمراء الأسرة الساجية في
أذربيجان — وهو أبو المسافر فتح بن أفسين سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م)
انتقلت الأمور في هذا الاقليم الى أيدي مختلف القادة والضباط الساجين
الذين بذلوا جهودا كبيرة لاحكام السيطرة على أرمينية ، حتى دون اذن
الخليفة العباسي ، علما بأنهم لم يقوموا بكثير من غارات على أرمينية
لم تسفر عن نتيجة تذكر^(٣) .

والواقع أن عملية اسلاس قياد منطقة أرمينية لم تكن بالمر
اليسير ، وذلك لعدة عوامل أهمها : تضاريس البلاد وصعوبتها . وكان
التعارف عليه بين الأرمن ، أنه اذا أمكن لأحد أن يتوغل في أرمينية ،
ويحصل على موافقة أمرائها ، وقبوله أميرا عليهم ممثلا للخلافة
العباسية ، أصبح من الميسور بعد ذلك أن ينال من الحكومة العباسية ،
عندا بتوليته على البلاد ليصير بذلك واليا شرعيا على أرمينية .

وفي هذه الاثناء كان ناصر الدولة الحماني — الذي خلف عيسى
ابن الشيخ الشيباني — في ديار بكر يأمل في ضم أرمينية لتصبح ضمن
الاقليم التي قلده الخليفة أمر ولايتها وادارتها^(٤) .

ولما كان ما يحكمه ناصر الدولة من بلدان يقع في مواجهة أراضي
الامبراطورية البيزنطية عبر ديار بكر ، ومطلوب منه الدفاع عن منطقة

(١) كان والد ديسم بن شانلوية من انصار هارون الشاري
الخارجي . فلما قضى على هارون وحركته بواسطة حسين بن دهمان ممثلا
للخليفة العباسي المحتفي (٢٨٩ — ٢٩٥ هـ) هرب شانلويه الى اكراد
أذربيجان .

راجع : ابن مسكويه : تجارب الامم ٢/٢٢ — ٣٣ و ٢٨٨/١ و ٤٠٤
وابن الاثير : الكامل : حوادث على ٣٢٥ هـ و ٣٣٢ هـ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ١١٨٥ مادة وشمكير .

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 463.

Canard : Ibid, P. 463.

(٤)

(٤)

ما بين النهرين (الميزوبوتوميا) • فقد صار من أهم مصالحه السيطرة على بعض الأماكن أو المواضع الرئيسية ، مع ضمان سلامة حركة المواصلات مع مدينة قاليقلا Qalqala في قلب أرمينية^(١) •

ويسمى كنارد هذه الفترة السابقة لعام ٣١٩ هـ وحتى سنة ٣٣٣ هـ بالفترة « القبل سيفية » ، أي الفترة السابقة على ظهور سيف الدولة الحمداني ، كأمير مسؤول مسئولية مباشرة عن مواجهة الروم • كما أنه لم يكن قد لقب بعد بلقب « سيف الدولة » • وكان لا يزال مجرد حاكم على مجموعة أقاليم حدودية ثغرية ثم يستدرك موضعا سمات هذه « الفترة الارمينية الميزوبوتامية » من الحروب ضد الروم • وقد سماها كذلك نسبة الى المسرح الذي جرت عليه المواجهة بين المسلمين من ناحية ، والروم والأرمن ومن ولائهم من ناحية أخرى^(٢) • وهو ما سنفصله بعد ذلك في موضعه وحينه •

الامارات العربية في أرمينية أبان القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) :

في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي وجدت في أرمينية عدة أمارات عربية مستقلة ، في منطقة الاباهونيك ، وبحيرة فان • وقد انعزلت هذه الامارات العربية الأربع عن الخلافة العباسية ، منذ ازدياد قوة جيرانها الأرمن ، وسم توالقالي ، الى التكيف مع هذا الوضع ، باذلة جهودا كبيرة لمصد محاولات الغزو من جانب كل من البيزنطيين ، والأردذرونيين حلحاء بيزنطة^(٣) •

وعلى الرغم من التضامن الذي كان قائما بين المسلمين هناك ، فلسوف نرى أن أمراء العرب في أرمينية ، كانوا يلقون من الحمدانيين نفس المعاملة التي كانوا يعاملون بها أمراء الأرمن ، وأنهم — أي

Canard : Ibid, P. 468/4.

(١)

Canard : Hist. de la Dynastie de Hamdanides, P. 468/4.

(٢)

Rundman : Ibid., P. 180

(٣)

أمراء العرب — كانوا يعتبرون أنفسهم كالأرمن الى حد ما ، حتى أنهم خضعوا في النهاية للغزو البيزنطي (١) .

وقد وجد في القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) عدد كبير من الجاليات الحضرية والامارات العربية المستقلة ، في أرمينية ، وجورجيا ، وألبانيا . وقد استمرت هذه الجاليات العربية ، منذ القرن التاسع الميلادي كما يذكر المؤرخ البيزنطي ثيود شيان Thopdschian — تقيم في مدن مثل دوين Dwin ، وظلت فيما يبدو محتفظة باستقلالها ، مع تناقص في عدد الامارات العربية الأرمينية (٢) . من ذلك مثلا امارة أرزن Arzen التي امتدت في عهد موسى بن زرارة الذي كان ينتسب بالمصاهرة الى الأسرة الباجراتية — وفي عهد ابنه « أبو المجرا » (المجرع) — Abul-Magra الذي يبدو أنه كان يبطن المسيحية حكم حتى «بتليس» وحدود الطارون ، الى أن دمرها « عيسى ابن الشيخ » . ومع هذا فان الأسرة لم تنقرض تماما الا في القرن العاشر الميلادي ، حين استولى جليجك أردزونى على آخر موقع كان في يدها هذه الأسرة العربية في الجنوب الغربى من البحيرة (فان) ، لتضم أرزن الى ديار بكر (٣) .

كذلك نجد من الاسرات العربية المستقرة في أرمينية الاسرة القيسية (أو القيسيين) ، والعثمانيين (٤) بنو خزيم ، والجصافيين Jah'haides وهي فيما يبدو فرع من القيسية عرب الشمال ، أو بصفة خاصة قبيلة سليم التي لا يعرف متى بدأت اقامتها في أرمينية .

ومما يذكر أن العثمانيين سيطروا في القرن التاسع الميلادي على مدينة « بيركرى » وحصن أميوك الواقع غربى

Brosset : Ibid., P. 244 - 246 + Canard : P. 471 - 2.

(١)

Canard : Ibid., P. 472.

(٢)

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج ٢ ص ١٩٩١

Laurent : Les Bagratuni Sous Goergie de la IX Siecle P. 326.

(٤) نسبة الى عثمان بن عمار بن خزيم ، الذى حكم أرمينيا خلال

سالم ١٦٦هـ ، ١٦٧هـ / ٧٨٣م . راجع البلاغرى : انساب الاشراف . وفتوح ص ٢١٠ .

بحيرة (غان) ، الذى ظل فى يدهم حتى انتزعه منهم جاجيك الارذونى فى مستهل القرن العاشر الميلادى ، ونجح فيما فشل فيه أسلافه أشوط ديرنيك . لكن سمباط البجراتى لم يرض عن هذا الاستيلاء وذلك لأن العثمانيين كانوا يدفعون له الجزية فى ذلك الوقت . وفى سنة ٩٠٢/٣ م كان العثمانيون ما يزالون يسيطرون على بيرى ، وكانوا فى صراع ضد أمير منزيكرت (ملازكرد) ، التى كانوا منذ ثلاثين سنة مضت (منذ نحو سنة ٨٧٣م/٨٢٥٩) طغاءها ضد الملك الأرمنى أشوط الارذرونى . وفى الحملة التى شنتها أسرتا البجراتين والارذرونيين — سنة ٩٠٢م ضد أمير منزيكرت سيد الإباهونيك وقف أمير بيرى العثماني فى جانب الأرمن وهو عثمانى عربى مسلم وهو مالم نعد نسمع عنه بعد ذلك شبيهاً ، حيث انتقلت السيادة على بيرى الى أيدى الأسرة الحاكمة فى منزيكرت^(١) .

ومما يدل على أهمية حكام منزيكرت القيسيين (من بنى سليم) وتأثيرهم فى تاريخ تلك المنطقة ، فى السياسة البيزنطية ، أنهم حظوا بعناية الامبراطور قسطنطين بورغروجنتس ، فى دراسته التى وضعها عن الامبراطورية البيزنطية بعنوان « ادارة الامبراطورية البيزنطية » وهى الدراسة التى اهتم بها المؤرخ مركفارت^(٢) فيما بعد .

ومن المهم أن ننقل الاجزاء الرئيسية فى نص قسطنطين بورغروجنتس : حيث يقول : « انه قبل عهد اشوط البجراتى (٨٩٢ — ٨٩٠ م) أمير الامراء ، كانت المدن الثلاث : بيرى (بيرى بالعربية) وشليات Chiat (بالعربية خيلات) وأردزيس Ardes (بالعربية ارجيش) فى يد العرب . لكنها كانت تابعة لملك أرمنية . وكذلك مدن طيبة Tibe وهى بالأرمنية «دوين» وبالعربية «دابيل» ، وشمرت Chert بالأرمنية : هير وبالعربية خوى ، خواى) ، وسلاماس Salamas والاخيراتان — أى خوى وسلاماس — تقعان فى اقليم اذربيجان . أما مدينة منزيكرت (مانزيكرت أو ملازكرد) فكانت

Canard : Ibid., P. 437.

(١)

Canard : Ibid., P. 474.

(٢)

في يد « ابي الورد » (بالفرنسية ابلكرت أو ابلبرت) — وهو « عبد البر » وهذا الراجح عند مركفارت وكان خاضعا لسيادة اشوط البجراطي . وقد منحه اشوط حكم مدن : شليات (خيلات) وارنزييس (ارجيش) وييركى (بركى) ، فظل يحكمها ، ثم خلفه ابنه عبد الحميد بن عبد البر أو (أبو الورد) — وتسميه المراجع الاجنبية *Abul Chamit* — ثم خلف هذا ابنه « أبو سواده » ابن عبد الحميد بن عبد البر (أبو الورد) وهو أيضا الذى تسميه المراجع الاجنبية *Aposebates* أى « أبو سواده »^(١) .

وبعد وفاة الملك انبجراطي « سمباط » سنة ٩١٤ م ، تمكن « أبو سواده بن عبد الحميد بن عبد البر القيسى » (من بنى سليم) من الاستقلال بحكم وادارة مانزيكرت ، وكل ما تحت يده من املك . وقد تعرضت املكه في عهده لهجوم ونهب الديمستيق (الديموستيكوس) البيزنطى ، في عهد الامبراطور البيزنطى « رومانوس ليكابينوس » (٩١٩ — ٩٤٤ م) ، نتج عنه خضوع أبو سواده وأخويه : أبا الأسود وأبو سالم (بالفرنسية أبو المشرق ، وأبو سالم) وقبولهم دفع الجزية للامبراطور ، الى جانب جزية أو ضريبة أخرى سنوية له ، تعبيرا عن هذا الخضوع واثباتا للولاء . وبذلك جمع أبو الأسود بين ولاين : ولاء لبيزنطة ، وولاء للحاكم البجراطي ، الذى كانت المدن التى يحكمها أبو الأسود في نطاق اقليمه ، وهى المدن المذكورة سابقا مضافا اليها مدينتى « هرق » *Hark* (شركا) *Charaka* وكوريه *Kori* (الورك) *Al-Warak* .^(٢)

والجدير بالذكر أن قسطنطينورغيو وجينتس اعتبر — في كتابه — أن كل هذه المدن التى في يد القيسية وسلالاتهم ، ضمن املك الامبراطورية البيزنطية ليس فقط لأن امراءها كانوا خاضعين سياسيا للامبراطور البيزنطى رومانوس ليكابينوس ، ولكن أيضا لأن سيدهم

(١) بورغويونتس : ادارة الامبراطورية ١٦١ ، ١٦٥ .

(٢)

الأول البيروني (اشوع الثاني ٩١٤ — ٩٢٩ م) كان تحت السيادة والحماية البيزنطية^(١) .

ثم يضيف بورغريجنس الى ذلك أن أبا الاسود ، أخا أبو سودة ، وابن عمه احمد (الذي لم يذكر اسم أبيه) وتسميه المصادر الفرنجية انيسوس) ، استوليا على « خيلات » (ثليات) وارذريس (أرجيش) والتركية ، واعتزها بالسيادة للامبراطور البيزنطي مثلما فعل أبو الاسود من قبل^(٢) .

أما عن الأخ الآخر (أبو سالم) — أبو سلمس — فوضع يده على « تزيماثرو » Tzermatrou^(٣) — أو بالأصح سراماثرو — الواقعة شمال غرب « هرق » ، والأراضي التابعة لها وخضع لسيادة الامبراطور — البيزنطي أيضا .

ولما مات « أبو سودة » خلفه ابنه « عبد الرحيم بن ابي سودة ابن عبد الحميد ابن عبد البر القيسي » ، ثم خلفه من بعده عمه « أبو الاسود » ، الذي سيطر على الأمور في مانزيكرت وأماكن أخرى ، ثم اعتقه أخوه أبو سالم^(٤) .

وكان لأبي سودة ابن آخر اسمه « أبو المعز » (وربما عبد المعز) . ولما لم يكن لأبي الاسود أبناء ، فإنه تبنى ابن عمه احمد .

بينما كان لأبي سالم (اخو أبو الاسود) ابن عبد البر الثاني أو (أبو الورد الثاني) . وقد حكم هذا في مانزيكرت كما يذكر بورغريجنس . بينما أبعد أبو المعز (عبد المعز) عن السلطة لحدائه سنة بعد وفاة والده « أبو سواده » وعمه « أبو الاسود »^(٥) .

Canard : Ibid., P. 474.

(١)

Canard : Ibid., P. 220.

(٢)

Canard : Ibid., P. 230.

(٣)

Canard : Ibid., P. 476.

(٤)

(٥) راجع قسطنطين بورغريجنس : ادارة الامبراطورية البيزنطية .

أما أحمد بن أبو الاسود (بالتبني) ، فتولى في عهد والده (بالتبني) حكم خيلات وأرجيش والتزيكية (ذات الجوز) ، واحتفظ بولاية هذه المدن في عهد أبو سالم ، مع استمراره في دفع الجزية للإمبراطور البيزنطي عن هذه المدن الثلاث . غير أن عبد البر الثاني ابن أبو سالم اغتاله واحتل المدن الثلاث ، التي طالب بها الإمبراطور البيزنطي مدعيا تبنيها له .

والجدير بالذكر أن مؤرخي الأرمن زودونا بمعلومات عن هذه الأسرة القيسية . حيث يظهر عبد البر (أبو الورد) معاصرا للملك البجراطي انشوط الاول ٢٤٨ - ٢٧٦ هـ كما ورد في كتاب تاريخي وضمه « توماس أردزروني » فذكر اسمه « إبلير » وأنه سيد الإباهونيك ومانزيكرت فيما بين سنتي ٨٦٨ و ٨٨٧ م (٢٥٤ - ٢٧٤ هـ) .

وفي مستهل القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي (٨٢٨٩ - ٩٠٢ م) ثار القيسيون (من بني سليم) على الملك سمبات البجراطي (٢٧٦ - ٣١٠ هـ - ٨٩٠ - ٩١٤ هـ) الذي كانوا يعترفون الملك الأردزروني المعاصر - حمله عسكرية أخمدت تمرد القيسية ، وإن لم يتمكن من الاستيلاء على مانزيكرت . وقد سمي الكاتب المؤرخ توماس أردزروني هؤلاء القيسية باسم « أبناء عبد الرحمن »^(١) .

وهو اسم لم نجده في تاريخ بورغروجنتيس . ويعتقد ماركفارت أنه

(١) يظهر اسم عبد الرحمن في نص لابن الأزرقي ، على أنه أبو شخص يدعى «أحمد» فينطبق على اسم أحمد الذي أورده قسطنطين بورغروجنتس . لكنه لم يذكر اسم أبيه (والد عبد الرحمن) . ولما كان أحمد هذا قد ذكره بورغروجنتس على أنه ابن عم « أبو لسفت » (عبد الحميد) ، أحد أبناء (ابن عبد البر) فإننا نخلص من ذلك إلى أن عبد الرحمن هو ابن عبد البر وأخو عبد الحميد وهذا يدل أيضا على أن اسم عبد الرحمن كان شائعا في الأسرة . وإن أحد الأجداد كان يحمل هذا الاسم . ومن ثم كان ورود اسم أبناء عبد الرحمن في تاريخ توماس أردزروني .

راجع :

يوجد خلط في الاسماء في تاريخ توماس أوردزروني^(١) . أما عن القيسية في أرمينية بعد هذه الفترة فليست لدينا عنهم معلومات .

وليس هناك شك في أن مدينة بيركزي ، قد انتقلت الى أيدي القيسيين ، عقب ضعف سلطان الاسرة البجراتية ، بعد وقوع سمباط (٨٩٠ — ٩١٤ م) في يد يوسف بن أبي الساج . كما لا يجب — في الواقع — أن نمطي أهمية لما أكده قسطنطين بورغويوجنتس من أن الملك اشوط البجراتي ، منح أبا الورد (ابثريت) مبدن بيركزي وخصلات (شيليات أو خلاط) ، وأرجيش كلقطاعيات له . اذ لو افترضنا — جدلا — أن اشوط البجراتي كان في حالة تسمح له بهذا العمل ، فانه كان من الاولى به أن يحتفظ بهذه المدن لنفسه ويتولى هو حكمها . ولكن يبدو أن بورغويوجنتس أراد — بتأكيد هذا الأمر — أن يكشف عن رغبته في اظهار تبعية هذه المدن للامبراطورية البيزنطية قانونا . لانها كانت تابعة للمملكة البجراتية ، التي أصبحت منذ عام ٩١٥ م خاضعة أو تابعة للامبراطورية البيزنطية^(٢) .

وهكذا يتبين أن أبناء عبد الحميد أبو الورد ، كانوا معاصرين للامبراطور البيزنطي رومانوس ليكاپينوس . (٣٠٩ — ٣٣٣ م ، ٩١٩ — ٩٤٤ م) ، وأنهم — بلا شك — قاموا بدور ما في عام ٢٨٩ م / ٩٠٢ م وكان « أبو الورد » الثاني يتولى الحكم أبان كتابة بورغويوجنتس لتاريخه — أي بين عامي ٣٣٨ — ٣٤٢ م ، ٩٤٩ — ٩٥٢ م) .

وعلى هذا يمكن القول أنه في الوقت الذي تدخل فيه الحمدانيون في شؤون أرمينية ، كانت منطقة الأباھونيك ، والنصف الشمالية لبحيرة (فان) Van في أيدي القيسيين ، أي أيدي أمراء عرب تابعين بدرجة ما للملك البجراتي والامبراطورية البيزنطية .

أما الجحافيون (بنو جحاف) — ويشتركون مع القيسية في أصل قبلي واحد — فهم ينتسبون الى جحاف السلامي (من قبيلة سلام) ،

Canard : Ibid., P. 475-476.

(١)

Canard : Ibid., P. 476.

(٢)

الذى تزوج سيدة أرمينية ، هى ابنة الأمير موشخ الذى قتل فى تمرد سنة ٧٧٢م (١٥٥ هـ) الذى قام ضد العرب فى أرمينية . كما لعب دورا هاما فى أرمينية أبان عصر المأمون ، حيث ثار على واليه السباسى هناك ، واستولى على مدينة دوين مقر الحكم الاسلامى بأرمينية^(١) .

وقد بسط « جحاف السلاوى وأبناؤه سيادتهم ، على اقليم شاسع يمتد من أرشارونيك (منطقة نهر الرس جنوبى بحيرة قارص) حتى بحيرة فان واقليم طارون . كما سيطر على مدينتى منزيكرت وخیلات . ويذكر المؤرخون العرب والأرمن بعض أبناء جحاف السلاوى « بأسماء عبد الملك ، وعبد الله وعبد الحميد والد « سواده » ، الذى دأن لخالد ابن يزيد بن يزيد الشيبانى ، فى أواخر حكمه ، الذى تعاون مع والى اذربايجان وأرمينية وقتذاك « ابو سعيد محمد بن يوسف مروازى^(٢) » (٢٣٥ هـ / ٨٤٩م) .

على أننا نعتقد للأثر التاريخى لهؤلاء الاشخاص فى أرمينية (فى أواسط القرن التاسع الميلادى / أواسط الثالث الهجرى) . فقد ذكر الطبرى ابن سواده — ويدعى جحاف فى حوادث سنة ٨٢٥١ / ٨٦٥ م على أنه قائد للقوات الاسلامية فى ملصية *Malytina* . ويبدو أنه — فى هذه الفترة انتقلت الاقاليم التى كانوا يملكونها أو يحكمونها ، الى أيدي اسرة سلاوى آخر ، لابد أنه كان من أقرباء أبو الورد (عبد البر) التى كان أبناؤها يحملون بنوع خاص اسم « القيسين » ، لكن سوف نتبين أن هؤلاء الجحافيين ظلوا يملكون اقليما ما فى أرمينية ، حيث كان بعضهم على علاقة بسيف الدولة الحمدانى عام ٣٣٨ هـ ، دون ذكر أو تحديد للاقليم أو المدينة التابعة له^(٣) .

Canard : Ibid., P. 477.

(١) .

Canard : P. 477.

(٢)

Canard : P. 477 - 478.

(٣)

(ج) الممالك الأرمينية في مستهل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) :

كان يوجد بأرمينية منذ القرن التاسع الميلادي (النصف الثاني منه بخاصة) مملكتان تملوان على مختلف الامارات الاقطاعية الأرمينية هذا فضلا عن الامارات العربية الاسلامية التي كانت هناك في نفس الفترة • وقد حاولت مملكتان أرمينيتان ممارسة نوع من السيطرة والسيادة على الامارات العربية الاسلامية آنذاك • هاتان المملكتان الأرمينيتان هما : مملكة النجارطة (البجراطيون) في شمال أرمينية ، والمملكة الأردزرونية في جنوب البلاد ^(١) •

ومن ناحية أخرى تعرض للنفوذ العباسي — في مستهل القرن التاسع الميلادي — في إقليم القوقاز للزوال • وذلك بسبب التمرد الخطير الذي قام به اسماعيل بن شعيب أمير تفليس على عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣ هـ) • هذه الثورة تم سحقها واخمادها بمساعدة أمراء الأرمن • كما شهدت سنة ١٩٧ هـ (٨١٣ م) حركة تمردية أخرى قامت في مدينتي دبيل (دوين) وورذعه ، فضلا عن قيام المسلمين في تفليس سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) بالتمرد ثانية على أميرهم وقتذاك محمد بن عطب • كما هزمت القوات العباسية في مدينة كاكتي Kakhti سنة ٢٢٦ هـ (٨٤٠ م) و ٢٢٨ هـ (٨٤٢ م) من جانب قوى أرمينية محلية ، وفي سنة ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) تمرد أمير تفليس ، ورفض السماح لقوات الخلافة العباسية بقيادة « بنا الكبير الشراي » بالتدخل للقضاء على محاولة جعل مدينة تفليس مركزا لدولة اسلامية في إقليم القوقاز ^(٢) •

أما عن الوضع بالنسبة للجانب البيزنطي ، فقد تأثر موقفهم بتفجر النزاع الديني الأيقوني مرة أخرى ، في نفس الوقت الذي كانت الخلافة العباسية تعاني من متاعب داخلية كثيرة • كما منيت بيزنطة

Allen, W.E.D. : Hist. of the Georgian People, P. 81 - 82.

(١)

Allen : Ibid., P. 82.

(٢)

حين حاولت التدخل في شئون بلاد الالبغاز بكثرة وهزيمة ملحقة سنة ٨٤٢م (٨٣٢٨)^(١) .

ومع استمرار تدهور أوضاع كل من القوتين المتنافستين وقتذاك (العباسية — والبيزنطية) ، برز البيت البجراطي رافعا لواء التمرد ، معبرا بذلك عن تلك الروح الجبلية الصرفة لسكان أرمينية ذات الطبيعة الجبلية الجافة . كما نصب أشوط الارذرؤني نفسه ملكا على اقليم الفاسيوراكان جنوبي بحيرة (فان) Van . أما باقي المناطق الأرمينية ومعظم منطقة جورجيا فقد توزعتا أجنحة البيت البجراتي . وكان أكثر أفراد هذا البيت عقلا وحكمة وشجاعة وحنكة ، في مواجهة أزمت القرن التاسع الميلادي المحقة بأرمينية ، هو أشوط البجراتي امير شيراك Chirak الذي حقق نصرا على العرب الموجودين هناك ، فعينه نبلاء الأرمن عليهم سنة ٨٨٦/٨٨٧م (٢٧٣ — ٢٧٤هـ) ملكا ومنحوه لقب « ملك ملوك الأرمن » (أو شاهنشاه الأرمن) Armen = Arkhôn Arkhonton Armenôn ويستمر ملكا على الأرمن دون منازع حتى سنة ٨٩٠م^(٢) .

والجدير بالذكر أن كلا من الملكتين الأرمينيتين كانتا من صنع المسلمين أنفسهن ، الذين أرادوا — بمساعدتهم لاقوى وأكبر أسرتين اقطاعيتين في أرمينية — استغلال نفوذهما لصالح دولة الخلافة العباسية . ولا غرو ، فقد بلغت دولة الخلافة تشعب — منذ النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي أوأخر القرن الثالث الهجري — بالحاجة الماسة الى مصانعة الأرمن ، لكي تكسبهم — ولو بطريق غير مباشر — الى جانبها في صراعها ضد الروم ، الطامعين في فرض نفوذهم وبسط سيطرتهم على البلاد الأرمينية^(٣) .

Allen : Ibid., P. 82.

(١)

Allen : Ibid., P. 82.

(٢)

Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 468.

(٣)

ففيما يتعلق بالملكة الجراتية (البجراتونية) ، قرر الخليفة العباسي المتوكل على الله سنة ٢٤٦/٢٤٧ هـ (٨٦١ - ٨٦٢ م) منح لقب « أمير أمراء أرمينية وجورجيا وبلاد القوقاز » لأحد أفراد هذه الأسرة وهو أشوط الأول Achût I بن سمباط Sombat . فلما رأت الامبراطورية ذلك ، قررت الرد على المبادرة العباسية تجاه البجارتة ، بمنح أشوط الأول نفسه لقب ملك Rex (١) .

ولقد سعت المملكة البجراتونية الأرمينية الفتية ، الى دعم نفوذها وسلطانها ، على حساب كل من الامراء الأرمن ، والأمراء ان عرب المسلمين المستقرين في مختلف مدن أرمينية وأقاليمها . وكان التوفيق حليف هذه الأسرة الملكية الاقطاعية . ذلك أن مدينة دوين Dwin أو دابيل Dabil عاصمة أرمينية الاسلامية ، اعترفت بسلطة وسيادة الملك البجراتي أشوط الأول بن سمباط (٢) .

غير أن الأمور لم تستقم على هذا الوضع . اذ حدث نوع من رد الفعل العنيف ضد تنمية أو تقوية نفوذ المملكة البجراتية في عهد سمباط بن أشوط الأول (٨٩٠ - ٩١٤ م / ٢٧٦ - ٣٠١ / ٣٠٢ هـ) . وكان رد الفعل هذا من جانب بني الساج أمراء أذربيجان ، والقائد أفشين التركي ثم خليفته يوسف بن أبي الساج ، اللذين كانا يتوليان أمور أرمينية وأذربيجان ، مؤسسين بذلك أسرة حاكمة صغيرة شبيهة مستقلة عن الخليفة العباسي (٣) .

اتجهت سياسة كل من الأفشين بن مازيار التركي ، ويوسف ابن أبي الساج نحو تشديد القبضة على أرمينية ، وذلك دون التقيد بالالتزامات المتفق عليها بالنسبة للأرمن منذ بداية العصر الاسلامي بها ، وهي الالتزامات التي طالما أوفى بها أسلافها (٤) . وكان يوسف

Laurent : Les Bagratuni sont en Georgie de le IX Siecle, (١)

P. 128, 267/3, 282 + Runciman, Romanus Lepasenus, P. 152.

Runciman : Ibid., P. 152 + Laurent : Ibid., P. 282. (٢)

Laurent : Les Bagratuni, P. 282 + Runciman : Ibid., (٣)

P. 152.

Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 464. (٤)

ابن أبي الساج كثيرا ما يفرج على طاعة الخليفة العباسي . وانتهى الأمر بأن وقع سمباط ابن أشوط الأول (٨٩٠ - ٩١٤ م / ٢٧٦ - ٨٣٠١) . أسيرا في يد يوسف ابن الساج سنة (٨٣٠١ / ٩١٤ م) ، الذي لم يلبث أن أعده بعد تمغينه^(١) .

اعتلى أشوط الثاني بن سمباط « التعميس » عرش أبيه بعد مقتله سنة ٩١٤ م ، وتولى حكم أرمينية باسم البجاردة فيما بين سنتي ٩١٥ م ، ٩٢٩ م - (٣٠٢ - ٣١٦ هـ) . لكنه لم يتمكن من بسط سيطرته الملكية على كل الأراضى الأرمينية ، وذلك بسبب قيام أحد اقربائه الأسبرايوت (القائد العام) أشوط ، بالسيطرة على جزء من أرمينية بمساعدة يوسف بن أبي الساج ، الذي ألبسه التاج الملكي ، ونصبه ملكا على أرمينية في دوين حاضرة الحكم الاسلامي هناك ، وذلك لكي يضارب به أشوط الثاني^(٢) .

انصرف يوسف بن أبي الساج - بعد تتويج القائد العام أشوط ، أحد أقرب الملك البجراطي أشوط الثاني بن سمباط التعميس - باهتمامه لحسم الموقف مع الخلافة العباسية . اذ خرج محاربا جيش الخلافة في اقليم الجبل . وعندما تم أسره سنة ٣٠٧ هـ (٩٢٠ م) وسيق مكبلا الى عاصمة الخلافة (بغداد) حل محله في عمل أرمينية عامله ومولاه سبك Subuk - بالأرمينية Spuk ومع هذا لم يتمكن أشوط الثاني من السيطرة على دوين عاصمة الحكم الاسلامي في أرمينية^(٣) . لم يمكث يوسف بن أبي الساج في أسره بدار الخلافة أكثر من ثلاث سنوات ، اذ عاد بمدها سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) الى محله في اذربيجان ، حيث اطلقت الخلافة العباسية سراحه بعد تفاهم ما تم بين الطرفين^(٤) . اذ يبدو أن حولة الخلافة رأيت وقتذاك من المفيد مصالحه يوسف بن أبي الساج ، والاعتراف بسلطانه على ما تمت يده من

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٤٥ . Defremery : art :

Sajides : Ency. of Islam, Vol. IX, P. 388, 409 +

Laurent : Ibid., P. 288 + Roncman : Ibid., P. 182/3.

Defremry : Ibid., IX, P. 409.

(٢)

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٤٥ - ٢٤٦ و

Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 465.

(٤) أحمد المسعود سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ج ١ ص ٢٦٧ .

بلاد ، ومنحته مزيدا من السلطات في ادارة ما تحت يده من بلدان وأقاليم ، وذلك مقابل قيام يوسف بن أبى الساج بمهمة صد خطر القرامطة عن دولة الخلافة . ومما يؤكد ذلك أنه بعد نحو أربع سنوات من عودة يوسف بن أبى الساج الى دوين كلفه الخليفة العباسى (المقتدر ٢٩٥ — ٣٢٠ هـ) ٣١٤ هـ — بمحاربة القرامطة . فينفذ ابن أبى الساج ما كلف به ، ويقادر اذريجان لهذا الهدف ، لكنه لم يعد اليها ابدا بعد ذلك ، لأنه قتل سنة ٣١٥ هـ (٩٢٨ م)^(١) .

ومن ناحية أخرى فقد تمكن أشوط الثانى بن سمباط التميمى من احلال الهدوء والأمن في البلاد الأرمنية ، التى كانت خاضعة لسلطانته . كما تمكن من عقد الصلح مع الأمراء الأرمن ، بحيث اعترف له خصومه وأنداده — وبخاصة أمراء أسرة أردزرونى — بالسيادة عليهم^(٢) .

ويبدو أن المملكة البجراطية في عهد أشوط الثانى ، لم تتشغل كثيرا بخليفة يوسف بن أبى الساج ، حيث ظلت دوين في دائرة النفوذ الاسلامى ، تحت حكم واليها العربى المسلم نصر السبكى Nacr Subuki أحد غلمان سبك فيما يرجح — ثم مات أشوط الثانى سنة ٩٢٩ م (٣١٦ هـ) ، ليخلفه أخوه عباس (أباز) Abas في حكم أرمينية لمدة ثلاثين عاما (٩٢٩ — ٩٥٨ م)^(٣) .

وفي عهد عباس ابن سمباط التميمى (٩٢٩ — ٩٥٨ م) عاشت المملكة البجراطية ازهى وأقوى فترات حياتها ، حيث اعتبرت أقوى سلطة في أرمينية ، وذلك على الرغم من أن رئيس هذه الأسرة — الملك عباس — لم يتمتع بسلطة ملكية حقيقية على كل أرمينية . اذ كان عليه

Dorfermery : *Sajides. Ency. of Islam IX*, P. 400 + (١)

Canard : *Ibid.*, P. 465.

Ruzciman : *Romanus Lecapenus 132 - 15* + Laurent (٢)

Les Bagratuni, P. 292.

Canard : *Hist. de la Dynastie des Hamh.*, P. 465 No. 206. (٣)

وينكر جروسية ان ابا (عباس البجراطى) توفى . حوالى عام ٩٥٢ م او ٩٥٣ م مستندا على رواية ازوليك . راجع :

Grousset : *Hist. de la Armenie*, P. 478.

مراعاة واحترام نفوذ الأسرة الملكية الاقطاعية الارمنية الاخرى . وكانت فترة حكم عباس هذه معاصرة لكل من ناصر الدولة وسيف الدولة الحمدانيين . كما اتسمت الى حد ما باستمرار وجود نوع من الفوضى الاقطاعية — سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة — بفعل الأمراء الاتباع أو الاحلاف الأرمن . وقد شملت هذه الفوضى مناطق: ترويران Turuberan — فيما عدا منطقة الابلهونيك — ومنطقة حوض نهر السرس الاعلى والأوسط ، والبلانيا الضربية ، بين نهري كر (كور) ، والرس Arax — وشمالى أرمنية^(١) .

كذلك كانت لاباز (عباس) سيادة اسمية فقط على منطقة جورجيا — أى منطقة تفليس Tiphlis وكور العليا — ، والطابق Taiq — (أى المنطقة الشرقية للشوروخ الوسطى ، حيث يحكم هناك أحد فروع الأسرة البجراتية) ، كما شملت سلطته منطقة الطارون Taron التى كانت فى يد بعض أفراد الأسرة البجراتية كذلك^(٢) .

وكان حاكم منطقة جورجيا يذكر اسمه عادة مع لقب كوربولات Curopolats أى حاجب البلاط — الذى كان يمنحه له الامبراطور البيزنطى . وبعد وفاة الكوربولات اترنرسيه الثالث Aternerseh III فى عام ٩٢٣ م — خلفه ابن عمه «اترنرسيه الرابع» على حكم منطقة جورجيا حتى عام ٩٤٥ م ، ثم اعتقه أبوه أنشوط الثانى بن اترنرسية الرابع ، الذى ملت علم ٩٥٤ م^(٣) .

ومن ناحية ثانية كان أمير اقليم طارون — فيما بين ٩١٤ و ٩٣٦ م (٩١٤ — ٩٢٩ م) فى عهد اخيه وخليفته (٩٢٩ — ٩٥٨ م) —

Canard : Ibid., P. 465-466 No., 207.

(١)

Canard : Ibid., P. 466.

(٢)

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٦٥ والبلاذرى : فتوح

ص ١٩٤ و

Brosset : Hist. des Ardsrounais, P. 191, N. 3 + Hist. de la georgie I, P. 280 + Runciman : Romanus le Lecapenus P. 167/1 + Laurent : Bagratum, P. 99.

هو جريجوريك — أو كريكوريكوس — الذى مات فيما يرجع قبل عام ٩٣٩ م ، فقسمت — بوفاته — منطقة جورجيا بين كل من ابنه الأكبر طورنيق Torniq ، وابن ابو غانم Apoganem أخى جريجوريك^(١) .

لقد كان أمراء طارون Taron — شأنهم شأن سائر أمراء أرمينية — على علاقة وطيدة ببيزنطة . ويبدو أن جريجوريك كان قد تنازل عن حقوقه اسميا في ذلك الاقليم بالاعتراف بالسيادة الاسمية للامبراطور البيزنطى ، وذلك مقابل تلقيه معاشا شهريا بصفته السابقة حاكم اقليم الطارون Magistar Stratège ، بينما ، احتفظ فعلا باستقلاله^(٢) .

وتمشيا مع هذا التصرف من جريجوريك فقد منح الامبراطور البيزنطى لقب حاكم — استراتيجوس — لبجارات بن جريجوريك أما أشوط Achot الابن الطبيعى لجريجوريك ، فمنحه الامبراطور لقب بطريق Patrios . ولما كان كل من الأخوين أشوط وبجارات ابنا جريجوريك يطعمان في نصيب ابن عمهما طرنيق (تورنيك) Torniq في الميراث ، لذا قرر أشوط التنازل للامبراطور عن اقليمه الواقع في القسم الغربى من الطارون ، مقابل الاقامة في القسطنطينية عاصمة الامبراطورية . لكن المنية عاجلت تورنيك قبل سفر أشوط الى العاصمة البيزنطية^(٣) .

وبهذا يكون الجو قد خلا لكل من باجارات وأشوط ، لئلى يستوليا على ممتلكات (طورنيق) Torniq وذلك بالتنسيق والاتفاق مع الامبراطور البيزنطى ، مقابل تنازلهما عن منطقة اوغنوت Oghnut وما جاورها في الحد الغربى من اقليم طارون . ويبدو أن حكم باجارات لاقليم الطارون استمر حتى عام ٩٤٠ م فقط ، ثم خلفه أخوه

Canard, Hist. de la dynastie de Hamd., P. 486/487. (١)

Canard : Ibid., P. 487. (٢)

Brosset : Hist. des Arméniens, P. 101, No. 3. (٣)

أشوط الذي مات عام ٩٦٦/٩٦٧ م حيث آل اقليم الطارون بعده الى الادارة البيزنطية مباشرة^(١).

أما فيما يتعلق بالمملكة الجرجانية نفسها ، فقد كانت هناك علاقات بين أباز (عباس) والحمدانيين . وبالنسبة للعلاقات بين بنى الساج وأباز في أذربيجان فلم يتوافر لنا قدر كاف من المعلومات . وان كان من الثابت أن أمراء بنى الساج — حكام أذربيجان — كانوا يرونون بنظرهم الى أن تصبح أرمينية كلها تحت سيطرتهم ومع ذلك لم تستمر دوين — عاصمة الحكم الاسلامي في أرمينية — في يد أمير عربي واحد كما كان قبلا^(٢).

ففي سنة ٣١٩ هـ (٩٣١ م) قام القائد المسلم « مفلح الساجي » غلام يوسف ابن أبي الساج — سيد أذربيجان — بحملة انتقامية ضد الروم ، والأرمن الموالين لهم ، عقابا لهم على حملتهم التدميرية ضد المسلمين المقيمين في منطقة بحيرة (فان) Van ، أو Wan وهذه الحملة هي التي أصبح بعدها مفلح سيد أذربيجان دون منازع^(٣).

هذا في الوقت الذي كانت بيزنطة ، قد بدأت طورا جديدا من أطوار المواجهة مع المسلمين ، وذلك بتولى رومانوس ليكابونوس Romanus Lecapenus الحكم (٩١٩-٩٤٤ م) . وان كانت توليته أعقبها على الفور تغيير ملحوظ في الموقف على الجبهة الاسلامية ، خاصة وان الحرب بين البلغار والروم ظلت يضطرمه بعض الوقت . وايا كان الأمر فلم يكن حظ الروم في البداية سوى هزائم متتالية ، فيما عدا انتصار بحري أحرزه أسطولهم ضد القائد المسلم أبو الحارث غلام ظرافه المنطلق بقواته البحرية من طرابلس حول سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١/٩٢٢ م) .

(١) البلائرى : متوح البلدان ص ١٩٤ و

Brosset : Hist. de la Georgie, I, P. 290 + Runciman : Ibid, P. 167/8.

Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 468.

Canard : Ibid, P. 468.

(٢)

(٣)

هذا ، فضلا عن محاولة بيزنطية فاشلة ، كانت قد جرت في أرمنية في انعام التالي لتولى رومانوس ليكابينوس العرش — أى سنة ٩٢٠ م — لانترباع دوين Dwin — المحينة الاسلامية في أرمنية — من يد حاكمها سببك Subuk غلام يوسف بن أبى الساج^(١) .

ولقد أظهرت هذه المحاولة اهتمام الامبراطور الجديد رومانوس ليكابينوس — الأرمنى الأصل — بشئون أرمنية اهتماما خاصا ، فضلا عن اهتمامه بصفة عامة بالحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية، وذلك على الرغم مما يهدق بدولته — من أخطار من جهة الغرب^(٢) . واستمرت للحملات العربية الاسلامية تنطلق برا من ملطية ، وبحرا من طرسوس ، كان منها حملة قادها القائد شمال (ثمل) الطرسوسى Thama في عام ٨٣١١/٨٣١٢ م (٨٢٣-٨٢٤ م) . وهى الحملة التى اتصل خلالها الطرسوسيون والبلغار ، اللذين ركب بعضهم سفن المسلمين وعادوا معهم الى طرسوس^(٣) .

والجدير بالذكر انه كان هناك في ذلك الوقت (أوائل القرن الرابع الهجرى) ثمة مشروع لتحالف بلغارى — اسلامى ، سعى البلغار الى تحقيقه في القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) ، حين فكر الملك البلغارى ذو البأس سيميون ، في غزو القسطنطينية عاصمة الروم ، متطلعا الى تنويجه ملكا (قيصر) للبلغار والروم معا^(٤) . ولما كان من العسير — ان لم يكن مستحيلا — غزو القسطنطينية برا ، لذلك احتاج

(١) ابن الأثير : الكلب : حوادث ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق حوادث ٣١٠ — ٣١٢ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ١٦/٢ — ١٨ وابن الأثير : الكلب : ج ٨ ص ٤٥ حوادث ٣١١ ، ٣١٢ هـ ، على انه ليس من المعروف ما اذا كان هؤلاء البلغار هم بلغار سيميون حسيما يرى فزليف وكفارد ، أم انهم بلغار الفولجا كما يرى آخرون مستندين في ذلك الى رواية المسعودى . وما اذا كانت ثمة مفاوضات قد جرت بين الطرفين للتحالف ضد الروم أم لا ؟ راجع : المسعودى نفس المصدر والصحة .

Vasiliev : Byz et les Arabes .II, P. 222 + Canard : Arabes et Bulgares, P. 213 + Runciman : Romanus Lecapenus, P. 90 No. 3, P. 116-117.

(٤) صابر ديلب : أرمنية ص ١٥٤ .

سيمون — لتنفيذ فكرته ، الى عون بحرى فعال ، وهو ماحاول الحصول عليه من الفاطميين في بلاد المغرب ، فضلا عن بعض عرب المشرق . لكنه لم ينجح في مساعاه لأن سياسته بيزنطة كانت تركز جهودها على الحيلولة دون لقاء البلغار في تحالف مع الفاطميين أو التعاون معا ضدها ، لادراكها خطورة مثل هذا التحالف أو التعاون لو تم^(١) .

وقد حدثنا المؤرخ كنارد^(٢) — نقلا عن كدريوس Cedrenus — عن مشروع التحالف البلغارى الفاطمى . لكن من المؤسف حقا ان المؤرخ كدريوس لم يحدد لنا زمان أو تاريخ حدوث هذه المفاوضات أو الاتصالات البلغارية الفاطمية التي أجريت للتفاوض لعقد التحالف . وانما اكتفى بقوله فقط ان سيميون البلغارى كان تواقا الى غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها . فأوفد بعثة دبلوماسية الى ملك الافريقيين (يقصد الفاطميين) في هذا الشأن^(٣) . غير ان هذه المساعي البلغارية باءت بالفشل ، لوقوع البعثة البلغارية والوفد الفاطمى معا في قبضة احدى سفن الأسطول البيزنطى — عند عودة البعثة الى بلادها — وأسرهم ، ثم أطلق الروم سراح الفاطميين — اصطناعا لخليفتهم ودولتهم — مما كان له أثره الطيب في نفس الخليفة الفاطمى وقتذاك . وبذلك تكون قد فشلت المحاولة البلغارية للتحالف مع احدى القوى الاسلامية لضرب الروم في عقر دارهم ، مما لم يجد معه سيميون بدا من اظهار المسالمة — مضطرا — للروم والاتفاق معهم على وقف الغارات .

(١) صابر دياب : ارمينية ص ١٥٤

Canard : Arabes et Bulgares, P. 214 +

Canard : Ibid., P. 215.

(٢)

(٣) من المحتمل ان يكون هذا الاتصال تم بين البلغار والفاطميين حول سنة ٣١١ هـ (٩٢٣ م) أى في خلافة عبد الله المهدى (٢٩٦ — ٣٢٢ هـ)

Canard : Ibid., 215, 16, 20, 22.

راجع :

وكان سيميون البلغارى قد احتل عام ٣١٩ هـ (٩٢٣ م) مدينة أندريينوبل البيزنطية ، ثم اضطر لاختلافها ، حتى يتفرغ لمواجهة ثورة كانت قد نشبت وقتذاك في منطقة الصرب Serbia . وفي عام ٩٢٤ م (٣١٢ هـ) ثم لقاء بين كل من الامبراطور رومانوس ليكابينوس وبسيميون البلغارى ، تحت أسوار عاصمة الروم (القسطنطينية) . وهذا اللقاء وان لم ينته الى نتائج سريعة ملموسة ، الا أنه أسفر عن تجمد الموقف في الجبهة البلغارية — البيزنطية حيث توقفت الحروب فيها وقتئذ^(١) .

على أن الموقف تحسن — بعد ذلك — بين الروم والبلغار ، بعد وفاة سيميون وتولية ابنه بطرس أمر الأمة البلغارية . اذ عقد بطرس معاهدة صلح مع بيزنطة سنة ٩٢٧ م (٣١٥ هـ) . وفي نفس الوقت فان ما نجم عن هذه المعاهدة من توقف الهجوم البلغارى ، جعل الامبراطور رومانوس يلقي بثقله على الجبهة الشرقية معطيا الحرب ضد المسلمين الجالورين لحدود امبراطوريته من جهة الشرق (بلاد الجزيرة والشام وأرمينية) . وكان مما هيا الجو لهذا الاتجاه تعيين يوهنا كوراكوس Jean Domestias Corcuas — القائد البيزنطى الأرمنى الأصل — قائدا عاما « دمستق » للقوات البيزنطية آنذاك^(٢) .

وهكذا نجد أن رومانوس الأول ليكابينوس (٩١٩-٩٤٤ م) واصل سياسة بيزنطة العدائية تجاه المسلمين ، مما مهد الطريق للاتصالات التى أحرزها الروم في النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) . وقد عاونوه في هذا السبيل هؤلاء القادة الروم ، الذين كانوا من أصل أرمنى مثل الامبراطور نفسه . اذ وجه هؤلاء القادة اهتمامهم صوب كل من اقليم الجزيرة (الميزوبوتاميا) وأرمينية وكان من أبرز هؤلاء القادة : ملياس Melias^(٣) — خليج الأرمنى عند العرب ، وكان قائدا (استراتيجوس) وحكما للواء ليكاندوس Lycaudus

Runciman : *Romanus Lecapenus*, P. 112-115. (١)

Canard : *Hist. de la Dyn. de Hamd.*, P. 726, 727. (٢)

(٣) عن خليج الأرمنى : (ملياس) راجع .

Gregoire : dans *Byzantion*, S. 1933, PP. 63-67.

Grousset : *Hist. de la Arménie*, P. 477-478.

وصاحب الحروب • هذا فضلا عن يوحنا كوركواس (جورجين) قائد
اقليم الاسكول *Scholes* اعتبارا من سنة ٩٢٣م (٣١١ هـ) ، وأخوه
ثيوفيل *Theophile* استراتيج (حاكم) لواء خالديا (كالديا أو كلديا)
وهو جد يوحنا ترمسكيس • وكان يوحنا كوركواس خاصة ، هو صاحب
الفصل الأول في اتساع الامبراطورية وامتداد أطرافها تجاه الشرق •
مما جعل المؤرخين البيزنطيين يسمونه « شبیه تراچان » أو بليزاريوس
القائد الملحق^(١) .

وعلى الرغم من أن الحكام العرب أوقفوا ببيزنطة — أثناء تولى
يوحنا كوركواس قيادة قواتها — بوجه عام — ضربات قاصمة ، وتوغلوا
في إحدى حملاتهم حتى عمورية *Amorium* وأنقرة^(٢) ، فإن انتصاره
عزز — بوجه عام — موقف الروم ، وجعلهم يصمدون في وجه المسلمين
الذين نالت الخلافت من قوتهم ووحدتهم • هذا فضلا عن ما أصاب
الخلافة العباسية والسلطة المركزية للدولة من تدهور وانحيار •
فالقرامطة يتهددون العراق وعاصمتها بغداد^(٣) ، وثورات الأمراء ،
واضطرابات القصر الخليفي ، كل ذلك ساعد جيوش الروم ، وأجهد
القوة الإسلامية وشل فعاليتها وقدرتها على العمل تجاه عدو شرس^(٤) .

ففي بداية عام ٣١٤ هـ (٩٢٦ م) بدأ هجوم الروم على الثغور
والمواضع الإسلامية ، مدركين مدى الضعف الذي كان المسلمون
يعانونه • وقد أئذر المسلمين — قبل الهجوم — طالبا أن يدفع مسلما
الثغور المسلمية لبيزنطة الضريبة إذا أرادوا ألا يخرب بلادهم • فلما
رفض العرب ، دخل الروم بقيادة طليح *Melch* الأرمني ضواحي
مدينة ملطية ، وغربوها ، جاورها من قرى ورساتيق • مما دفع السكان
إلى إرسال وفد لبعدهم طالبا للنجدة ، دون جدوى ، وذلك بسبب انشغال

Canard : Hist. de la Dynastie, P. 781, No. 38.

(١)

(٢) ابن الأثير : الكمل حواشي ٣١٩ هـ (عن ثمال وحليته الناجحتين) .

(٣) ابن مسكويه : تجارب ١٤٥/١ — ١٤٦ هـ ومريب : ص ١٢٣
وابن الأثير : حواشي ٣١٢ هـ ، المسعودي : حوادث سنة ٣١٣ هـ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب ١٥٦/١ .

العباسيين بالخطر القرمطي ، الذي لم ينتهي الا في عام ٣١٦ هـ (بحاية ٩٢٨م)^(١) .

كذلك قام الروم — بعد ابراهيم معاهدة الصلح مع البلغار عام ٩٢٧م (٣١٥ هـ) بهجمات متواصلة على المنطقة الوسطى من الحدود العربية البيزنطية ، فضلا عن الحملات التي أرسلوها الى أرمينية لمساندة الأرمن ، في محاولة من الادارة البيزنطية لاحتسابهم للسيادة البيزنطية والولاء للامبراطورية ، كما كان الهدف من هذه المساعدات — الى جانب ذلك — أن يجعلوا من الأرمن مصدر خطر وتهدد دائم لشمال اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) أو المزيويوتلما ومنطقة (هنزيط) L'Anzitene وحسن زياد ، وشميشاط Chinchât ومنطقة سمسطة Samosata جنوبى ملطية في نفس العام ٣١٥ هـ (٩٢٧م)^(٢) .

وفي العام التالي (٩٢٨م / ٣١٦ هـ) حاول الروم بقيادة مليح (ملياس Melias) الأرمنى الاستيلاء على مدينة ملطية ، ولكن دون جدوى . وأصبح الوضع حرجا سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩م) — بالنسبة لكل من ملطية وآمد وأرزن وميافارقين ، لعدم حصول اهاليها على مايدعم صعودهم امام الهجمات البيزنطية الملمة والمحتملة بقيادة « مليح الأرمنى » . ولعل ذلك الوضع أضر به جيدا القائد البيزنطى فزحف سنة ٣١٨ هـ (٩٣٠م) على منطقة سمسطة في اقليم الجزيرة^(٣) .

ومن ناحية أخرى كان الوضع مختلفا الى حد ما في جبهة الثغور الشامية . ذلك أن أهل طرسوس Tarsos شنوا حملتين — ضد الروم في عامي ٣١٤ — ٣١٥ هـ (٩٢٦ / ٧ — ٩٢٧م) فشلت احدهما ونجحت الأخرى . كما شنوا حملتين أخرتين سنة ٣١٩ هـ (٩٣١م) بقيادة شمال Thamel الطرسوسى : احدهما كانت في الربيع ، والأخرى

Canard : Ibid., P. 732.

(١)

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق حولت ٣١٥ هـ وابن مسكويه : نفس المصدر والمصنعة .

Canard : Hist. de la Dynastie, P. 732/733.

(٣)

في الصيف ، فضلا عن حملة شنها بعد ذلك بقليل سعيد بن حمدان بن حمون^(١) .

ومما يروى أن الروم تمكنوا سنة ٨٣١٩ م (٩٣١ م) من احتلال مدينة ملطية للمرة الأولى^(٢) . وإن كان تحديد هذا التاريخ غير مؤكد بمصفة قاطعة . ذلك أن رواية ابن الأثير توضح أن أبا الصلاء سعيد بن حمدان تولى في هذا العام (٨٣١٩ / ٩٣١ م) حكم الموصل وديار ربيعة ، ثم تلقى أمرا من الخليفة المقتدر العباسي (٢٩٥ — ٣٣٠ م) باستعادة المدينة (ملطية) التي كان قد أخذها الروم . وهو ما يفهم منه أيضا أن المدينة استسلمت ليوحنا كوركواس قبل هذا العام ، أي في العام السابق مثلا (٨٣١٨ / ٩٣٠ م)^(٣) . فيقول ابن الأثير أن « غسائر الروم سارت الي سميساط (شميشاط) فحصروها ، فاستصرخ أهلها بسعيد بن حمدان » وإني الموصل وديار ربيعة ، الذي اشترط عليه الخليفة — العباسي — المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٣٠) عند توليته ، أن يغزو الروم ، ويستنقذ منهم ملطية ، التي كان أهلها قد ضحكوا ، فصالحوا الروم ، وسلموا مباحثيع البلد اليهم ، فحكموا على المسلمين^(٤) .

تجهز سعيد بن حمدان وسار إلى سميساط لاجلاء الروم عنها . فلما قاربها هربوا إلى ملطية ، التي كان بها جمع من الروم ، وعسكر القائد البيزنطي مليح الأرمني (ملباس) . يؤازره بنائ بن نفيس البضارج على الخلافة العباسية ، الذي تمرد على المقتدر وتصر أثناء

(١) عريب القرطبي : صلة الطبري ص ١٤٦ و
Vasiliev : Byz. et les Arabes P. 230, 232.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٢٠ و
Canard : Hist. de la Dyn. P. 733 No. 40.

(٣) كتبت ملطية تحت سيطرة حاكمة بيزنطية وتمرد عربي يدمي « بنائ بن نفيس » الذي كان قد فر من بغداد بعد فشل انقلاب على الخلافة اشترك فيه سنة ٨٣١٧ م . راجع : ابن الأثير حوادث ٨٣١٧ .

(٤) ابن الأثير : الكلل ج ٦ ص ٢١٧ (حوادث ٨٣١٩ م)

مقامه مع الروم • فلما أحس الروم بمقدم سعيد بن حمدان إليهم وهم في ملطية ، خرجوا منها ، « خشيّة أن يدركهم سعيد وعسكره من ضارج المدينة ، ويثور أهلها في الداخيل على الروم فيهاكوا ، ففارقوها » ودخل سعيد بن حمدان ملطية ، ثم استخلف عليها أميراً ، وعاد منها الى غزو بلد الروم وكان دخوله بلد الروم في شوال سنة ٣١٩ هـ ، حيث قدم بين يديه سريتين تمكنتا من العسكر البيزنطى في البلد ، فقتلوا منهم خلفاً عظيماً قبل دخوله اليها « (١) •

وقد أورد أبو فراس الحمدانى في احدى قصائده ثلاث اشارات بشأن حملة سعيد بن حمدان هذه على الاقليم البيزنطى • وتعليقنا احدى هذه الاشارات أو التعليقات تأريخاً للحملة بأنها كانت سنة ٣٣٩ هـ (ولكن صحته ٣١٩ هـ حيث توفي سعيد بن حمدان سنة ٣٣٣ هـ) أما التعليق الثانى — وهو خنو من أى تاريخ — فيبين أن سعيد بن حمدان قام من ملطية وفى صحبته سيف الدولة ، وأنه وصل الى ليكاندوس (لوقاندو Luqando) وسمندو Samendo أو ترامندوس ، والصفصاف Ao-Carost ووادى صبور • وعلى الرغم مما قيل فى شأن هذه الحملة من أنها انطلقت من حلب — وهو أمر مستحيل بالنسبة لتاريخ وفاة سعيد بن حمدان وهو سنة ٣٣٣ هـ — ، الا أن من الراجع جداً ان تكون هذه العملية هى عملية سنة ٣١٩ هـ • أما التعليق الثالث فيذكر فقط مرور سيف الدولة مع عمه سعيد بملطية عام ٣١٨ هـ (والصحيح ٣١٩ هـ) (٢) • وهذا بلا شك كان أول عمل يشترك فيه سيف الدولة ، وكان عصره وقتها ١٥ عاماً (خمس عشرة سنة فقط) •

أما الرواية الاغريقية التى يوردها كنارد فتؤكد على حقائق

(١) ابن الاثير : المصدر نفسه ٢١٧/٦ — ٢١٨ ، وابن حوقل صورة

الارض ص ١٢٠ ، و

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 733 No. 40.

وسيستولى الروم على ملطية ثانية ٣٢٢ هـ بواسطة يوحنا كوركواس ، وتبقى فى يدهم حتى عام ٣٨٦ هـ (١١٠١ م) كما سيتضح فيما بعد •

(٢) أبو فراس الحمدانى : حيوانه (نشر الدهان) ص ١٣٦ ونسخة

برلين ورقة ٣٧ •

أخرى ، أهمها أن أمير ماطية العربى المسلم « أبو حفص » Apochaps من خرية. عمرو بن عبيد الله الاكتسح ، ومعاونوه أبو الصلت دخلا فى مفاوضات مع يوحنا كوركواس ، لأنهما شعرا — فيما يبدو — بأن بغداد لا معنى بهما . وان يوحنا كوركواس احتفى بهما ، وأرسلهما الى القسطنطينية ، حيث عقدا معاهدة تحالف رسمية مع الامبراطور البيزنطى رومانوس الأول ليكابينوس (٩١٩ — ٩٤٤م) — الذى شارك قسطنطين السابع يورغيوينتس الحكم ٩١٣ — ٩٥٩م — وقد عاد معد عقد المعاهدة الى بلدهما ، حيث حاربا فى صفوف القوات البيزنطية . ثم ظهرا فى القسطنطينية كمتصرين يقودان أسرى المسلمين . وان المعاهدة ظلت سارية حتى مات أبو حفص فنقضها أهالى ملطية . كما يذكر كتارد أنه ليس من المؤكد ماذا كان الموقع الذى حرره سعيد بن حمدان قبل ملطية هو شمشاط أم لا (١) .

على أى حال ، لقد تخلصت ملطية من الروم مرة أخرى . ومن المحتمل أن يكون الروم قد قاموا — بعد قليل — بمحاولة جديدة لغزو المدينة . ففى سنة ٨٣٣٠م (٩٣٣م) حين كان مؤنس الخادم فى الموصل — متوردا على الخليفة العباسى — علم ان الروم يزحفون على ملطية ، فأتصل مؤنس بنائى بن نعيمس الذى بقى على صلة طيبة بالروم . فلقنهم بنائى بالكف عن الهجوم تلك السنة (٢) .

ثم عاود الروم محاولتهم لغزو ملطية سنة ٨٣٣٢م/٩٣٤م بقيادة القائد البيزنطى — الأرمنى الأصل — يوحنا كوركواس ، الذى صحب معه للقائد مليح الأرمنى أيضا وجنوده الأرمن ، وكان جملة تعداد قوات كوركواس حول خمسين ألف مقاتل . وفى البداية حاربت حامية المدينة مدافعة عنها خارج أسوارها ، ولكن كثافة الجند البيزنطى اضطرتهم الى الانسحاب والتحصن داخل المدينة لتقع بعد ذلك تحت حصار شديد للروم ، ترتب عليه وقوع مجاعة بين أهلها وانتهى

Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 734-735. (١)

(٢) مريب : صلة الطبرى ص ١٧١ .

الأمر باضطراب حامية المدينة الى التسليم في غرة يوم الاثنين جمادى الآخرة ٣٢٢هـ (١٩ مايو ٩٣٤م)^(١) . وسلم الأهالي جميعا . وقد نبه الروم بأنه على كل من يريد البقاء في ملطية مع أسرته وأمواله ان يقتصر (يتحول للمسيحية) . اما من بقى على اسلامه فتم ترحيلهم الى الأراضى الاسلامية^(٢) .

وقد تعرضت ملطية ، بعد اقتحام الروم لها واستسلام حاميتها واخضاع أهلها لحكمهم ، لتخريب وتدمير شديد . وأصبحت بذلك من أملاك الادارة البيزنطية Curatore ، وظلت كذلك حتى سنة ٤٩٤/٤٩٥هـ (١١٠١م)^(٣) .

الاستيلاء على شميشاط :

تمكن الروم من الاستيلاء على سميساط (شميشاط أو اسمسوساط) في نفس الوقت الذى سقطت فيه ملطية سنة ٣١٩ في يد الروم . لكن استيلاء الروم على سميساط هذه المرة لن يكتب له الاستمرار ، وانما سنرى الروم يتمكنون . فيما بعد ، سنة ٣٣٤ هـ (٩٣٦م) فيقومون بالانغارة على آمد وسمسطة ، وأن سمسطة مونها سيف الدولة الحمداني ، ولم يتمكن الروم من فتحها الا في سنة ٣٤٧هـ (٩٥٨م)^(٤) .

ولقد نتج عن فتح الروم للمطية ، أنهم فتحوا المناطق التابعة لها وهى هنزيط (يذكرها كتارذ انزيتين Anaitene) وشميشاط . وقد أورد ابن حوقل في كتابه عن المسالك والممالك خبر استيلاء الروم على

(١) الهامى : التوقيعات الالهابة ص ٢٤٧ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٩٤ (حوادث ٣٢٢هـ) والمسمودى : التنبيه والاشراف ص ١٨٣ ، وياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٦٣٤ ، ابن السكفة : الدر المنتخب ١٩٧ .

(٣) مختار الهامى : التوقيعات ص ١٦١ . وقد أورد أنه في ٤ يناير ١١٠١ الموافق غرة ربيع الأول ٤٩٤هـ وقعت في يد الفرنج أيضا مدن : سروج من ديار الجزيرة وأرسوف بساحل عكا ، وقيسارية .

ملطية وحسن زياد وشميشاط . والراجح أن المسلمين تمكنوا من استعادة شمشاط من الروم ثانية سنة ٨٣٦ م (٩٣٨ م) ذلك أن سيف الدولة — بعد أن حاصر حصن زياد ، الذي كان تابعا لبيزنطة ، انسحب منها في نفس السنة الى شمشاط — التي كانت تابعة لبيزنطة^(١) .

نتائج سقوط ملطية وشميشاط :

استمر الوضع في هذه المنطقة غير مستقر لبضع سنوات الى أن ضمت هذه الاقاليم لبيزنطة ابان عهد الإمبراطور رومانوس ليكاينوس (٩١٩ — ٩٤٤ م / ٣٠٦ — ٨٣٣) . حيث ألحقت هنريط (أو خنزت Khanait أو أنزيتين) ، ورومانوبوليس الى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين — الميزوبوتاميا) كما أنشئ من ناحية أخرى — لسواء سمشاط^(٢) . والحق ان ذلك كله يعتبر صدئ لسقوط ملطية في يد الروم . وان كان ذلك لا يعنى ان عملية ضم هذه المناطق (هنريط ورومانوبوليس) والانشاء (انشاء لواء شمشاط) تمت جميعها عقب استيلاء الروم على ملطية مباشرة^(٣) .

كذلك كان من نتائج سقوط ملطية وشميشاط في يد الروم ، انتقال قبيلة بنى حبيب — وهى قبيلة منافسة لبنى حمدان — التي كانت تكيم في منطقة نصيبين ، الى الاقاليم البيزنطية . وهذه القبيلة كانت منذ زمن بعيد في نزاع مع الحمدانيين ، ولذلك انحازت الى جانب على ابن مقله الوزير العباسي ، في حربه ضد ناصر الدولة الحمداني ، الذي كان يهدف الى استعادة الموصل من القوات العباسية . وقد احتدم الصراع بشدة بين أسرة بنى حبيب وبين الحمدانيين ، الى ان حسم بسقوط مدينة « السميكية » عاصمة بنى حبيب وتدميرها تماما عام ٨٣٥ م / ٨٣٣ م^(٤) .

Canard : Ibid, P. 737.

(٢) قسطنطين بورغروجنس . ادارة الامبراطورية ص ٢٢٦ .

Canard : Hist. de la dynastie des Hamd., P. 737.

Canard : Ibid., P. 737/8.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

وقد حرص ناصر الدولة على تلقين بنى حبيب درسا قاسيا لا ينسى ، فضيق عليهم ، حتى اضطروهم للتخلي عن أراضيهم الخصبة الغنية ، بعد أن جعل حياتهم قطعة من العذاب . فرحلوا مع قطعانهم الى الاقاليم البيزنطية للاستقامة فيها ، واعتنقوا النصرانية ، ثم سرعان ما اندمجوا في آله الحرب البيزنطية ، وأصبحوا من أكفأ العسكريين في القوات البيزنطية ، بعد أن كانوا من أخطر أعداء الروم^(١) .

والمجدير بالذكر أن قبيلة بنى حبيب هذه التي كانت من القبائل ذات الشأن الكبير ، حيث كانت نديدة لبني حمدان ، وكان لديها من الفرسان مايزيد على العشرين ألف فارس ، هذا عدا أفراد أسرهم أو عبيدهم ، وكلهم على مستوى عال من الدربة والتجهيز — لقيت حفاوة بالغة من جانب السلطات الامبراطورية البيزنطية وقد نهج نهجهم بعض أفراد من قبائل أخرى هربا و فرارا من بطش الحمدانيين المتوقع بهم لعمالةهم بنى حبيب . أبان صراعهم ضد على بن مقلة^(٢) .

وأذا كان ابن ظافر قد أورد قصة بنى حبيب مع الحمدانيين ، فإن ابن حوقل ذكرها بمزيد من التفصيل في الفصل الذي أفرده في كتابه الحديث عن اقليم الجزيرة . فابن ظافر تحدث عن التناقص بين المشيرتين وهو ما بحدوثنا عنه أيضا أبو فراس في ديوانه . بينما يزيد ابن حوقل شارجا العوامل التي دفعت بنى حبيب للهجرة ، قائلا ان الحمدانيين انقضوا على البلاد وارهقوه بكل ضروب الظلم . . » وحدد ابن حوقل لذلك سنة ٥٣٣٠ تقريبا وهو ما يتوافق الى حد ما مع رواية ابن ظافر عن هذه الحادثة^(٣) .

Canard : Ibid., P. 737/8.

(١)

(٢) ابن ظافر : الدول المتقطعة . تحقيق روزنتال ص ١٠٣-١٠٥
Canard : Op. Cit., P. 738.

(٣) ابن حوقل : ط ١ ، ص ١٤٠ وما بعدها و ط ٢ ص ٢١١
وما بعدها .

وإبن ظافر : الدول المتقطعة ص ١٠٣-١٠٥ تحقيق روزنتال

أما روزنتال Rosenthal فيربط بين هجرة بنى حبيب للأقاليم البيزنطية ، وبين استيلاء الروم على ملطية ، كنتيجة لهذا الاستيلاء والحق أن صدى هذا الغزو كان قويا بلا شك ، ولا بد أنه قد أثر بطريقة أو بأخرى في القرار الذي اتخذته بنو حبيب بالهجرة — من نصيبين والسميحية ومنطقة الجزيرة بأكملها — إلى الأراضى البيزنطية^(١) .

لكن كنارد Canard يذكر أن ظاهرة انتقال الجماعات من دولة إلى أخرى وتحولهم من حيلة إلى أخرى ، آنذاك ، كانت من الأمور المعتادة ، لكثرة حدوثها خلال العلاقات العربية — البيزنطية ، أكثر من ارتباطها بالموقف العسكري ، وما ينجم عن الصدام بين المسلمين والروم في ميدان القتال . ألا أن هذه الظاهرة — انتقال جماعات وقبائل عربية إلى أراضى بيزنطة وتنصرهم هناك — كانت مما شجع الروم على التوغل أكثر فأكثر في الأراضى والبلدان الإسلامية ، وأحرز النجاح في منطقة الجزيرة (ما بين النهرين) فيما بعد^(٢) .

(١) ابن حوقل : ط ١ ، ص ١٤٠ ومبعضها و ط ٢ : ص ٢١١ وما بعدها .
وابن خلدون : الدول المنقطعة ص ١٠٣ — ١٠٥ .

(٢) Vasiliev : Arabes et le Byzance, II, P. 120, 121, 419 - 421.
Canard : Hist. de la dynastie des Hamdanides, P. 737-739.

الفصل الثاني

الحمدانيون وجهادهم ضد الروم

قبل سيف الدولة

« الفترة السورية الجزية »

(٢١٩ — ٥٣٣ / ٩٣١ — ٩٤٥ م)

الحمدانيون وجهادهم ضد الروم قبل سيف الدولة

(٢١٢ — ٥٣٣٣ / ٩٢٤ — ٩٤٤م)

(أ) مرحلة المواجهة الأولى في ثغور الجزيرة وأرمينية :

تعرف هذه الفترة من فترات المواجهة الإسلامية — البيزنطية ، باسم « الفترة القبل سيفية أو الفترة الأرمينية الميزوبوتامية »^(١) . فقد أهتم الحمدانيون منذ بداية حكمهم في إقليم الجزيرة (ما بين النهرين) بمنطقة أرمينية ، باعتبارها تابعة لسيادة الخلافة العباسية . وكانوا يتطلعون الى أن يصبح هذا الإقليم تحت سيطرتهم المباشرة ، لاعتقادهم بالحقيقتهم في الاعتراف بهم كولاية على أرمينية ، تماما في ذلك مثل الولاية العباسيين على منطقة أذربيجان . ومما شجع الحمدانيين على التطلع لبسط نفوذهم وسيادتهم على أرمينية وادخالهم ضمن نطاق سلطانتهم انهم كانوا يحكمون مناطق ديار بكر ، وبخاصة منطقة أرزائن Arzanene — المتاخمة لأرمينية ، فضلا عن بعض المواقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة Tigris في مقاطعات قرد Qarda وبازبدا Bazarbda المتاخمتين لمناطق زوازان انتريفاتسك^(٢) .

وسعيا وراء الوصول لهذا الهدف ، فقد شجع حمدان ابن حمدون مؤسس هذه الأسرة — سوريا حول مدينة ملطية أنفق على بنائه ما بين ٧٠ ، ٩٠ ألف دينار . كما أوصى للمدينة — عن طريق الوقف — بحصنة تقدر بأربعمائة فرس من اصطبلاته . وسجل هذه الذكرى بنقش على هذا السور ، شهده سيف الدولة الحمداني فيما يرجع بعد ذلك عام ٨٣١٩م / ٩٣١م ، ونوه به أبو فراس الحمداني حين دخل ملطية عام ٨٣١٩م ، أي بعد الحملة البيزنطية عليها التي هاجمتها سنة ٨٢٩٩م (٩١١م) بنحو عشرين عاما ، وشكا منها سكان ملطية للحمدانيين^(٣) .

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 463.

(١)

(٢) أبو فراس : ديوانه (الدمان) ص ١١٠ .

على أن هناك روايات ترجع هذا الحدث الى سنة ٨٣١٤م (٩٢٦م) وليس سنة ٨٣١٩م • لانه في هذا التاريخ (٨٣١٤/٩٢٦م) يورد ابن الأثير قصة وفد قدم من ملطية الى بغداد لطلب النجدة ، من الخليفة المعبس • فهل كان حمدان آنذاك (٨٣١٤) لا يزال على قيد الحياة الأمر مشكوك فيه • لأن قوات الخليفة كانت قد أسرت حمدان بن حمدون منذ عام ٨٢٨٢/٨٩٥م ، وكان وقتها بالتأكيد في سن كبيرة ، ومن المؤكد انه توفي سنة ٨٣١٤م • ولذلك نتساءل مرة أخرى فنقول : هل من الممكن ان نحدد لهذه الواقعة تاريخاً أقدم من ذلك ، في الفترة التي حاصر فيها الامبراطور باسيل الأول (٨٦٧ - ٨٨٦م) مدينة ملطية مرة في سنة ٨٧٢/٨٥٩م ، وأخرى سنة ٨٨١/٨٢٦م^(١) •

على أي حال ليس هناك ما يشير الى اشتراك الحمدانيين في الحرب ضد الروم قبل عام ٨٣٠١/٩١٣ - ٩١٤م • ومع ذلك ينبغي لنا ، لكي نفهم جيداً وضع البيزنطيين والعرب ، ازاء بعضهم بعضاً في الفترة التي بدأ فيها الحمدانيون - وبخاصة سيف الدولة - أن تعرض لهم الأحداث في أواخر القرن الثالث وبداية الرابع الهجريين (التاسع / العاشر الميلاديين)^(٢) •

فبالنسبة للروم ، لم يكن ليو السادس (الحكم) (٨٨٦ - ٩١٢م) ، موفقاً في قيادته للروم في حربهم ضد المسلمين لأنه لم يكن أصلاً راعياً في الحرب • وكل ما فعله هو تحمل رد الفعل العنيف الذي أحدثته هجمات المسلمين في جزيرة صقلية والشرق ، وفقد مدينة طبرمين عام ٨٢٨٩/٩٠٢م • كما لم تسمح الحرب التي اشتعلت من جديد في أوروبا مع البلغار ، للجيش البيزنطي في أول الأمر ان يتعامل على

(١) عن غزو ملطية ٨٥٩م (٨٧٢م) و ٨٢٦٨/٨٨١م راجع

نازلييف :

Vasiliev : Arabes et le Byzance, P. 40.

وقد أورد الطبري في الجزء الثالث من تاريخه (ص ٢٠٢٦) ذكر هجوم

٨٢٦٨ •

Vasiliev : Arabes et le Byzance, 2, P. 103 - 101 +

(٢)

Dstrogorsky + Brehier : Vie et mort de Byzance. PP. 140/55.

جبهة المواجهة الإسلامية في الشام والجزيرة فضلا عن أرمينية • بل ان الاسطول البيزنطي منى بهزيمة فادحة عام ٨٢٨٥/٨٢٩٨ م ، أمام القوات العباسية بقيادة الخصى يازمان *Yazman* وبعض الأمراء العرب^(١) • كما هزم سنة ٨٢٥١ م (٩٠٤ م) على يد القوات البحرية الإسلامية بقيادة أبو الحارث غلام خرافة (أبو الطرابلسي) التي استولت على الثغر الحربي البيزنطي الكبير الواقع على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى • والمعروف باسم ايطاليا أو انطاليا *Anatalia* على ثغر تساليا (تسالونيك) الذي كان لسقوطه صدى مؤلم في نفوس الروم^(٢) •

والحق ان هذه الهزائم التي منى بها البيزنطيون (الروم) آلتهم لدرجة أثارت فيهم روح الانتقام • لكنهم مع ذلك لم ينجحوا في وقف التقدم ، الذي كان المسلمون يحرزونه برا وبحرا • ولذلك حفلت الفترة من ٨٢٩٦ حتى ٨٢٩٩ م (٩٠٩ — ٩١٢ م) بحملات اسلامية عديدة موفقة ، قامت بها القوات الإسلامية برا وبحرا من ملطية وطرسوس واستطاعوا ان يلحقوا بالاسطول البيزنطي هزيمة ساحقة في موقعة امام جزر ساموس في صفر ٨٢٩٨ م (اكتوبر ٩١١ م)^(٣) •

لقد ترتب على هذه الهزائم التي منيت بها القوات البيزنطية أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، أن اصبح من المستحيل عليهم مساعدة الأرمن • وبالقالي عدم الوفاء بالاتفاق الذي التزموا به تجاه أرمينية سابقا منذ عام ٨٩٣ م (٢٧٩ م) ، بين ليو السادس (الحكيم ٨٨٦ — ٩١٢ م) وبين سمباط الأول الجراتي (الجراطوني ٨٩٠ — ٩١٤ م) الملقب بالشهيد والتعيس • مما أتاح ليوسف بن أبي

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٣ ص ٢١٨٥ (نسخة بريل ، لندن ، ١٩٦٨) •

(٢) الطبري : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٥٠ و صابر دياب ، سياسة الدول الإسلامية (من النشاط الحري الاسلامي في العصر العباسي) و *Vasiliev : Arabes et le Byz. P. 138.*

(٣) الطبري : نفس المصدر ج ٣ ص ٢٢٨٤ — ٢٢٨٧ و *Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 723.*

انساج غزو أرمنية وأسر سميانط (التعميس) الذى انتهى امره بالموت مقتولا سنة ٣٠١هـ / ٩١٤م فيما يرجح ، كما أسلفنا قبل .

على انه لا يجب ان يتبادر للذهن ان فترة حكم الامبراطور البيزنطى ليو السادس (الحكيم) التى اعقبتها فترة حكم أخيه السكندر (٩١٢ — ٩١٣م) — القصيرة الأمد — لم تشهد فيها الامبراطورية سوى هزائم لا غير ، على حدودها الشرقية (الثغور الاسلامية) . بل انها شهدت عملية تنظيم المناطق الثغور والمحدود البيزنطية ، وانشاء اقسام اقليمية جديدة بهدف ضمان الدفاع عن حدود الامبراطورية (١) .

وفى سنة ٣٠١هـ (اغسطس ٩١٣ — ٩١٤م) قامت حملة حمدانية بقيادة حسين بن حمدان — والى ديار ربيعة — بدأت من ملطية ، واستولى على عدة قلاع ، ثم عاد عن طريق طرسوس (٢) . وظل الروم ماجزين عن احرار أى نصر على المسلمين ، حتى كانت ثورة حسين بن حمدان على الخليفة العباسى ، وانشغال افضل قادة الدولة العباسية بالقضاء على هذه الثورة . مما مكن للروم من أن يحرزوا نجاحا على المسلمين فى حملة قامت بقيادة احد قادتهم وهو « ملياس الأرمنى » Melias — عند العرب مليح Melah — الذى كان يحكم منطقة لواء ليكاندوس البيزنطى Lykandos (٣) .

لكن بيزنطة لا تلبث ان تتعرض للانتكاسة امام العرب مرة أخرى ، بسبب الاضطرابات الداخلية الناجمة عن محاولة قسطنطين دوкас الاستيلاء على عرش الامبراطورية ، واندلاع الحرب من جديد مع البلغار ، الذين طرقت جيوشهم ابواب القسطنطينية ، وما تعرض له الوجود البيزنطى من متاعب بسبب اضطرابات مناطق ابوليا ، وكسالابريا Calabria (قلورية فى صقلية) مما اعاق الامبراطورية عن التصدى بصورة فعالة وقوية لهجمات المسلمين البرية والبحرية (٤) .

(١) الطبرى : المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٢٨٧ .

Canard : Ibid., P. 724.

(٢)

Vasiliev : Byz. et les Arabes P. 202.

(٣) الطبرى : ٢٢٨٩/٣ و

Canard : Ibid., P. 724.

(٤)

Vasiliev : Ibid., 2, P. 197 - 199.

(٥)

• ومع ذلك لم تنب اهداف السياسة البيزنطية عن الانتظار • ففى هذا العصر — فيما يرجع — ساعدت بيزنطة آشوط البجراتى فى ارمينية على اعادة ملك الأسرة البجراطية • وكانت ارمينية وقتذاك مهددة — منذ وفاة سمباط — بالاغراق فى مرحلة فوضى شاملة ، خشيت معها بيزنطة ان تؤدى الى وقوعها كاملة فى ايدى المسلمين • ولذلك كان كل ما تهدف اليه بيزنطة من مساعدتها لارمينية ، هو الخيلولة دون بسط النفوذ الاسلامى هناك • اذ ستصبح ارمينية فى يدهم مصدر خطر يهدد امن الامبراطورية البيزنطية • وقد استعاد آشوط فعلا عرش الأسرة البجراطية ، التى أعلن امراء الأرمن ولاءهم لها ، بما فيها عميد آل ارهرزونى • وهذه الاحداث سيكون لها فيما بعد اهميتها ، لانها تعد بداية سياسة بيزنطية فعالة (ايجابية) تجاه ارمينية • حاول سيف الدولة جهده فيما بعد ان يكافحها فى ارمينية نفسها (١) •

(ب) النشاط البيزنطى فى ارمينية بين سنتى ٣٠٣ — ٥٣٣/٩١٥ — ٩٣٥ م :

عهد الامبراطور رومانوس الأول (ليكابينوس) ، الى القائد الأرمنى يوحنا كوركواس Jean Curcuas بمهمة قيادة العمليات القتالية ضد المسلمين الموجودين فى ارمينية ، وذلك لمساندة الامير البجراتى ، الذى كان الامبراطور ليو السادس (الحكيم) قد وعده بالمساعدة منذ ٨٩٣م (٢٧٩/٢٨٩) ، ولم تتمكن الامبراطورية وقتها ، بسبب هزائنها المتتالية فى شرق البحر المتوسط وصقلية • وكان الامير البجراتى آشوط الثانى (٩١٤ — ٩٢٨م) يشمر بالخوف من سبك Subuk أمير اخريجيان المسلم ، وخليفته يوسف بن أبى الساج ، الذى كانت قواته — مع غلامه نصر — تسيطر على مدينة دوين (ارجيل) (٢) •

Grousset, R. : Hist. de l'Arménie, P. 448, + Runciman : Romanus (١)
Lecapenus, P. 131, 249 - 51

Vasiliev : Byzance et les Arabes, II, P. 231.

وفي سنة ٨٣١٥ م (٩٢٧ م) قامت حملة بيزنطية كبيرة بقيادة يوحنا كوركواس بالزحف على مدينة دوين — مقر الحكم الاسلامي في ارمينية — وكانت حملة مجهزة تجهيزا كبيرا ، كان له اثره الوقتي في النيل من عزم المسلمين هناك آنئذ^(١) . وقد خربت هذه الحملة — أثناء زحفها على دوين — منطقة فازيان (كاسيان Phasian) الواقعة شرقي قاليقلا ، عند منابع نهر الرس (اراكس Arax) ، وهذه المنطقة كانت بيد المسلمين كذلك . وعندما وصلت القوات البيزنطية الى مدينة دوين ، نجحت في احداث ثغرة (ثلثة) في أسوار المدينة ، نفذت منها الى داخلها . ومع ذلك صعد السكان ، بعد ان ذهب عنهم هول كثافة الروم ، وتمكنوا من طرد قوات الروم ، وكان ذلك في نفس سنة ٨٣١٥ م (٩٢٧ م)^(٢) .

لكن ، على الرغم من الاخفاق الذي حل بهذه الحملة — الكثيفة التجهيز عددا وعدة — فان الروم جهزوا حملة أخرى ، في السنة التالية مباشرة (٨٣١٦ م / ٩٢٨ م) ، انطلقت من جنوب ارمينية لمهاجمة الامارات الاسلامية العربية في منطقة بحيرة فان Van المتاخمة لاقليم الجزيرة (ما بين النهرين الميزوتوميا)^(٣) .

لقد حاصرت القوات البيزنطية في هذه الحملة مدينتي غلاط (خيالات) وبتليس اللتين استسلم أهلها لهما . كما دب الذعر في قلوب أهالي أرزن Arran وسائر المدن الأرمينية المتاخمة لاقليم الجزيرة . وكان صدى تلك الحملة سريعا في نفوس الأرمن والمسلمين على السواء . فاستجدوا بالخليفة العباسي في بغداد^(٤) . ولكن استغاثتهم ذهبت صرخه في واد دون جدوى . بسبب ما كانت الخلافة تعانیه وقتذاك من مظاهر ضعف وانهايار في سلطتها . وفي ذلك يذكر ابن الوردي

(١) ابن الأثير : الكلب ج ٨ ص ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٣ .

(٢) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 739.

(٣) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي (تمة المختصر) ص ٢٨٨

(تحقيق احمد رفعت البدرأوى) ط : دار المعرفة — بيروت ١٢٨٩ هـ / ١٩٧٠ م

Canard : de la Dyn. P. 739 - 740.

(٤)

أن الحمسق (القائد البيزنطى) « صالحهم على أن يقلع منبر الجامع ، ويعمل موضعه صليباً ، فاجابوا وفعلوا ذلك ، وعمل ببديس (بتليس) كذلك » (١) .

وفى سنة ٨٣١٧ م (٩٢٩ م) قامت حملة بيزنطية أخرى بقيادة يوحنا كوركواس أيضاً بالهجوم على مدينة دوين . لكن أمير أذربيجان مفلح الساجى تمكن من التصدى لها وحرقها . فعلاود الروم الهجوم على مناطق اسلامية أخرى فى أرمينية بعد ذلك بعامين (أى سنة ٨٣١٩ / ٩٣١ م) . وهذه المناطق هى : بيركرى (بركرى) وخلاط (خيلات) وما جاورهما . وقد تمكن الروم فى هذه الحملة من رقاب المسلمين فقتلوا منهم عددا كبيرا ، كما اسروا كذلك عددا آخر .

ولما كانت هذه الحملة البيزنطية سنة ٨٣١٩ / ٩٣١ م ، وسابقتها التى تمت سنة ٨٣١٧ م (٩٢٩ م) ، قد دفع اليهما وحرض عليهما ملك اقليم الفاسبوراك (جاجيك بن جريجور درنيك) (المعروف بابن الديرانى فى المصادر العربية) — لذلك صمم مفلح الساجى أمير أذربيجان على الثأر منه لدماء من مات من المسلمين على يد القوات البيزنطية . فجهز حملة كبيرة هاجم بها فى رمضان / شوال ٨٣١٩ م (سبتمبر / اكتوبر ٩٣١ م) — اقليم الفاسبوراك كان انتقاما لموقف ملكه جاجيك بن الديرانى (٢) .

والجدير بالذكر . أنه على الرغم من تذرع الزوم وادعاؤهم المحافظة على مصالح الشعب الأرمنى كمبرر لتدخلهم فى الشؤون الأرمينية ، وتجريد حملاتهم لمناهضة الوجود الإسلامى فى هذه البلاد ، إلا أن الشعب الأرمنى ، لم يغب عنه مطلقا الاهداف البيزنطية للتوسعية فى بلادهم . ولذلك لم يمدوا للروم يدا بمساعدة أو عون من أى نوع كان فى حروبهم للمسلمين هناك . وكان موقفهم

(١) ابن الوردى : المصدر السابق ٢٨٨/١ .

(٢) Vasiliev : Byz. et les Arabes, P. 231, + Macher : Erzeroum, P. 228, by Canard : Ibid., P. 740.

هذا محصل تقدير كبير من الامراء والحكام المسلمين في كل من أرمينية واذربيجان ، وسببا في معاملتهم بما يتفق مع موقفهم الطيب هذا (١) .

وايا كان الامر ، فلقد نتج عن هذه الحملات البيزنطية المتتالية ضد المناطق التي يوجد فيها المسلمون في أرمينية — وهي حملات سنوات ٨٣١٥/٨٣١٦/٨٣١٧/٨٣١٩ — ما يشبه التعويق لعملية بسط النفوذ الاسلامي والثقافة العربية هناك . مما أثر في قوة موقف امراء العرب والمسلمين تأثريا سيئا ، لدرجة أن أصبحت الممتلكات والاقاليم الاسلامية الواهنة في المناطق التي تحت السيطرة البجراتية والارذرونية عارية عن أى حماية تقف في وجه الماطم البيزنطية (٢) .

فقد اخبرنا قسطنطين بورغويوجنتس ان الامراء الذين كانوا من قبل تبعا لسمباط البجراتي ، اضطروا — نتيجة لضعف موقفهم — الى الانحياز بدفع الجزية للامبراطور البيزنطي ، مع الاقرار له بالتبعية ، كما فصل امراء طارون وجورجيا والبجراتيون الأرمن انفسهم . لذلك كان على سيف الدولة الحمداني ان يواجه مثل هذا الموقف المتدهور الذي كان يمانيه الوجود الاسلامي في هذا المقع والذي أصبحت آثاره غير ماصرة على المناطق الأرمينية ، بل صار من المحتمل جدا امتدادها بنائياتها الى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) نفسه (٣) .

رد الفعل الحمداني : أولى عمليات سيف الدولة ضد الروم في أرمينية :

لقد باشرت بيزنطة نشاطها — بنوع خاص على الجبهة الأرمينية الميزوتامية — طبقا لخطة مد الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية ، التي طبقت منذ عهد باسيل الأول (٨٦٧ — ٨٨٦ م / ٢٥٣ — ٨٢٣) . وقد اهتم الروم الجزء الجنوبي في الجبهة لصالح القطاوع الشمالي .

Makler : Emeroum, P. 223.

(١)

Canard : Ibid., P. 740.

(٢)

(٣) بورغويوجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ١٥١

وما بعدها .

ولذلك باشر الامراء العرب وبخاصة حكام طرسوس عملياتهم من هذه الناحية . كما تصدى — من ناحية أرمنية — « معنح » الساجي لهجمات يوحنا كوركواس مرات عديدة . اما عن النشاط الحمداي في ملطية ، فلم يكن هناك نشاط عسكري حمداي ذا بال ، سوى الحملة التي قام بها سعيد بن حمدان السابقة الذكر ^(١) .

وحين استتب الامر للحمدايين في اقليم الجزيرة (ما بين النهرين : الميزوبوتوميا Mesopotomia) ، التزموا جانب الدفاع عن هذا النطاق من الثغور الاسلامية ، « الثغور الجزرية » ، نسيابة عن الخلافة العباسية التي كانت عاجزة وفي حالة لا تسمح لها بتحمل مسؤولية المواجهة ضد الروم في مناطق الثغور الاسلامية ، سواء الشامية أو الجزرية ^(٢) .

وقد عهد ناصر الدولة الحمداي الى اخيه على (الذي سيعرف فيما بعد بسيف الدولة الحمداي) ، بتولى مسؤولية حكم منطقة ديار بكر ، التي تم انتزاعها من احد الامراء المتحدين بمساعدة وتحريض امراء اقليم طارون الأرمني . وكان هذا الامير الحمداي الشاب « على » (سيف الدولة فيما بعد) ، قد اشترك منذ عام ٨٣١٩م (٨٣١) — كما رأينا — في حملة على الاقليم البيزنطي ، واصبح بذلك يمثل خطرا يتهدد الوجود البيزنطي ونشاط ونفوذ القبايل البيزنطي يوحنا كوركواس ^(٣) .

كذلك اشترك ناصر الدولة في هذه المواجهة ضد الروم ، ولكن بنصيب اقل من نصيب اخيه على . كما تدل على ذلك ابيات اوردها أبو فراس الحمداي . وربما كان ذلك فيما بعد في حملات ٨٣٣٣م أو ٨٣٣٤م ، إذ أورده أبو فراس هذه الابيات عقب الابيات التي تتحدث عن نجاح الصراع ضد بني حبيب — ذلك الصراع الذي نعلم انه انتهى بواخر عام ٨٣٣٣م (نوفمبر ٨٣٥م) — وانه داس بحوافر خيله أرض

قلعتي وارتنس Wartanis ، وعاد مع الاسرى الذين جمعهم ،
والذين كانت الاصفاذ ترن في أرجلهم وأيديهم ، ووطقهم كالمثاقبة على
مرج قليز . وقد أورد ياقوت في معجمه أن الحملة كانت ضد وارتنس
التي خضعت لسيف الذولة ، ثم يذكر في موضع آخر شيئاً مخالفاً
حيث يقول أن سيف الدولة توجه بحملته الى كولونيا^(١) .

على أية حال ، يمكن أن نستنتج من ذلك أن الحملة وقعت في
اقليم ما بين النهرين (لواء الميزوبوتاميا) ، وذلك إذا كانت وارتنس
تطابق — كما ذكرنا قبلاً — الموضوعين اللذين يحملان اسم فاردينق
Vardenik . في هذه المنطقة الأرمنية البيزنطية . فهل كان ابن الأرق
يقصد هذه الحملة حين قال « أن ناصر الدولة استرد في عام ٨٣٣٢ /
٩٣٤م ملطية وكل الأماكن المحيطة بها ، وحفظ الخيزراني وطرده حتى
أطراف اقليمه »^(٢) . وهذه هي المباريات القليلة الوحيدة التي تحدثت
عن ناصر الدولة^(٣) بخصوص المواجهة مع الروم ، ففضلاً عن بيت من
الشعر ورد في ياقوت وردت فيه إشارة الى حصن زياد^(٤) .

(ب) مرحلة المواجهة البيزنطية — الحمداينية في ثغور الجزيرة وبلاد الشام :

(٢٢٤ — ٩٣٣ / ٩٣٨ — ٩٤٤م)

تمكنت القوات العباسية بقيادة الوزير علي بن مقله في سنة
٨٣٣٣ (٩٣٥م) من طرد ناصر الدولة الحمدايني — الذي لم يكن
حتى ذلك الوقت ملقباً بهذا اللقب — من الموصل . فالتجأ « ناصر
الدولة » الى جبال زوزان بأرمينية ، ريثما يتمكن من العودة (اليها)
ثانية . على أنه خلال إقامته القصيرة هناك — التي لم تتجاوز شهرين
على الأكثر — تمكن من جعل بعض أمراء الأرمن يقبلون بسيادته

(١) ياقوت : المعجم ج ٤ ص ١٦٨ .

(٢) ابن الأرق : تاريخ ميلقارقين (تاريخ الفارقي) و

Canard : Ibid., P. 742.

(٣) هو ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن

حمدون راجع زامباور ، معجم الانساب والاسرات الحلكية ج ٤ .

(٤) ياقوت : نفس المصدر ج ٤ ص ٩١٩ .

عليهم ، بل ويسلمون له بدفع الجزية السنوية التي كانوا يدفعونها للخليفة العباسي في بغداد (١) .

أصبح ناصر الدولة في حكم لوالى (الامير) على قسم من أرمينية — وليس على كل أرمينية كما اشار لذلك بعض المؤرخين — وذلك لأن العمل الذى قام به ناصر الدولة الحمداني ، لم يمتد الى العديد من نطاق اقليم الفاسبوراك ، وربما لم يتجاوز منطقة الزوزان (٢) .

وفي سنة ٣٣٤هـ (٩٣٦م) يتغير موقف الخلافة من ناصر الدولة الحمداني ، اذ يصدر الخليفة العباسي الراضى بالله (٣٣٢ — ٣٣٩هـ) قرارا اعترف فيه بناصر الدولة واليا على اقليم الجزيرة كله ، بما فيه ديار مصر . وكان ذلك في الوقت الذى ثار عليه احد اتبلاعه في أرزن وهو على بن جعفر الديلمي (٣) .

وعندما كلف ناصر الدولة اخاه الاصغر على — المعروف فيما بعد بسيف الدولة — بالقضاء على ثورة على بن جعفر الديلمي ، استتجد هذا الخارج المتعرد بابن طرنيق (٤) (ابن الديرائي) واشراف هذا

(١) ابن الأثير : تاريخ الفارقي ص ١١١ والذهبي : تاريخ الاسلام ورقم ١٠٧ .

Canard : Ibid., P. 478.

(٢) الذهبي : المصدر السابق ، ورقة ١٠٧ — ١٠٨ وابن الأثير : نفس المصدر ص ١١١ .

(٣) بالطبع لا يمكن ان يكون ابن درنيك (طرنيق) ملك أرمينية هو اباي (عباس) البجراتي بل الراجح ان يكون ابن طرنيق هذا هو امير اقليم الطارون القريب من ديار بكر ، والذي ربما يكون قد حصل لقب « ملك » الذى تكلم فيها بعد لاحد خلفائه . ولعل استجابة ابن طرنيق لاستجداد على ابن جعفر الديلمي ، مرجعه خوفا من ان يسلك الحمدانيون (حكام ديار بكر) نفس المنهج الذى سلكه احمد بن عيسى بن الشيخ (من بنى شيبان) الذى امتدت سيطرته الى اقليم الطارون . كما لا يمكن ان يكون ابن طرنيق هذا ابنا لطرنيق بن ابو غانم وابن عم الاخوين بقراط (بجات) واشوط ابنسا جريجوريك الذى سبق ذكره قبلا . ويبدو ان تسمية المصادر العربية لابن طرنيق بهذا الاسم ، لها قيمة عرقية أو جنسية ، فلها كعبارة ابن الديرائي التى قصدوا بها درنيك ملك الفاسبوراك . وابن طرنيق هذا اسم احد الاخوين بجات او اشوط الذى حكم في اقليم طارون عام ٩٣٦م (٣٢٤هـ) وهو بجات فيما يرجع .

البلد مصورا لهم الأمر على أنه اذا تمكن الحمدانيون من البلد ،
فسيكون في ذلك خطرا يهدد أمنهم وسلامتهم (١) .

وعلى الرغم من كل ذلك ، تمكن سيف الدولة من احباط خطة
الثائر على بن جعفر الديلمي وحلفائه من الأرمن ، وأحمد تمرد . وربما
يكون سيف الدولة قد انساح بقواته - بعد اخضاع تمرد الديلمي
وحلفائه - حتى وصل الى اقليم الطارون نفسه . لكن من غير
المحتمل - كما يذكر ابن ظاهر وهو الوحيد الذي تحدث عن هذه
الواقعة - ان يكون سيف الدولة ، قد سيطر على كل الاقاليم الأرمنية
الى جانب البلاد المتاخمة لدير بكر في مثل هذه الظروف . بدليل
انه بعد رحيل سيف الدولة استولى الروم على سمسطة دون ان
يمسوا السكان - هذه المرة - بأذى - كما يذكر الذهبي وابن
ظاهر (٢) .

لم يعاود سيف الدولة الجهاد ضد الروم ، الا في عام ٨٣٦م
(٩٣٧/٨٣٨م) ، حيث تمكن من احراز أول نصر له على الروم ، في
منطقة انزيتين البيزنطية النفوذ . وتقدمت القوات الحمدانية حتى
دادم . (دارم Darim فادم Dadim) الواقعة جنوبي حصن زياد في
منطقة تل هنزيط . وكان ذلك في شهر ذي القعدة ٨٣٦م (سبتمبر
٨٣٨م) ومن هناك أرسل فرقة من جيشه بقيادة الحسن بن علي قواس ،
سارت حتى وصلت الى تل ارسفلس غربي حصن زياد
(أو تلنزيت Tilenait) (٣) شرقا . ثم مضى سيف الدولة لحصار
حصن زياد ، فاستولى عليه ، ومكث به سبعة أيام ، فلما وصل
الروم في قواتهم الكثيفة (التي قيل انها بلغت مائتي ألف مقاتل ؟)
انسحبت القوات الحمدانية شرقا ، في اتجاه شمشاط ، بينما تمسكتهم

Canard : Ibid., P. 479.

(١)

(٢) ابن ظاهر : اخبار الدول المتقطعة وابن الأزرقي : تاريخ
ميفارقين ص ١١١ الذهبي تاريخ الاسلام ص ١٠٧ .

(٣) فيصل السليبي : الدولة الحمدانية ١٥٤/٢ - ١٥٥ .

خيلالة الروم ونزل قلعة تسمى بـ « المقدمة » وهم ان يناجز الروم منها ، ثم تركها لتطيره^(١) منها .

التقى الجمعان — البيزنطى والحمدانى — فى معركة طاحنة كان مسرحها فى المنطقة بين حصن زياد وحصن سلام . وكانت نهاية المعركة نصرا مؤزرا احرزه الحمدانيون بقيادة سيف الدولة ومعه غلمانه يملكهم *Yamuk* وعبد الاعلى بن مسلم . حيث تمكن يملك من دحر فرقة بيزنطية كبيرة من مجموع القوات البيزنطية ، بلغ عدد افرادها عشرون الفا . واستولى الحمدانيون على المنصة والعرش اللذين اعتاد الذمستق (القائد) يوحنا كوركواس ان يجلس عليهما ، ليشرف منها على حركة قواته وسير المعارك^(٢) . وكانت هذه الموقعة فى المائى من شهر ذى الحجة ٨٣٦ (الموافق ٩ اكتوبر ٩٣٨ م) . وقد برز فيها غلمان الامير الشاب سيف الدولة الحمدانى . ومنهم بملك التركى الذى توفى بعد ذلك عام ٨٤٠ (٩٥١ — ٩٥٢ م) وزميله عبد الاطلى بن مسلم^(٣) وقد نسب ابو المحاسن هذه الموقعة — خطأ — الى ناصر الدولة الحمدانى^(٤) .

وقد ابرز ابو فراس الحمدانى — ابن عم سيف الدولة — هذا الانجاز الرائع ، الذى ورد فيه ان الذمستق وصل ومعه نحو ثمانين الف رجل ، بينما كان سيف الدولة معسكرا امام حصن زياد ، وان قوات الامير الحمدانى حوصرت فى مكان يسمى سلام (أى حصن سلام) ، وأن سيف الدولة ، الذى كان بإمكانه ان يفر ومعه ماخف حملته من المتاع والمال . رفض ، واشتبك مع العدو ، وهزم الذمستق (القائد) البيزنطى وجموعه . ومما يذكر ان الأمير الحمدانى — سيف الدولة — نفذ حتى وصل الى المكان الذى كان فيه يوحنا كوركواس ،

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٥٥ .

(٢) ابن خلكر : الدول المنتقطة ص ٢/ب — ٢٣ .

(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام ورقة ١٠٧ وما بعدها و ابن الاثير : الكامل ٥٥/٨ وما بعدها .

(٤) ابو المحاسن : الفجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٦٢ .

وان المعركة التي جرت بين الفريقين كانت على ضفاف نهر الارسناس^(١) . وقد كان عدد قتلى الروم كثيرا جدا . ومع ذلك لم تسفر عن توطيد للنفوذ العربى الاسلامى فى شميشاط وقتذاك^(٢) .

ومن جهة أخرى ، فبينما المعركة محتدمة ، بين الحمدانيين والروم ، على أرض شميشاط وعلى ضفاف نهر الاسناس ، كانت هناك مفاوضات دائمة بين محمد بن طفج الاخشيد والخليفة العباسى من جهة ، والامبراطور البيزنطى من جهة أخرى ، لتنفيذ عملية فداء الاسرى بين الجانبين - العباسى الاخشيدى والبيزنطى - وكانت بيزنطة حريصة على ذلك لمعدد هنة مع الاخشيد حاكم مصر وجنوب الشام ، ليتسنى لها تركيز قوتها والمتحرك بحرية تجاه اقليم الجزيرة ومنطقة أرمينية ضد الحمدانيين هناك^(٣) .

كما أدرك الامير سيف الدولة الحمدانى ، ما ينطوى عليه وضع مناطق الشغور فى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) من خطر نتيجة ضم منطقتى ملطية والانزيتين للسلطة البيزنطية ، هذا فغسلا عن خضوع بعض الاسرات العربية فى أرمينية للسيادة البيزنطية . لذلك نرى سيف الدولة يقرن - فى السنوات التالية لسنة ٨٣٣٦ - حملاته ضد الروم فى اقليم الجزيرة ، بعمليات أخرى كان مسرحها الأراضي الأرمينية . ولم يكن ذلك سوى بمثابة اجراء وقائى قام به سيف الدولة ، لحماية النفوذ الاسلامى (الحمدانى) على أرض أرمينية ، ولتدعيم موقعه فى مواجهة الروم سواء فى الشام أو الجزيرة .

والجدير بالذكر أن هذا النشاط العربى الحمدانى فى البلاد الأرمينية ضد الروم ، لم يكن له أية انعكاسات ، أو وجود فعل سيئة لدى الشعب الأرمينى وحكامه على اختلاف اسراتهم . ولعل ذلك كان راجعا بالدرجة الأولى الى اطمئنان الأرمن - شعبا وحكومة -

(١) أبو نراس : ديوانه ورقة ٣١ ، ١/٣٩ (مخطوطه برلين)
وص ١١٦ ، ١٤١ نسخة محمد سالى الدهان .

Canard : Ibid., P. 473.

(٢)

Vasiliev : Byz. et les Arabes, II, P. 241 - 244.

(٣)

الى نوايا الحكم الاسلامى بصفة عامة ، فضلا عن بغضهم للمعاملات البيزنطية التى اتسمت بنوع من فرض الوصاية على هذا الشعب . هذا الى جانب أنفقة الشعب الأرمنى نفسه من التدخل البيزنطى ، لتشككه فى نوايا الامبراطورية تجاه بلادهم ، مع الوضع فى الاعتبار ثقة الشعب الأرمنى المفرطة فى نفسه . بتحليل نجاح اطوم بن جورجين أمير منطقة الزوازان سنة ٨٣٣٦م (٩٣٧ - ٩٣٨م) فى التخلص من لشكرى الديلمى - حين اساء السيرة - ببسر وسهولة^(١) .

ولعل هذا الحدث - عزل لشكرى الديلمى - كان من المؤثرات التى نبهت سيف الدولة الى ضرورة العمل على تأمين طريق يمر منه عبر أرمينية ، لتكون تحت سيطرة السيادة المباشرة للحمدانين - ، وهو ما فعله سنة ٨٣٣٨م (٩٣٩ - ٩٤٠م) . وقد وافق عمله هذا بعمل مفساد للروم ، باعتبارهم المحرك الرئيسى والاساسى لكل ما من شأنه زعزعة الوجود الاسلامى فى تلك البلاد^(٢) .

اما ناصر للدولة ، فكان منذ سنة ٨٣٣٤م (٩٣٥ - ٩٣٦م) يطمح أن يكون له حكم اقليم اذربيجان ، الذى لم يرد له ذكر فى عهد التولية الصادر له فى المحرم ٨٣٣٤م (ديسمبر ٩٣٥م) من الخلافة فى عهد الراضى بالله العباسى (٣٢٢ - ٣٢٩م)^(٣) . وكان الخليفة العباسى قد أسند ادارة اقليم اذربيجان الى احد ضباط بنى الساج ويحى ناطف^(٤) . وكان اقليم اذربيجان وقتها تحت حكم وادارة ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية . ولكن ليس من المعروف ولا من الواضح ما اذا كان ناطف قد اصطدم هناك بالحاكم السابق عليه

Canard : Une lettre de Moïh, b. Tugl, P.189 - 195.

(١)

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 480.

(٢)

(٣) الامتهق : الاغنى ج ٦ ص ٥٨ - ٥٩ .

(٤) هو احد الضباط الذين عملوا مع الأسرة السلجية فى اذربيجان . وقد لجأ سنة ٨٣٢٥م (٩٣٦م) ، الى الموصل هربا من الاجراءات للصارمة ، التى اتخذها الوزير ابن رائق ضد بنى الساج ، وكل من يبت لهم بصلة او يلون بهم مصا .

في ازربيجان وهو ديسم بن ابراهيم ؟ ام ان السلطة انتقلت اليه
بهذوء ودون صدام ؟ أو بأي كيفية امتن لناطف الساجي ان يستقر في
ازربيجان ؟ وذلك لان قسما منها — وقتئذ — كان تابعا بشكل أو
بآخر لاحد الحمدانيين . وهو ما يحتمل ان يكون القسم الواقع جنوبى
بحيرة أرمية Urmia الأهلة بالاكيراد الذين كانوا على صلة
بالحمدانيين^(١) .

على اية حال ، فانه يبدو أن ناطف لم يطرد من ازربيجان
الاعلى يد لشكرى بن مردى الديلمى ، الذى استطاع ان يستعيد
المنطقة الى سيطرته وازاحة ديسم بن ابراهيم منها ، اذ يفبرنا
الذهبي^(٢) ، في تاريخه — أن ناطف انهزم امام لشكرى بن مردى
الديلمى . وكان هذا الديلمى قائدا من قواد وشمكير وعامله على اقليم
الجيل . وكان يسمى — كثيره من القواد الديلمه — الى تكوين اماره
مستقلة . وقد استولى لشكرى الديلمى على البلاد ، وأجبر ديسم
ابن ابراهيم على الالتجاء الى وشمكير ، الذى كان وقتذاك في
منطقة « الرى » باقليم الجيل . وكان ذلك فيما بين سنتى ٣٣٦ ،
٣٣٨ (نوفمبر ٩٣٧ — ٢٨ أكتوبر ٩٣٨) .

كما سار لشكرى بن مردى الديلمى الى أرمينية ، التى توغل فيها
حتى وصل الى اقليم الجزيرة ، حيث كان يطعم في ثروات الموصل
وديار ربيعة ، التى لم يكن لديها آنذاك حاميه قوية تدافع عنها لقلة
سكانها . اما ديسم بن ابراهيم فقد وصل الى منطقة أنتريفاتسك أو
« المزوازن » ، التى كان يحكمها وقتذاك « اطوم بن جورج بن أبى
بلج » الذى كان يمت بصلة القرابة للـك الفاسبوراكـان جاجيك بن
ديرنيك وتابعه^(٣) .

أما بالنسبة للنشاط الاسلامى وقتذاك في المناطق الأرمينية

Canard : Hist. des la Dyn. des Hamd., P. 456.

(١)

(٢) الذهبى : دول الاسلام (مخطوطه) ورقة ٥٨ .

Canard : Ibid., PPP. 456 - 457.

(٣)

واقاليمها ، فتتورد الروايات ذكر حملة اسلامية لم تتحدد تاريخها بدقة ، وان ذكرت انها كانت بعد سنة ٨٣٣٤م (٩٣٦م) . وان هذه الحملة قدمت من اذربيجان فيما يرجح . وقد واصلت الحملة سيرها الى مدينة دوين عبر مقاطعتي جغتن Goghten ونلختشيفان Nachitchevan وأصيب الملك أباز الأرمني بهزيمة فادحة امام قوات هذه الحملة ، مما اضطره للفرار الى اقليم جورجيا Georgia ، حيث ساعده جاجيك بن ديرنيك الارذروني ملك اقليم الفاسبوراك ، الذي تبني بنفسه مسئولية مصاربة المسلمين . وقد تمكن جاجيك من دخول دوين (الاسلامية) وفرض على من بها من المسلمين اتاوة (جزية) كما فرض عليهم تسليم بعض الرهائن ضمانا للالتزام بالاتفاق معه ، بعد ان خربت قواته المدينة وحرقت ضواحيها ونهبت دورها (١) .

ومن الملاحظ ان المؤرخين المسلمين لم يوردوا شيئا عن هذه الحملة . ولذلك فليس من اليسير معرفة اسم الامير المسلم ، الذي قاد الحملة المفاداة على دوين لتفليصها من القوات التي هاجمتها : هل هو ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية ؟ أم لشكري بن مردى الديلمي ؟ أم هو حسين بن سعيد الحمداني ؟ أم ناطف ؟ أم مرزيان بن محمد بن مسافرين سار بعد سنة ٨٣٣٠م (٩٤١/٩٤٢م) ؟

على أي الاحوال ، فان اختفاء الاسرة الساجية من مسرح الاحداث في اذربيجان ، في هذا الوقت ، عرض النفوذ والوجود الاسلامي في هذه الاصقاع لموقف حرج . اذ صار امراء المسلمين في دوين واذربيجان عاجزين عن بسط سيادتهم على ما تحت يدهم من بلاد ارمنية ابان الثلاثينات من القرن الرابع الهجري (٢) .

والجدير بالذكر ان مملكة اردزروني الارمنية ، كانت من صنع يوسف بن أبي الساج (الحاكم المسلم) على اذربيجان . ذلك انه

(١) Grunéset : Hist. de L'armenie P. 465 - 66, + Brosset : Hist. de L'Ardzroun P. 241, + Laurent : Bagratuni P. 86.

(٢) Brosset : Hist. de L'Ardzroun, P. 242, + Grunéset : Hist. de L'Armenie, P. 466.

أراد بذلك عرقلة نمو الأسرة البجراطية ومملكتها . ولذلك قرر منح الرتبة الملكية لأسرة اردزروني الأقطاعية الأرمنية ، ليصير ولأولها إليه ، فيضمن بذلك ولاء المنطقة التي يحكمونها — وهي إقليم الفاسبوراكان — بواسطة أحد أفراد تلك الأسرة وهو : جاجيك بن جريجور ديرنيك ، وذلك منذ علم ٩٠٩م (٢٩٦ — ٢٩٧م)^(١) .

فلما قام يوسف بن أبي الساج بحركته التمردية على سلطة الخلافة العباسية لوائل القرن الرابع الهجري ، أبان حكم الخليفة المعتذر بالله (٢٩٥ — ٣٣٠) ، حرص الخليفة — نتيجة لذلك — على انتزاع إقليم الفاسبوراكان من نطاق نفوذ بني الساج حكام اخريجان . وقد جاءت هذه الاحداث والتطورات في وقت كان الملك الارذروني ، قد بدأ يجاهر بتحديثه سلطة بني الساج عليه . فاستغل الخليفة هذا الوضع ، وأعلن حسن نواياه تجاه إقليم الفاسبوراكان وحكامه ودلل على ذلك بأن أرسل الى الملك الارذروني تاجا ملكيا ، دليلا على اعتراف الخلافة العباسية به ملكا على إقليمه سنة ٣٠٤م (٩١٦) . وكرر ذلك سنة ٣٠٦م (٩١٨) ، حين سارت قوات الخلافة لمقاتلة ابن أبي الساج^(٢) .

ولا يخفى ان الخلافة العباسية كانت تريد ، بمحاولة احتوائها لحكام الفاسبوراكان ، ضمان وقوفهم الى جانبها ، وكان ذلك أبان حكم جاجيك بن جريجور ديرنيك (٢٩١ — ٣٣٣) (٩٠٤ — ٩٤٣م)^(٣) ، الذي اتسمت الفترة الأولى من حكمه بنمو كبير في سلطته وممتلكاته ، وكان النطاق الأولى للممتلكات الارذرونية في إقليم الفاسبوراكان . هو إقليم الالبق الكبير (أو أغيج) . ثم ما لبثت الأسرة أن أحكمت سيطرتها على كل إقليم الفاسبوراكان ، في عهد آشوط بن حمزة وأبي جريجوريك — الذي كان قد توفي منذ ٨٢٤م — . قد اقتسم جاجيك ممتلكاته مع أخيه جورجيني ! لكني بـ « مرزبان » ،

Canard : Ibid., P. 469.

(١)

Grousset : Hist. de L'Arménie, P. 486.

(٢)

Grousset : Ibid., P. 483.

(٣)

الذى كان من نصيبه المقاطعات الواقعة جنوب شرقى بحيرة أورمية Urmia . أما جاجيك ، فاحتفظ بالمقاطعات والأقاليم الواقعة شرقى البحيرة^(١) .

والمعروف ان نطاق السيادة الأردزرونية الأرمنية الاقطاعية فيما بين عامى ٩١٦/٩٣٠م وحتى سنة ٩٤٣/٩٣١م ، كان يمتد غربا حتى منطقة سئوت Soet ، وجنوبا حتى نهر الزاب الكبير ، وشرقا حتى بحيرة أورمية بوشمالا حتى جبال آرارات الرس (الأراكس Arax) وقد استطاع جاجيك أن ينتزع قلعة أميوك Amiuk من آل قيس الحاكمين لها واحتل جنوبى بحيرة فان Wan , Van ، أى اقليم موق 'و موق Mokk ، الذى كان تحت سيطرة بجراتية غير مستقلة^(٢) . كما كانت لجاجيك بن جريجور ديرينك أمير الفاسجوراكن علاقات مع الدولة الحمدانية فى عهد سيف الدولة الحمداني^(٣) .

أما فيما يختص بالموقف بين جاجيك وأسرته الأردزرونية وبين أذربيجان وحكامها المسلمين ، فقد سبق أن نوهنا بتعرضه للتوتر ، بسبب هجوم حكام أذربيجان على اقليم الفاسجوراكن سنة ٣١٩هـ (١٧ سبتمبر / ١٦ أكتوبر ٩٣١م) . كما تمكن لشكرى بن لشكرستان — الذى فر من أذربيجان من مواجهة ديسم بن ابراهيم بن شاخلويه — من اجتياز اقليم الفاسجوراكن فى طريقه الى اقليم الجزيرة ، وذلك فى صيف علم ٣٢٦هـ (فيما بين ٨ نوفمبر ٩٣٧م و ٢٨ أكتوبر ٩٣٨م حسب رواية أخرى) . فيذكر ابن مسكويه^(٤) أن لشكرى بن لشكرستان وصل الى زوزان قرب القلعة التى كان يقيم بها أطوم بن جورجى . وقد طلب أطوم من لشكرى بلطف ألا يتسبب فى أذى الأرمن ، حفاظا منه للمهادنة التى تربطهم بالمسلمين .

Canard : Hist. de La Dynastie Hmadianides, P. 469.

(١)

Canard : Ibid., P. 469.

(٢)

Canard : Ibid., P. 470.

(٣)

(٤) ابن مسكويه : تجارب الامم ج ٢ ص ٣٦٨ — ٤٠٤ .

لكن أطوم لم يكن مخلصا في رجائه ، بل كان يدبر لالاقاع بلشكرى وجنوده ، وفعلا هجم على لشكرى ونهب مائسة معسكرو ، واقتادها عبر ممر ضيق كان رجال أطوم يربطون في اعلاه . فلما رأى لشكرى وجنوده ذلك ، هبوا للبحث عن المائسة المفقودة ، فأوقع بهم رجال أطوم وقتلوا لشكرى بن لشكرستان ^(١) ، بينما هرب من كان معه من جنود الى عقبة التين ^(٢) . ولكن أطوم باغتهم بقواته في واد ضيق وحصرهم ، تحت وابل من الصفور التي دحرجها الأرمن من قمة الجبل . وكان عدد من قتل في هذا الصدام من رجال لشكرى لا يقل عن خمسة آلاف رجل ، فلم ينج من جيشه الا نفر يسير ، وصلوا هاربين — بمشقة بالغة وفي اعياء تام — الى ناصر الدولة الصمداني في الموصل ، ومعهم لشكرستان بن لشكرى . وبذلك يكون جاجيك الاردرونى قد قضى — بفرسانه الأرمن — على نفوذ الديلمية في منطقة الانتريفاتسك ^(٣) .

وكان الديلمية — ومنهم لشكرى وابنه لشكرستان بن لشكرى — يهدفون الى الوصول للجزيرة والسيطرة على مناطق ازورستان وسورستان وأشور . وقد أمكنهم الوصول فعلا الى مدينة هدامكرت — في مقاطعة البقى — التي تعرضت لهجماتهم ، ثم تجمعوا بعدها في الانتريفاتسك . وربما كانت هذه الواقعة ونتائجها الايجابية في صالح جاجيك واتباعه الأرمن سببا في اطالة حكم هذا الرجل الى سنة ٩٤٣م ^(٤) .

وقد طلب ناصر الدولة من لشكرستان بن لشكرى وفلول قوات أبيه أن يلتحقوا بقوات بجكم التركي المرابطة في مدينة واسط . ولم يبق لدى ناصر الدولة من فلول قوات لشكرى الديلمية سوى خمسمائة

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٧٣ (حوادث ٣١٩هـ) .

(٢) عقبة التين أو جبل التين شمالي خابور الحسنية على حدود املاك ناصر الدولة . ياقوت : معجم البلدان .

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٣/٣١٨ و ٤٠٤ .

(٤) Bunciman : Romanus Lecapenus, P. 157 + Brosset : Hist. de l'Arménie, P. 243.

جندى بقائدهم • وكان بجكم آنذاك يشغل منصب « أمير الأمراء » خلفا لابن رائق ، الذي كان قد ترك واسط منذ شهر ذى القعدة ٨٣٣٦ (سبتمبر ٩٣٨م)^(١) •

أما على جبهة المواجهة بين (الحمدانيين والبيزنطيين) فقد استطاع سيف الدولة الحمداني سنة ٨٣٣٦/٣٣٧ م (٩٣٨ م) ان يحرز نصرا باهرا على يوحنا كوركوس وقواته في اعالي اقليم الجزيرة ، في موقعة دارت رحاها في المنطقة الواقعة بين حصن زياد وسلام • وكان هذا النصر مما شجع سيف الدولة الحمداني على المضي قدما لغزو أرمينية ، حتى استطاع فعلا أن يرغم كثيرا من الأرمن والكرج على الاعتراف له بالسيادة عليهم^(٢) • ثم واصل سيره حتى وصل الى بلاد الأرمن الواقعة تجاه الأراضي البيزنطية • فدخل الجهات المجاورة لكونوليا عام ٨٣٣٨/٩٤٠ م وذلك ردا على اعتداء الروم على كفتوتوا من أعمال اقليم الجزيرة الذي عملوا فيه قتلا وسبيا وتغريبا ونهباً ، وكان ذلك في السادس من صفر ٨٣٣٨ (الموافق ٦ أكتوبر ٩٤٠ م)^(٣) ، وهو ما سنورده مفصلا في موضعه •

ولا جدال في أن حروب سيف الدولة الحمداني على الجبهة الأرمينية البيزنطية كانت من نوع الحروب الوقائية التي استهدفت منع بيزنطة من تحديد المناطق التي يحكمها الحمدانيون في الموصل والجزيرة ، وذلك لو سيطروا على المناطق الأرمينية • كما كان يهدف الى استرجاع ما اخذته الامبراطورية البيزنطية من أراضي في اقليم الجزيرة • ولذلك لا نتعجب اذا ذاع صيت سيف الدولة في القرن الرابع الهجري بين جنات عالم الاسلام — شرقا وغربا — لا على انه « أمير حلب » بل على انه بطل الجهاد الاسلامي ضد الروم • وهذه حقيقة اعترف بها حتى المؤرخون الاجانب امثال كنارد وغيره^(٤) •

Canard : Ibid., P. 487.

(١)

(٢) العربي : الدولة البيزنطية ص ٣٥٣ •

(٣) الهامى : التوفيقات الالهامية ص ١٦٤/١٦٥ •

Hist. de la Dynastie de Hamdanides, P. 747.

(٤) راجع كنارد

وانه لولا ما وقع من صراع داخل أسرة دولة الخلافة العباسية ،
لمضى سيف الدولة قدما في فتوحه ، ولما توقف لانشغاله بالتدخل
لاصلاح الأحوال داخل البيت العباسي في بغداد^(١) .

أما ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية ، فصاد ليواضبل تغرله في
أذربيجان حتى وصل الى حدود المنطقة الخاضعة للحمدانيين ،
وكانت خالية من أية حامية أو قوة دفاعية . بحيث كان من اليسير عليه
دخول المناطق الحمدانية في الموصل وديار بكر دون حرب أو مقاومة .
وكان ناصر الدولة - بعد هزيمة ناطف السابق الاشارة اليها سنة
٣٢٦/٣٢٨هـ - قد كلف ابن عمه حسين ابن سعيد الحمداني ان
يتولى حكم هذا الاقليم^(٢) .

ومن ناحية أخرى ، انتهاز ناصر الدولة الحمداني رغبة لشكرستان
ابن لشكري بن لشكرستان الديلمي في الانتقام ، فأوفد معه حسين
ابن سعيد الحمداني بقوات لشكرستان مع قوات من الديالة والجبليين ،
الى القسم التابع له من أذربيجان حيث كان ديسم بن ابراهيم بن
شاذلوية قد اقترب من هذا القسم بغرض الاستيلاء عليه . وفي ذلك
بذكر أبو نمراس الحمداني - أخو حسين بن سعيد الحمداني وشاعر
الأسرة الحمدانية - في إحدى قصائده أن حسين هزم ديسم ، وطرد
اعداء أردبيل ، واخضع أذربيجان^(٣) . بينما يذكر ابن الأثير مؤكدا ،
انه بعد معارك مع ديسم ، رأى حسين بن سعيد الحمداني ، انه ليس
لديه قوة كافية تمكنه من مواصلة القتال . ولذلك ترك حسين بن سعيد
أذربيجان في يد ديسم بن ابراهيم الذي دخلها ، في الفترة ما بين غرة
المحرم وآخر ذي الحجة من عام ٣٢٦هـ (٨ نوفمبر ٩٣٧م و ٢٨ أكتوبر
٩٣٨م) . وان ناصر الدولة الحمداني عاد الى ولايته بعد ان أخلاها
بحكم أواخر عام ٣٢٧هـ (آخر عام ٩٣٨)^(٤) .

Ostrogorsky : Hist. of Byz. State, P. 245.

(١)

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٥٠

(٣) أبو نمراس : ديوانه ص ١٦ (مخطوطة برلين ١٥٩/٥) .

(٤) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٣٢٧/٣٢٨هـ .

والجدير بالذكر ان حسين بن سعيد الحمداني كان اiban الحملة التي قادها ناصر الدولة الحمداني ضد بجكم في اخرييجان • مشتركا في الممارك التي دارت رحاها آنذاك في ديار ربيعة • كما انشغل ناصر الدولة بعد ذلك بوقت قليل بمراقبة تطورات الاحداث في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ليرصد حركات النظميين والظالمين في السلطة والمناصب الكبرى ، وبخاصة منصب امرة الامراء ، وهو المنصب الذي كان ناصر الدولة نفسه ، يرنو اليه بنظرة ويهفو اليه بفؤاده • لكن عندما تم تعيينه « أميراً للامراء » لم يعد لديه القدرة الكافية ، لتوجيه بعض قواته في عمليات خارجية • وكان ذلك بسبب انشغاله بالصراع ضد البريديين من جهة ، وبعض أتباعه المتمردين من جهة أخرى • الا انه مع ذلك كله لم يهمل أمر الولايات الشمالية^(١) •

ويخبرنا الصولي - في كتابه اخبار الراضى بالله والمتقى لله - ان ناصر الدولة الحمداني ، قلد ابن عمه حسين بن سعيد الحمداني عهد ولاية أرمينية واخرييجان معا سنة ٣٣١هـ وان ناصر الدولة بعد هزيمته امام توزون التركي ، تخلص مؤقثا عن فكرة العودة الى بغداد ، واتجه باهتمامه صوب الولايات الغربية للدولة العباسية • فوقع اختياره على منطقة شمال سورية ، كما انه عاود التفكير مرة أخرى في اخرييجان التي كان قد وليها واستقر فيها حاكم أو وال آخر^(٢) •

وكان حيسم بن ابراهيم بن شاخلوية ، قد تخلص عن وزيره الذي فر والتجأ الى محمد بن مسافر سلا^(٣) • وفي هذه الاثناء (٣٢٩/٣٣٠هـ) وقعت مأساة عائيلية في أسرة محمد بن مسافر هذا • اذ سجنه ولدها وهسونان ومرزيان • ثم استولى الأول على السلطة ، اما الثاني (مرزيان) - وكان مغامرا كبقية زعماء الديلم - فإنه استمع لمقترحات

Canard. Ibid., 458.

(١)

(٢) الصولي : اخبار الراضى والمتقى لله .

(٣) هو أمير ديلمى صغير من أسرة الكتجاريين السلاويين اصحاب

شامران بمقاطعة طاروم .

Canard. Ibid., P. 459.

وزير دبسم بن ابراهيم ، الذى شجعه على غزو اذربيجان وطرد دبسم منها . واذلك عندما زحف مرزبان بن محمد بن مسافر سارر ، انفض جنود دبسم الديالة عنه — أى عن دبسم — كما تخلى عنه بعض جنوده الاكراد ، فلم يعد امام دبسم سوى الالتجاء الى صاحب (أو حاكم) اقليم الفاسبوركان الأرمنى جاجيك بن ديرنك ، الذى كان على علاقة طيبة معه . وظل دبسم مقيما فى اقليم الفاسبوركان تحت حماية جاجيك الأرمنى ، منتظرا اللحظة المناسبة للانتقام . لكنه لم يلبث الا قليلا ، حتى وقع فى يد غريمه ، الذى اكرمه واسكنه فى احدى قلاع الحصينة ، متظاهرا باكرامه ، بينما هو فى واقع الامر اعتقال وتحديد اقامة . وبذلك اصبح مرزبان بن محمد بن مسافر سارر سيدا لا منازع له على اقليم اذربيجان كله ، والبنيا ، وأرمينية^(١) .

لكن ناصر الدولة الحمدانى لم يستسلم لوقوع اذربيجان خالصة « لمرزبان الساررى » وانما سعى جاهدا لاسترجاعها . فأرسل حملة بقيادة حسين بن سعيد^(٢) . لطرد مرزبان منها . ويبدو ان هذه الحملة لم تقم قبل عام ٨٣٣٣ (٨٢٤/٨٢٤م)^(٣) . وذلك لان حسين بن سعيد كان حتى عام ٨٣٣٣ مشغولا فى سورية ، التى طرده منها محمد بن طنج الأخشيدي حاكم مصر آنذاك^(٤) . فلما لم ينجح حسين بن سعيد فى مواجهة الأخشيدي حاكم مصر وانتزاع جنوب بلاد الشام منه ، عاد الى الموصل ، بعد ان تخلى عن مطالبة فى سوريا (شمال بلاد الشام) لابن عمه سيف الدولة الحمدانى^(٥) .

اختار حسين بن سعيد الحمدانى اللحظة المناسبة للتدخل فى اذربيجان منتهزا فرصة انشغال مرزبان بن محمد بن مسافر سارر « بالحرب ضد بعض الغزاة القادمين من الشمال ، وهم الرسيون — القاطنين بمنطقة وادى نهر الرس Rus — وكانوا محاربين اشداء .

(١) Canard : Ibid., P. 482.

(٢) كان حسين بن سعيد الحمدانى قد تغلغل قبل ذلك عمل اذربيجان

(٣) الهامى : التوفيق للالهامة ص ١٦٧ .

(٤) Canard : Ibid., P. 480.

(٥) Canard : Ibid., P. 480 - 60.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

وقد قدموا عن طريق بحر قزوين ، ثم صعدوا عبر نهر كسر Kur — قرة أو قوره — ، حيث نهبوا مدينة بردعه وخربوها ، وجلبوا غنائمهم وأسراهم في موضع حصين يسمى شاهرستان الذي استولى عليه مرزبان بعد انتهاء حروبه ضد الروس (١) .

في هذا الوقت الحاسم (حول ٨٣٣) وصل حسين بن سعيد الحمداني الى مدينة سلماش Sahmas — الواقعة غربى بحيرة أورمية — بعد أن انضم اليه الأكراد ، القاطنين منطقة نهري الزاب جنوب غربى بحيرة أورمية (٢) . وقد كان من الممكن أن يواجه مرزبان محمد بن مسافرا سائر موقفا عنيفا ، حيث كان عليه أن يحارب في جبهتين في آن واحد ، فيمضى بنفسه لمواجهة حسين بن سعيد الحمداني ، بينما يستتر أحد قواد جيشه في حصار الروس . لكن بعض عوامل السهبة في تعديل موقف مرزبان ، بما ساعده على التغلب على هذه المواجهة الوشيكة الوقوع ، والا كان مرزبان قد تعرض لهزيمة محتملة أوربما محققة من حسين بن سعيد الحمداني وجيوشه (٣) .

ويذكر ابن مسكويه (٤) أنه منذ الاستيلاء الأول بين مرزبان وبين حسين بن سعيد الحمداني في منطقة اران Auran — لعله يقصد إران الحالية بالقرب من سلماش — كان الجليد قد هطل بكميات كبيرة ، بينما شاعت الفوضى في قوات الحمداني ، التي كانت تتشكل في معظمها من غرب البادية . فتركوا ميدان القتال ، مما اضطر الحمداني للتقهقر منسحباً الى موضع حصين ، بينما عاد مرزبان لقتال الروس الذي مالبثوا أن اخلوا البلد .

أما أبو فراس الحمداني فيورد — في ديوانه — ان حسين بن سعيد الحمداني اجتاز أراضي أذربيجان مع جنده حملة الرماح ، وان

(١) ابن مسوية : تجارب الأمم ٦٢/٢ ،

Minorowsky, B. S. O. A. S., Vol. XI 2, P. 264.

(٢) ابن حوقل التنينى : صورة الأرض ص ١٥٦ ، ٢٣٦ ،

Canard : Ibid., P. 480.

(٣)

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٦٢/٢ — ٦٧ .

مرزبان بن محمد بن مسافر سلار أقر لحسين بن سعيد الحمداني
بالجزية^(١).

ويبدو أن حسين بن سعيد الحمداني مكث بعض الوقت في اقليم
أذربيجان . فيذكر ابن مسكويه أن ناصر الدولة استدعاه أوائل عام
٨٣٣٤/٨٤٥م ، بعد وفاة أوزون التركي أمير الأمراء في المحرم ٣٣٤^(٢)
(٨/١٣ — ٨٤٥/٩/١١م) ، بينما فكر وزيره أو كاتبه سره « ابن
شيرزاد » في أن يخلفه — يخلف توزون — ناصر الدولة الحمداني .
حيث بدأ أن ناصر الدولة ، هو الشخصية الوحيدة ، القادرة وقتذاك
على التصدي للتهديد الذي يضغط به أحمد بن بويه الديلمي (معز
الدولة) على عاصمة الخلافة العباسية . لكن الجيش العباسي فضل
ارتقاء ابن شيرزاد نفسه المنصب ، الذي كان يشغله توزون التركي
قبل وفاته ، أي منصب « أمير الأمراء » وبذلك صار ابن شيرزاد أميراً
للأمراء^(٣).

ومن ناحية أخرى كان ناصر الدولة الحمداني يتوقع نشوب معارك
في العراق . ولذلك أراد أن يحشد قواته . فاستدعى ابن عمه حسين بن
سعيد الحمداني الذي ترك أذربيجان ، ليبقى المرزبان سيداً لا منازع
له على أذربيجان والبلانجا ، وسيدا على منطقة أرمينية^(٤).

وهكذا يجانب التوفيق الحمدانيين في محاولات بسط سيطرتهم
ونفوذهم على اقليم أذربيجان . وذلك على عكس ما رواه أبو فراس
الحمداني شعراً في ديوانه من أن مرزبان بن محمد بن مسافر سلار ،
اضطر في وقت ما أن يقبل بدفع الجزية لحسين بن سعيد الحمداني .
كما يبدو أن ناصر الدولة تخطى — بعد ذلك عن كل رغبة له في التدخل

Canard : Ibid., P. 480.

(١) أبو فراس : ديوانه . و

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٥٠ و ابن مسوية : تجارب

الأمم ٨١/٢ — ٨٢ .

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ص ٢٥٠ .

Canard : Ibid., P. 482.

(٤)

في اقليم اذربيجان من جديد . وسنرى فيما بعد ان ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية قدم الى الموصل عام ١٣٤٢م (٩٥٣/٩٥٤م) بلتمس المساعدة من الحمدانيين ، تلك المساعدة التي قدمت له بعد ذلك بستين تقريبا سنة ١٣٤٤م (٩٥٥م) بواسطة سيف الدولة (١) .

والحق ان هناك من الاسباب الكثيرة ما اسهم في فشل محاولات الحمدانيين بسط نفوذهم على اذربيجان عام ١٣٣٣م : ذلك ان ناصر الدولة الحمداني انشغل بمطامح أخرى ، حيث كان مطلبه الرئيسي هو فتح بغداد والسيطرة عليها ، في وقت كان المطلوب منه الوفاء بالتزامات عسكرية أخرى . ولذلك لم يتمكن من تجهيز حملة قوية مدعمة لجبهة اذربيجان . كما يبدو ان النقص الكبير في القوات غير العربية القادرة على الحرب في اقليم جبلي ، ذو شتاء طويل وقاس ، كان أيضا من اسباب فشل حملة الحسين بن سعيد الحمداني .

أما الموقف بالنسبة لارزيان فكان بالتأكيد عكس ذلك . اذ كان لديه جيش قوى ، كما أن صعوبة المواصلات بين منطقة اقليم الجزيرة واذربيجان تعد عاملا هاما من عوامل فشل الحمدانيين في هذه الجبهة . ذلك ان الطريق الموصل من الموصل الى سنو وأرمية عبر طريق اربيل Arbil ورواندروز ومضيق أشين ، كان طريقا صعبا وعرا ، فضلا عن عدم تيسر استخدامه معظم ايام السنة ، وكذلك الحال بالنسبة لطريق الازاب الكبير (٢) .

أما على الجبهة الأرمنية ، فيمكن القول ان ناصر الدولة الحمداني أحرز نجاحا أكبر قليلا . اذ وسع نفوذه بالسيطرة على اقليم شبه مستقل اذمن له بدفع الجزية المطلوبة (٣) .

وكانت أرمنية — المقسمة الى عدد كبير من الامارات الانقطاعية — قد استطاعت ان تحتفظ — منذ المعاهدة التي سبق ابرامها مع حبيب

Canard : Ibid., P. 462.

(١)

Canard : Ibid., P. 462.

(٢)

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٠٠ و ياقوت : معجم البلدان .

Laurent : L'Arménie. P. 33 - 34.

ابن مسلمة منذ سنة ٨٣٣ م (٦٥٣ م) — حين كان معاوية واليا على بلاد الشام — باستقلالها وحكمها الذاتي ، مقابل بعض التزامات : كان من أهمها دفع جزية سنوية أداها امراء الأرمن سنويا للوالي المسلم — ممثل امير المؤمنين والدولة الاسلامية — في أرمينية^(١) . وكان مقر الامير أو الوالي المسلم هناك يقع في جنوب البلاد الأرمينية . وان كان الوالي على أرمينية لم يكن ، في الغالب يقيم في مقره هناك ، بسبب مسؤوليته عن ادارة اقليم آخر مجاور لها مثل أذربيجان أو غيرها . ولذلك ظلت أرمينية — لمدة طويلة — تابعة لمنطقة ديار بكر ، حين كانت هذه تحكم بواسطة « عيسى بن الشيخ » وخلفاؤه بنى شييان ، ثم صارت تابعة لأذربيجان ابان حكم بنى الساج حتى نهاية حكمهم^(٢) .

ومن ناحية أخرى ، نجد ان الروم ، في أواخر حكم رومانوس الأول (ليكابينوس) البيزنطي (٩١٩ — ٩٤٤ م) وحضلاء أنفراد قسطنطين السابع (بورغريوجنتس) بالحكم (٩١٣ — ٩١٨ و ٩٤٥ — ٩٥٩ م)^(٣) ، ركزوا اهتمامهم وجهدهم على الجبهة الشرقية البيزنطية ، وبخاصة جبهة الثغور الشامية . ولعل ذلك كان بسبب تخوفهم الشديد من المسلمين ، الذين أحرزوا انتصارات بالهرة على قوات بيزنطة — عقب عزل يوحنا كوركواس — وذلك بفضل بسالة وجلاء سيف الدولة الحمداني ، الذي استطاع ان يمد نطاق نفوذه ليشمل المنطقة من طرسوس بالشام الى البلاد الأرمينية ، وهو وضع خلق قلقا كبيرا لبيزنطة ليس من الممكن أن تتجاهله لخطورته^(٤) .

ولذلك فبعد اللحظة التي صارت فيها حلب الشهباء — في سوريا — هي حاضرة سيف الدولة الحمداني ، انتقل ميدان الصراع البيزنطي

Laurent : Ibid., P. 34.

(١)

Canard : Ibid., P. 462 - 463.

(٢)

(٣) قسطنطين بورغريوجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية

ص ٢٣٥ (تعريب محمود سعيد عمران)

(٤) اسدرستم : الروم ج ٢ ص ٩٢ و

Canard : Ibid., P. 761.

ضد المسلمين عامة والحمدانيين بخاصة ، الى منطقة امتدت رقعتها من قليقية (كيليكيا) الى ديار بكر ، متحولا بذلك عن جبهة اخريجان وأرمينية^(١) .

والحق ان الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) استطاع خلال سني حكمه الأولى - ان ينتصر على القوات الاسلامية في كل من اقليم الجزيرة ، والبلاد الأرمينية ، وكانت تلك الانتصارات مما شجعه على العمل للتأثر لما أصاب الروم من هزائم وكوارث على ايدي القوات الاسلامية (الحمدانية) . ولذلك يعتبر قسطنطين السابع أول من استهل عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، سواء عند الفرنج أو الروم على حد سواء^(٢) .

على خلال سنة ٩٣٩م (٨٣٢٨) قام الروم بمحاولة لفتح قاليقلا (ثيود وسيوبوليس) ومنطقتها ، التي يبدو أن المؤلفين البيزنطيين قد تجاهلوا ، ولم يتحدثوا عنها الى عبارات غامضة . اذ أوردوا ذكر الحملة التي قام بها تيوفيل Theophilus أخو يوحنا كوركواس في هذه المنطقة . وكان وضع قاليقلا - ذات المركز الاستراتيجي الهام والبارز على الحدود الاسلامية البيزنطية - ذا طبيعة خاصة متميزة . وذلك لأن جيرانها الجيورجيين (الايبيريين) - رغم ارتباطهم بالقسطنطينية ، وانهم كانوا اقرب الى الروم من الأرمن ، بحكم عقيدتهم الارثوذكسية - لم يكونوا راغبين في وجود نفوذ بيزنطي في منطقتهم ، وكانت الامدادات والمؤن تأتيهم عن طريق كتريون Ketrion - ومكانها ليس معروف حاليا - كما كانوا يعارضون تماما أي اعتداء على المناطق التي كان بها نفوذ عربي اسلامي^(٣) .

وقد استعرض الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس)

(١) العربي : الدولة البيزنطية من ٣٥٣ ، ٣٦٢ .

(٢) العربي : الدولة البيزنطية من ٣٦٨ ، ٣٧٠ . و

Rambaud : Hist. de l'Empire Grec., P. 436.

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 744.

(٣)

هذا الوضع بتفصيل مسهب ، متهما الجوزجيين بسوء النية ، وتحدث عن الحصار التي استمر لسبعة اشهر وانتهى بالاستيلاء على قاليقلا (ثيودوسيوبوليس) ، وذلك دون ذكر تاريخ نذك الاستيلاء^(١) . ولكن يبدو أن ذلك وقع بين سنتي ٣٣٩ ، ٣٣٣ م (٩٤٠/٩٤٣ م)^(٢) .

يذكر ابن ظافر^(٣) أن الروم شيدوا وقتئذ — للاستيلاء على القلعة ، وفي مواجهتها — مدينة تسمى (هافجيج Hapjig)^(٤) — تقع شمال بنجول داغ عند منابع نهر الرس Arax . وكان الغرض من بناء هذه المدينة — بلا شك — هو منع وصول أي نجدة الى قاليقلا . وقد استغاثت الحامية الاسلامية هناك بسيف الدولة فلم يتأخر عن نجدة قاليقلا .

وفي مستهل عام ٣٣٨ م (٩٣٩ م) رحل سيف الدولة من ميلارقين ، حيث مر بمدينة منزيكرت ، دون أن يعترض امرأ الأرمن طريقه . فلما سمع الروم بمقدمة سارعوا الى رفع الحصار بعد أن دمروا المدينة التي بنوها (هفجيج) . وبذلك يكون النصر قد حسب مقدما في جانب سيف الدولة وقواته . وقد أمضى سيف الدولة شتاء ذلك العام في مدينة أرزن على مشارف أرمنية^(٥) .

وفي الربيع من عام ٣٣٨ م (٩٤٠ م) مضى سيف الدولة الى أرمنية ، حيث عقد هناك مؤتمرا في مدينة نرفان ، دعا اليه مختلف الامراء الأرمن ، وامراء العرب في أرمنية ، ليستوثق من حسن نواياهم ، في نفس الوقت الذي كانت عملياته ضد الروم مستمرة . وقد أخضع

(١) راجع قسطنطين بورغروجنس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ١٦٧ — ١٧٢ .

(٢) راجع بورغروجنس : المرجع السابق ص ٢٨ .

(٣) ابن ظافر : اخبار الدول المتقطعة ورقة ١/٣ .

(٤) هفجيج : مدينة جديدة بناها الروم شمال بنجول داغ : راجع :

Canard : Ibid., P. 480 - 481

(٥) ابن ظافر : المرجع السابق ورقة ٣/ب .

إسـلـطـتـه بـلـاد السـنـاسـنة^(١) (السـنـسـونـيـن) و الطـنـون ثم مـضى بـعد ذلـك إلى اقلـيم المـرـزبان — بـنـد يـقع بـيـن الطـنـون و لواء خـالـديـا (كالـديـا Chaldia) لان حملـتـه كـانـت تـسـتـهـدف حـكـومـة تـيـوفـيل (الشـريـف كـما يـورده بـورقـير و جـنـتـس) ، أـخـى يـوحـنا كـورـكـوس • و اسـتـطـاع سـيـف الـدولـة فـعـلا ان يـقـتـصـم لـواء كالـديـا و ان يـسـتـولى عـلى كـثـيـر مـن مـدـنـه و قـسـلـاع^(٢) .

و في اثـنـاء ذلـك و رـدـت رـسـالـة مـن الـامـبراطـور البـيـزنطـي أو مـن الدومـسـتيق ، لـم يـعـرف فـحـواها ، و ان كـان مـن المـحـتمـل أن يـكـون قـد طـلب الرـوم سـيـف الـدولـة ، و يـبـدو ان عـبارـات الرـسـالـة اثارـت غـضب سـيـف الـدولـة ، فـأرـسـل ردا قـاسـيا عـلـيـها للـروم ، مـما دـفع امـبراطـور الرـوم إلى القـول أنـه (أي سـيـف الـدولـة) يـتـكـلم كـما لو كـان قـد حـاصـر بـالـفـعـل مـديـنة كـولـونيـا • « فلـما عـلم سـيـف الـدولـة بـمـقـولـة الـامـبراطـور هـذه ، عـزم عـلى القـيـام بـنـفـسـه بـحـمـلة لـمـحـاصـرة مـديـنة كـولـونيـا ، و لم يـسـمـع لـنـصـح المـحـبـيـن بـه ، اذ حـذـروـه مـن خـطـورة هـذا العـمـل الخـطـير ضـد هـذه المـديـنة الحـصـينة ، و قال لـست أـقـلـع بـن قـصـد هـذه المـديـنة فلـما ظفـر واما الشـهادـة^(٣) .

وأمـام كـولـونيـا — الـتي ضـرب عـلـيـها سـيـف الـدولـة الحـصـار — كـتب مـرة أـخـرى خـطـابـا لـلـامـبراطـور البـيـزنطـي ، مـعـناه اننا قـد جـئنا فـعـلا و حـاصـرنا كـولـونيـا فـما أنـت فـاعـل ؟ • و قد جـعلـت هـذه الحـمـلة سـيـف الـدولـة في نـظـر الرـوم مـن اخطـر الـاـعـداء ، فـحـاولـوا مـطـارـدـتـه عـند عـودـتـه ، لـكنـه أـوـقـع بـهم — كـما يـذكـر ابـن ظـافـر — هـزائم مـتـلـاحـقة في عـدة مـواقـع^(٤) .

(١) بلاد السـنـسـونـيـن أو السـنـاسـنة : و في التـعـبـير العـامى في حـلب يـطـلق عـلى الأـرـمن الـذيـن يـتـولـون مـهـنة خـبز الخـبز في الـافـران اسـم (الصـواصـنة) . و كـتـبت هـذه الحـرفـة قـديـما خـاصـة بـهم (الأـرـمن) . و بـلاد السـنـاسـنة مـنـطـقـة جـبـليـة تـقع في جـبال طـورـوس جـنـوبى طـارون يـقـطنـها عـشـيرة أـرمـيـنيـة مـن الصـواصـنة . راجـع سـلـى الكـيـلى سـيـف الـدولـة و عـصر الـحـمـدانـيـن ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 745.

(٣) ابـن ظـفـر : الدول المـتـقـطـمة ١/٣ — ١ .

(٤) ابـن ظـفـر : الدول المـتـقـطـمة و ج ١ و رتـبة ٣ ب .

Canard : Ibid., P. 748.

وقد ذكر أبو فراس الحمداني هذه الواقعة (واقعة حصار كولونيا) ، في قصيدة من قصائده ، أشاد فيها بعناد وصلابة الأمير سيف الدولة الحمداني وهو يقود قواته الى كولونيا Colonei ، على الرغم من اعتراض من حذر الأمير ، والمتخوفين من عواقب هذا العمل من حاشية سيف الدولة ومستشاريه^(١) . وقد ذكر أبو فراس في قصيدته عن حصار كولونيا — في حوالي خمسة أبيات منها — كيف ان سيف الدولة جعل فرسانه على جانبي كولونيا ، وانهم امطروا هنزيط بوابل من قذائف المنجنيق ، وان الأمير زاد فرسانه الى مرج قلليز بهدي الاسلام وذكائهم . فهزم كوركواس ، والبطارقة الذين كانوا يحفون به ، وأصاب الروم ، بضربات عميقة أضعت جيشهم اضعاها شديدا ، على الرغم من كثافته وما حشدت له الامبراطورية من عتاد وذخيرة ومؤن ، وان سيف الدولة أقام في كولونيا مدة ثم غادرها الى ميافارقين^(٢) .

وقد احدثت غارة سيف الدولة وانتصاراته في كولونيا ، قلقا بالغا بين الروم ، الذين صاروا يستحثون يوحنا كوركواس على سرعة التصرف ، والتدخل بكل قواته لمحاربة القوات الحمدانية وأميرها ، في الوقت الذي ادرك فيه سيف الدولة بضرورة حسم الموقف بنصر نهائي وهو ما حققه فعلا^(٣) .

ونستطيع ان نتبين — من ورود ذكر حصن زياد أو يزيد وهنزيط (أو هنزيت) أن الأمير الحمداني عاد بقواته من طريق أنزيتين — ما يتفق مع اشعار أبي فراس الذي ذكر في قصيدته ان قلليز كانت في طريق عودة الحملة من ورتانيس (ورتنيس) Wartanis ، وان ذلك

(١) أبو فراس : ديوان أبي فراس (مخطوط برلين) ص ١/٢١ ،
١/٣٩ ، نشر الدهان ص ١١٦ ، ١٤١ .

(٢) أبو فراس : ديوانه ص ١٤١ ونسخة برلين ورقة ١/٣٩ . و
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, P 747.

(٣) راجع ديوان أبي فراس (نسخة الرباط) ص ١٣٦ ، ١٣٧
والدهان ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٠ . وينسب ياقوت (في معجمه) ج ٤ ص ١٦٨
هذه الواقعة خطأ الى عام ٩٣٥/٩٤٦/٩٤٧ م .

يتصارض مع التمهيد الذي أورده ابن حوقل لموقع قليز^(١) .

وقد أورد ابن ظاهر ذكر حملة سيف الدولة على قلوניה (كولونيا) بشيء من التفصيل فقال^(٢) : « سار سيف الدولة حتى نزل على (كولونيا) ، وأحرق رسائيقها ، وسلب ضياعها ، وكتب إلى الدمستق وهو إلى الملك — (يعني أن الكلام موجه للإمبراطور عبر قائدة «الدمستق») — كتابا من قلوניה . فاستعظم الروم هذا الفعل وخافوه خوفا عظيما ، لأنه (أي كولونيا) بلد لم يطأه أحد من المسلمين ، ثم رجع سيف الدولة منها فاعترضه الدمستق ، فأوقع به سيف الدولة ، وقتل من الروم مقتلة عظيمة لا يحصوها إلا الله » .

كما يورد ابن الأثير رواية أخرى عن حملة سيف الدولة هذه التي وقعت سنة ٨٣٢٨ هـ (٩٣٩ — ٩٤٠ م) ، فيذكر أنه « . . . قيل وفي سنة ٨٣٢٨ سار سيف الدولة من ميافارقين إلى أرمينية ، ونزل بطيطوانة (طلوان)^(٣) Tadvan على بحيرة «فان» أو «وان» Van, Wan واستدعى (سيف الدولة) ابن جاجيك (جاجيق) بن الديرائي (ابن ديرنيك) ملك واسبوركا (أو الفاسبوركان) الذي توفي بعد ذلك عام ٩٤٣ م Gagik B. Al Dayrani (جاجيك بن الديرائي) وأحمد ابن الرحمن أبي المعز صاحب ضلاط وذات الجوز (القوز) وأرجيش وبركري (بركري) ، وعبد الحميد — (يورده كنارد أبو لشفيت عند الأرمن) — صاحب ملازكرد وحشته المورك والمهرك ، وأشوط Ashot بن جريجور بطريق^(٤) البطارقة بأرمينية ، وحضروا

(١) راجع ابن حوقل : صورة الأرض (مادة مرج قليز) .

(٢) ابن ظاهر : الدول المنقطعة ورقة ٣/ب .

(٣) ابن الأثير : ج ١ ص ١١١ — ١١٢ وسلمى الكينلي : سيف الدولة ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٤) هو أشوط الثالث البجراتي (البغري عند ابن الأثير) وهو ابن طرنيق عند ابن ظاهر . وكان لقب بطريق البطارقة يطلق على ملك الملوك في أرمينية . وقد تمتعت أرمينية في عهد أشوط الثالث البجراتي بالسلم والعدل والأمان . راجع نيسل السامر : الدولة الحمدانية ٢ ص ١٥٧ حاشية ١٨ .

لديه واخذ من ابن الديرائى (جاجيك ديرنيك) حصن شهران والحامد وبلدانهما وماجاورها • واخذ من أحمد بن عبد الرحمن بدليس وما جاورها واخذ من أشوط بلد السنانسة (ساسون) ، وفتحها وملك قلعة قلب — منطقة أو حصن سليمان وأعمالها — ، ورد ملوك أرمينية فوصلوا تحت حكمه وفى خدمته • وسار الى بلد ابن المرزبان ، وبلد الخالدية فنهيه وسبى منه خلقا عظيما ، وفتح حصونهم أجمع وذلك فى مدة خمسين يوما وعاد ^(١) •

كما يذكر ابن ظافر ان سيف الدولة الحمدانى تلقى فى خضلاط (اخيلات) ولاء ملك أرمينية وجورجيا ، الذى لم يسبق له أن قدم ولاء لأى انسان ، ولكنه الآن اضطر لتسليم الحمدانى القلاع التى كانت تضايق المسلمين ، وتعهد له بالمحافظة على تأمين الطرق ، وعدم قطعها على المسلمين • ثم ذهب سيف الدولة الى بلدان ابن طرنيق (ابن ديرنيك أو ابن الديرائى) ، وحاصر موش Moush وغنم منها ، وتهدمت أثناء الهجوم والمصار كنييسة مشهورة بها ^(٢) •

أما أبو فراس الحمدانى فيشير — فى ديوانه — الى خضوع الامراء (الملوك) الجحافيون (السلاميون) بالقوة — بعد مقاومة غير مجدية — رغم أنهم مقاتلين عظام • وهؤلاء الجحافيون من العرب ، وأهمهم أبو اليقظان الملاء بن مسلمة السلامى ، الذى حاصر سيف الدولة بلده ، واستولى عليها • هذا بينما فر أبو اليقظان الى القسطنطينية ولم يصمد ، رغم الامدادات التى جاءت لنجده • وقدر عددها بنحو عشرين ألف رجل ، هزمهم سيف الدولة جميعا • ولما لم يجد أبو اليقظان جدوى من المقاومة والخروج ، عاد ، ومعه ابعوانه ، لتقديم الولا والطاعة ولإذعان لسيف الدولة • فقبل

(١) ابن الأثير : ج ١ ص ١١٠ — ١١١ • و

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة ورقة ٣ ب و ١/٤ — ب كنييسة طارون المشهورة باسم صرب كلريت ؟

Cmard : Ibid., P. 486.

تأمينه ، وأذن له بالعودة الى بلحته • وبعد ذلك سار سيف الدولة الى عبد المعز (سيد خلاط) وأبو سالم ، فاستولى على مدنها ، لكنه لم يلبث أن ردها اليهما وثبتهما عليها ، وبذلك صار عبد المعز أبو سالم من اتباع سيف الدولة^(١) •

على انه ليس من الواضح ما اذا كانت كلمة « الملوك الجحافيون » تنصرف الى الشخصيات الثلاث التي ذكرها ابن ظافر — وهم أبو اليقظان ، وأبو سالم (أو سليم) وأبو المعز (عبد المعز) أو الى أولها فقط ؟ ، وما اذا كان هناك جحافيون خلاف من يسميهم الأرمن « قيسية ؟ » ، أو أن التسمية العربية تشمل — هؤلاء وهؤلاء • • والكل — على أية حال — أقرباء ومن قبيلة واحدة • وان كان يبدو أن « أبو اليقظان الصلاء بن مسلمة » هو نفسه ابن مسلمة الذي ذكر اسمه وورد في الحروب العربية البيزنطية ، ولم يقل مصحر من المصادر اين يقيم^(٢) • على أنه من المسير التوفيق بين هذه الرواية وبين ما أورده المؤرخ البيزنطي قسطنطين بوريغوجنتس^(٣) •

ففى نص ورواية ابن الأزرقي تاريخ الفارقي (تاريخ ميافارقين) ، صحح ماركفرت عبارة « استدعى أحمد بن عبد الرحمن وأبى المعز » فحذف حرف الواو ، وجعل من أحمد بن عبد الرحمن وأبى المعز شخصا واحدا هو سيد خيالات (خلاط) ، وذات الجوز (التريكية) ، وأرجيش ، وبيركرى ، وهو خلاف « أبى المعز » انذى ورد ذكره عند قسطنطين بوريغوجنتس ، والابن الاصغر لأبو الأسود ، الذى تجرد من السلطة فى عهد أخيه عبد الرحيم ، وعنه أبو سواده (أبو لبشت) على ان المماثلة أو المطابقة بين أحمد بن عبد الرحمن — الذى هو « أقيمت » عند بوريغوجنتس — وهو بن أبو سواده بالتبني ، وبين وبين « أبو المعز » ، يؤيدها من جهة أن الامكن التي ذكرت فى رواية

Canard : Ibid., P. 481.

(١)

Canard : Les Hamdanides et L'armonie, AIEO, VII, P. 88.

(٢)

(٣) راجع بوريغوجنتس : ادارة الإمبراطورية البيزنطية

ابن الأزرقي عقب اسم أبو المعز (عبد المعز) هي يعينها الأماكن التي ذكر بورغيموجنتس ، أنها خصصت لاخت (أحمد بن عبد الرحمن) ، بواسطة والده بالتي (أبو سودة) . وأنه — أي أحمد — احتفظ بها في عهد أبو سالم بمنزيرت ، كما يؤيدها أيضا أن ابن الأزرقي لم يذكر اسم أحمد بعد ذلك بل ذكر اسم أبو المعز فقط . والراجع أن أحمد ابن عبد الرحمن هذا المذكور سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٠م ، والذي اغتاله أبو الورد الثاني ابن أبو سالم — كما ذكر بورغيموجنتس — لا يمكن أن يكون قد اغتيل إلا بعد سنة ٣٣٨هـ (١) .

وعلى هذا فذلك إذن في عام ٣٣٨هـ / ٩٤٠م أميرين لمنزيرت وأماكن أخرى ، سماه بورغيموجنتس « أبو سالم » — ولكن ابن الأزرقي سماه عبد الحميد . وأمير في خيبرات وغيرها ، سماه بورغيموجنتس ، اخت « فقط » ، بينما سماها ابن الأزرقي « أحمد بن عبد الرحمن أبو المعز » . هذا ، كما ورد اسم أبو المعز أيضا على لسان أبي قزاس الحمذاني ، الذي كان يعرف — خلاف أبو اليقظان العللاء بن مسلمة — أميرين آخرين هما : « أبو سالم وأبو المعز » (٢) .

والشيء المثير جليا في تاريخ هؤلاء الأمراء الأرمن المصرب — كما صرح بذلك بورغيموجنتس — أن هؤلاء الأمراء كانوا يعنون أيضا باسمائهم ، وأحيانا أخرى بكنيتهم (أبو . . .) ، وأن « عبد الله » من الممكن أن تختلط بيسر مع « أبو الله » . ولم يدرك — فضلا عن ذلك — توافق شخصين يحمل كل منهما اسم أبو المعز (أو عبد المعز) . وعلى أية حال ، ففي الوقت الذي كان يدون بورغيموجنتس تاريخه هذا ، بين سنتي ٩٤٩م ، ٩٥٢م ، كان أبو سالم (سلمس) قد توفي ، وحل محله أبو الورد الثاني . وكذلك كان أحمد (أبو المعز أحمد) قد اغتيل بيد أبو الورد الثاني ، الذي ضم إلى اقطاعاته منزيرت ، سائر مدن بحيرة « فان » (٣) .

Canard : Hist. de la Dynastie Hamd., P. 482/3.

(١)

Canard : Ibid., P. 483.

(٢)

Canard : Ibid., P. 483.

(٣)

على أن ماورد في كلام أبو فراس الحمداني ، أتاح الفرصة لضبط نص ابن الأزرقي فيما يتعلق بالحاكم على مانزيكرت . ولما كان كل من ابن الأزرقي وأبو فراس الحمداني ، يتحدثان عن فترة واحدة وشخص واحد ، فلا بد أن يكون « أبو سالم » الذي ذكره أبو فراس و « عبد الحميد » الذي ذكره ابن الأزرقي أحدهما كنية والآخر اسما لشخص واحد . لأن « أبو سالم » يطابق بوضوح في تاريخه اسم أبو سلمس (سالم) الذي أورده بورغويوننتس وأبو (سلمس) هذا إذن هو ذاته عبد الحميد صاحب منزيكرت . والراجع في هذه القضية — ان نقول بأن اسم سيد منزيكرت هو « ابن عبد الحميد » ، وان كلمة « ابن » قد سقطت اما بيد ابن الأزرقي أو بيد ناسفه . اما عن أبي فراس وبورغويوننتس فيحتل انهما لم يكونا يعرفان سوى كنية الشخص ، وأهم كل منهما واحدا أو أكثر من مكونات الاسم الكامل^(١).

وأيا كان الأمر فانه يبدو أن ماركفارت قد اخطأ حين اعتبر أن « عبد الحميد » الذي ذكره ابن الأزرقي هو ابن أبو سالم (سلمس) الذي سماه قسطنطين خطأ « ابلبرت الثاني » (أبو الورد الثاني) والاسم الأخير صحيح تماما فهو « أبو الورد » سيد منزيكرت ونواحي أخرى^(٢).

وليس من شك في ان اغتيال أبو المزم (عبد المزم) أحمد بن عبد الرحمن والابن المتبنى لابي سودة ، كان سببه طموح أبو الورد ، وربما أيضا إلى اسباب عائلية تتصل بانسلاله الملكية . لأن ابن عبد الرحمن من فرع أصغر بالنسبة إلى سائر الأمراء ، ولذلك ربما اعتبر حفيلا على الأسرة المالكة . أما أبو المزم الآخر ، الذي جرد من سلطته لصغر سنه ، فمن لا نعرف ماذا جرى له بعد ذلك ، وربما يكون قد أقصي من مناصبه بواسطة أبو الورد^(٣).

Canard : Ibid., P. 483/484.

(١)

Canard : Ibid., P. 483.

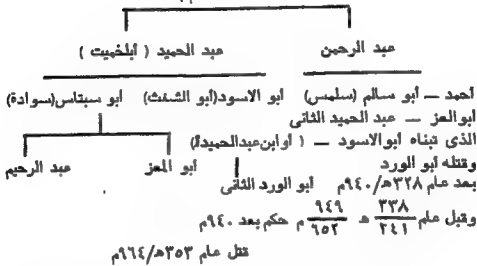
(٢)

Canard : Ibid., P. 483/484.

(٣)

جدول انساب الاسرة القيسية
في القرن الرابع / المائتين الميلادى
في ارمينية
أبو الورد الاول

2404-72A

$$(\mu_{75} - \mu_{72})$$


وفيما يختص بباقي الامراء الأرمن الوارد ذكرهم في نص ابن الأثير ، فإن ابن جابيق بن ديرانى هو حقا ملك الفاسبوراكين جابيك بن ديرنيك ، اذا سلمنا بأن جابيك لم يمت الا في عام ٩٤٣م/٣٣٣هـ (ينبغي في هذه الحالة حذف كلمة ابن من النص) . وهو ابن ديرنيك اذا سلمنا بأن جابيك توفي عام ٩٣٧م .

أما أنشوط بن جرجير فهو أكثو بن جريجوريك أمير طارون
 الباجراتي ويسميه ابن ظافر ابن طرنيق ، اذا بن طرنيق - وهم اسم
 سلالتي لهذه الأسرة في نظر ابن ظافر . لانه يطلقه أيضا على الأمير
 الذي تولى الحكم في طارون سنة ٨٣٣٣/٩٣٥م . ولا يمكن الاستدلال
 من نص ابن الأثيرق على وجه اليقين على ان أنشوط قد خلف اخاه
 بباچرات ، وان كان هذا محتملا ، نظرا الى صفته كابن طبيعي بالنسبة
 الى اخيه باچرات .

أما أمير الأمراء فهو قطعاً الملك الجرجاني ، أقوى أمراء أرمينية (الأول بين أقرانه *Primus Inter Pares*) • وهو نفس الشخص الذي يدعو ابن ظافر « ملك أرمينية وجورجيا » • ويبدو أمراً غريباً ، أن هذا الأمير الذي كانت ولاياته في معظمها بعيدة عن متناول الصعداني ، قد أتى من عاصمته النائية الواقعة شمالى نهر الرس ، لمقدم الولاء لسيف الدولة الصعداني • غير أن هذه الزيارة تتمشى تماماً مع روح سياسة التآرجح الأرمينية (سياسة لعبة المتوازن) التي تراعى جانب العرب أحياناً ، والروم أحياناً أخرى ^(١) •

وقد طلب سيف الدولة من كل من هؤلاء الأمراء بعض الضمانات ، أى بعض المواقع والنقاط الاستراتيجية • وكان أهم تنازل — دون جدال — هو التنازل عن موقع مدينة بتليس ، الذى يشرف على الطريق الوحيد الصالح للانتقال من إقليم الجزيرة الى داخل أرمينية ، وكان تابعا لاحد الأمراء القيسية ^(٢) •

ولم يكن سيف الدولة الصعداني ليهتم في أوقات أخرى بمدينة بتليس لأنها كانت بيد أمير مسلم • ومع هذا يفبرنا النص الذى أورده بورغويونتنس أن الأمراء العرب في أرمينية لم يكونوا ليترددوا ، اذا تعرضت مصالحهم للخطر ، أن يضعوا أنفسهم تحت حماية الامبراطورية البيزنطية • لذلك اقام سيف الدولة بالمدينة حامية لكي يمنع وقوعها في يد البيزنطيين • ولا ندرى ماهى النواحي التي طلب من ملك أرمينية أن يتنازل له عنها ، وان كان الظن انها قلاع على جانبي الطريق المؤدى الى قاليقلا • وفيما عدا ذلك فانه طلب البه ان يضمن أن قواته وموظفيه ورسائله ، تستطيع التنقل بحرية على الطرق الأرمينية ^(٣) •

ويبدو أن حصن أميوك (حصن الحامد) كان من الاماكن التي طلب من ملك هاسبوراك التنازل عنها ، لكن ذلك غير مؤكد • وقد

Canard : *Ibid.*, P. 484/485

(١)

Canard : *Ibid.*, P. 485.

(٢)

Canard : *Ibid.*, P. 485.

(٣)

تمسك سيف الدولة بنوع خاص بالسيطرة على منطقة ساسون « التابعة للطارون » ، وعلى موقع السنامنه (قلب Qalb) ، المشرف على الطريق المؤدى من منطقة أرزن الى الطارون. وكل ذلك — بلا شك — كان درءا لاحتمال سيطرة بيزنطة على الطارون^(١).

لكن يبدو ان هذه المناطق كانت مستقلة عن الطارون لدرجة ان سيف الدولة لم يقنع بالحصول على تنازل عنها له ، وانما اراد انتزاعها من ايدي الجبليين الممتدة الذين كانوا مسيطرين عليها ، وكان عليه ان يغزوها . ولعله تمكن — خلال غارة شنّها على السنامنة — من غزو موش ، كما يقول ابن ظافر ، ودمر كنيسة طارون المشهورة (صرب كاريت ٤)^(٢).

وينكر ابن الأزرقي ان سيف الدولة — بعد أن تلقى طاعة امراء الأرمن — ذهب الى بلد « ابن المرزبان » ، ثم الى منطقة خالدية (كلديا Chaldia) كلديا . وكان لقب مرزبان يحمله آنذاك في أرمينية جورجيين اخو جاجيك اردزروني ، الذي اقتسم معه اخيه هذا حكومة فاسبوراكان . لكن من المستبعد — ان لم يكن مستحيلا — ان يكون الأمر متعلقا به ، لأن اتجاه مسيرة سيف الدولة يشير الى قطر واقع بين أرمينية وبين لواء كلديا ، دون ان يمكن القول ان هذا للقطر أرمني أو بيزنطي . ثم ان كلمة مرزبان في مخطوط ابن الأزرقي ليست مؤكدة تماما^(٣).

على ان من الصعب معرفة مدى سيطرة سيف الدولة الحمداني على أرمينية وما اذا كان قد احتفظ بالامكن المتنازل له عنها ، ودعم سلطانه عليها بصفة دائمة .

وسوف نرى — في أواخر حكم سيف الدولة — غلامه نجا كما سنرى ان خلفاء ناصر الدولة الحمداني يسيطرون على بتليس على الأتمل .

Canard : Ibid., P. 486, No. 246.

(١)

Canard : Ibid., P. 486.

(٢)

(٣) ابن الأزرقي : تاريخ المارقي (تاريخ ميافارقين) .

وعلى أى حال ، يمكن القول انه فى أعقاب الاستيلاء الكامل على منطقة الجزيرة ، استطاع الحمدانيون ممارسة بعض النفوذ — وبصفة مؤقتة — على أرمينية ، وأن يوسعوا قليلا املاكهم من هذه الناحية . وقد أدى ذلك الى زيادة قوة الامارة الحمدانية فى نظر المسلمين عموما .

ومع ذلك فان الشيء الذى له مغزاه أن سيف الدولة اكتفى بتسليم بعض النواحي ، وببعض التزامات الطاعة ، وبحقوق المرور . بينما لا نتحدث النصوص التى بين ايدينا عن أى اسهام مالى من جانب الأرمن . والحق ، أن سيف الدولة — كما يذكر كشارد — لم يكن يستهدف اخضاع أرمينية بالفعل ، بقدر ما كان يقصد الى منع ارتمائهما كلياً فى أحضان الدولة البيزنطية^(١) .

كذلك لم يكن النشاط الاقليمى للحمدانيين ناحية أرمينية يمثل فى الواقع شيئا هاما . انما كان النمو الاقليمى للامارة الحمدانية يتحقق فى الاتجاه الغربى فى شمال سوريا . حيث راحت تشكل اماراة تعتبر — فى البداية — أساسا لامارة ما بين النهرين ، وتعتبر صورة منها ، وأن اكتسبت — بعد قليل — أهمية — أكبر من أهمية الامارة الأولى وروعة لم تشهد اماراة الموصل أبدا لها مثيلا^(٢) .

وقد أنفذت الحكومة البيزنطية فى عام ٨٣٢٩ (أو ٨٣٢٨) حملة عسكرية لتأديب الأمراء الأرمن فأعلنوا ولاعهم للمسلمين ، وامتنعوا عن الهجوم على الأراضى الاسلامية^(٣) . وكان على سيف الدولة أن يهب لمساعدتهم ، بعد أن أرسلوا اليه يستجدونه ، وقد توغل سيف الدولة فعلا حتى دخل ثغر (أو ثيم Theme) خالديا Chaldian ، وأخذ عددا من الحصون والمدن فيها ، ثم تقدم الى مدينة كولونيا Colones فحاصرها . ونتيجة هذه الانتصارات التى أحرزها سيف الدولة على الروم ، أصبح يعتبر بحق زعيم أو بطل الجهاد الأكبر فى

Canard : Ibid., P. 487.

(١)

Canard : Ibid., P. 487.

(٢)

Runciman : The Emperor Romanus Le Capenne, P. 148.

(٣)

ويورغوجنس : الادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٧ .

العالم الاسلامي - وقتذاك - ضد البيزنطيين^(١) .

غير أن انشغال سيف الدولة آنذاك ، بمشاكل الخلافة في عصر
أمره الأمراء ، والصراع مع الأخشيدين في سورية بين سنتي
٣٣٠ ، ٣٣٣ ، جعل هذه الفترة لا تشهد نشاطا ذا بال على جبهة
الثغور الاسلامية البيزنطية ضد الروم . وكان ذلك مما اتاح للروم
أن يحرزوا عدة انتصارات على المسلمين ، الذين بددوا قواهم في
النزاع الداخلي من أجل الاستحواذ على السلطة^(٢) . مع استمرار
بقاء النفوذ الحمدي على منطقة بحيرة فان بدرجة أو بأخرى^(٣) .
ساد الجبهة الحمديّة - البيزنطية في أعالي الشام هدوء مشوب
بالحذر والتوتر ، مفعم بالتحفز ، حافل بتجيش القوات ، وتعبئة
الجيوش من كل من الجانبين ، وذلك استعدادا لجولة جديدة قادمة .

ومنذ ذلك الحين ، أصبح الخصم الوحيد للحومستيق كوركواس
هو نصر الثملي أمير طرسوس ، التابع تبعية اسمية للأخشيدي حاكم
مصر . وقد تسنى للجيوش البيزنطية أن تتوغل داخل اقليم الجزيرة
نفسه . وفي صفر ٣٣٩هـ / نوفمبر ٩٤٠م وصلت هذه القوات إلى منطقة
كفر توثا Kafatutha . كما أصبحت هذه الجيوش البيزنطية أيضا ،
على استعداد للعمل في ساحات قتال أخرى ، في أوروبا ضد الروس ، وفي
بروفانس مع هيج البروغنسي ضد قلعة فراكينتوم العربية ، حتى
إذا زال الخطر الروسي ، عاد كوركواس إلى الجبهة الشرقية ضد
المسلمين هناك مرة أخرى^(٤) .

ولذلك فما إن يهل شهر جمادى الأولى عام ٣٣٠ (ديسمبر /
يناير ٩٤١م) ، حتى كان الروم قد زحفوا صوب حمص^(٥) ، فأحدثوا

(١) بورغيموجنتس : إدارة الإمبراطورية ص ٢٧ . و
Runciman : Ibid., P. 143.

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٢٧ (ط ١٠ الأثرية ، مصر ،

١٣٠١ هـ) .

Canard : Hist. des 1^{re} Dynastie de Hamd., P. 487.

(٣)

Canard : Ibid., P. 748.

(٤)

(٥) تقع حمص على مشرف سوريا ، عند الطرف الشرقي لسهل
تاليتلا .

بها تخريبا رهيا ، وسبوا نحو خمسة عشر ألف انسان من سكانها العزل الآمنين^(١) . كما استطاع ثمال (الثملي) غلام سيف الدولة ، من ناحية أخرى ، دخول بلاد الروم من ناحية طرسوس ، حيث أنكى فيهم ، وسبى منهم ، وغنم ، وعاد سالما ، وقد أسر عددا كبيرا من بطارتهم المشهورين^(٢) .

وفي عام ٨٣١هـ [الموافق ١٥ سبتمبر ٩٤٢ حتى ٣ سبتمبر ٩٤٣م] - وصلت القوات البيزنطية بقيادة يوحنا كوركواس الى ديار بكر ، حيث عملوا في أهلها قتلا وسبيا . كما تمكنوا من فتح مدينة أرزن وخربوا عامة بلدها ، واستولوا على ميافارقين ، ثم تقدموا الى ما بعد منطقة طور عابدين ، واستمروا في زحفهم حتى وصلوا الى مشارف نصيبين أو قرييها منها^(٣) .

كذلك تمكنت القوات البيزنطية من الزحف الى مدينة الرها (اديسا Edessa) ، حيث طلبوا من أهلها ان يدفعوا اليهم الايقونة (المنديل) التي في كنيسة الرها . ويدعى النصارى أن السيد المسيح (عيسى بن مريم) عليه السلام ، مسح به وجهه ، وقت الصلب المزعوم . فصارت صورة وجهه فيه . وقد وعد البيزنطيون أهل الرها - ان هم استجابوا لطلبهم هذا - أن يطلقوا من وقع في ايديهم من أسارى المسلمين^(٤) .

ومن المعلوم أن الروم كانوا يهدفون من كل هذه الحملات الى جمع الأسرى والغنائم ، كما أنهم فكروا جديا في الاستيلاء على اقليم الجزيرة أو ضم الأرض أو احتلالها^(٥) .

Canard : Ibid., P. 487.

(١)

(٢) بورغروجنس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٧ .

(٣) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٥٧ و

الانطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد البطريرك (صلة توتبا) ص ٣٢ .

(٤) الانطاكي : نفس المصدر ص ٣٢ ، (٧٣٠) وابن الوردي :

تتمة المختصر : ٤١٠/١ .

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 748 - 749.

(٥)

والغريب في الأمر ، أنه لم ترد أية إشارة في المفاوضات التي دارت بشأن الايقونة (المنديل) الى ناصر الدولة الذي كان وقتئذ واليا على حيار مصر التي كانت مدينة الرها (اديسا) تبعا لها ، أو حتى الى ممثلة • وقد يكون مفهوما ورود إشارة اليه ، فيما دار بهذا الشأن من مفاوضات في دار الخلافة في بغداد (أيام المنتقى لله) - لأنه لم يعد أميرا للأمراء « آنذاك » خاصة بعد أن فر أمام قسوات القائد توزون Tuzun التركي في ٤ رمضان ١٣/٤٣٣١ م مايو ١١٤٣م^(١) . ولعل هذا يجعل من الممكن الاعتقاد بتلاشي سلطات ناصر الدولة الحمداني • حتى ان أهالي الرها - وقد شعروا بضعف شأنه وقتله - راحوا يتفاوضون مباشرة ، ويشكلون من أنفسهم وفدا (فيما يشبه المجلس البلدي حاليا) مارسوا من خلاله مباشرة عملية التفاوض مع البيزنطيين من ناحية ، ومع الخليفة العباسي في بغداد من ناحية أخرى ، دون الرجوع في ذلك الى أي من الحمدانيين^(٢) .

وقد اورد كنارد عرضا نقديا موجزا لدراسة قام بها مؤرخ يدعى دويشوتر Dohshtits عن أيقونة اديسا - واستشهد به غازيليف - عرض هذه الأمور بكيفية غير صحيحة الى حد ما • اذ قال « دويشوتر » انه اذا كان أمير ادسا قد خاطب الخليفة على هذا النحو • رغم ان الاخير كان قد فقد سلطانه السياسي الحقيقي فعلا ، فانما كان ذلك لان المسألة ذات طبيعة دينية ، لا يمكن لممثل السلطة الدنيوية أن يتصرف فيها • غير أن هذا الأمر لا يتضمن - في رأي كنارد - اية مسألة دينية اسلامية بالمعنى الصحيح • اذ من الطبيعي

(١) المسعودي : مروج ٢/٢٢١ - ٢٢٢ وابن الأثير : الكامل ٨/ ١٢١ - ١٢٢ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ١٥٧ ، ومن كنارد راجع شوفانيس ص ٢٤٢ وكيرينوس ١/٣١٢ - ٣١٥ ، ٢/٣١٦ وإليجو النحوي ٢٢٦
Canard : Ibid., P. 740 . وسيميون الماجستروس ص ٧٤٨ .

(٢) كان ذلك في ربيع اول ٣٢٢ هـ الموافق نوفمبر ٩٤٣م خلال ولاية ناصر الملقب « ابن مقاتل » حاكم تلك الاقليم (الرها) . وكذلك بطريق الفرات وجند قسرين . راجع : ابن الأثير : ٨/ ١٣١ .

ان يقدم الطلب البيزنطى أولا للسلطات المحلية ، ومن الطبيعى أيضا — وبخاصة اذا فكرنا فى ضعف سلطة الحاكم فى ديار مصر — أن يحول الطلب أو يرفعه نلى الخليفة (أمير المؤمنين) • لأن أميرا من أتباعه لا يمكنه — وليست لديه السلطة اللازمة التى تمكنه من — التصرف فى مسألة هامة كافتداء الأسرى أو مبادلتهم ، وهى مسألة تهم جمهور المسلمين وعامتهم ، والبت فيها من اختصاص الخليفة (أمير المؤمنين) أر من يندبه لذلك (١) •

ومن المحتمل أن يكون هناك بصفة خاصة مسألة شرعية لا يمكن حلها فى مدينة الرها نفسها ، بل يجب طرحها على السلطة العليا • وربما أيضا بسبب ملكان موجودا — وقتذاك — من خلافات بين أهالى الرها (اديسا) المسلمين والمسيحيين • وكانت المسألة تتعلق بمعرض غير عادى لمبادلة الأسرى ، لا فى مقابل أسرى آخرين مثلهم ، وانما فى مقابل شيء آخر لا يملكه المسلمون ، وانما يملكه مسيحيون يتمتعون بالحماية ، وبحرية التصرف فى املاكهم وكنائسهم بموجب معاهدة تسليم ادسا التى أبرمت عند فتحها (٢) •

وعندما تسلم الخليفة (المتقى لله ٣٣٩ — ٣٣٣ / ٩٤٠ — ٩٤٤ م) تقرير وزيره ابن مقله ، جمع الفقهاء لاستشارتهم ، واصدار رأيهم فى هذا الأمر • ويقال ان رأى الوزير السابق على بن عيسى هو الذى فاز ، اذ صرح بأنه طالما ان الخليفة لا يملك وسيلة فعلية لتخليص الأسرى المسلمين من أيدي الروم • فانه يجب مبادلتهم مقابل المنديل الذى ينبغى اعتباره ملكاً مشتركاً بين الجالية المسيحية فى ادسا وبين الأهالى المسلمين بها • وقد أوضح أحد الفقهاء أن الأيقونة (المنديل) كان منذ زمن بعيد فى كنيسة ادسا ، ولم يطالب به ايا من ملوك الروم وليس فى دفعه لهم غشاضة وانتهى الأمر والنقاش فى هذا الموضوع باعتبار واعتماد وجهة النظر المصلحية • أى النظر بما يعود بالنفع لصالح المسلمين (٣) •

Canard : Ibid., P. 748 - 750.

(١)

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٢ •

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 750.

(٣)

استمرت المفاوضات بعض الوقت بد الجانبين - الاسلامي والبيزنطي - طوال عام ٣٣١ وبمقتضا من ٣٣٣/٣٤٠ م. ووافق الخليفة في النهاية على الطلب البيزنطي ، استنقاذا لمن في أيديهم من الاسرى المسلمين ، وأرسل لأهالي الرها بما استقر عليه الرأي طالبا منهم تسليم المندبل للروم^(١) . وقد ورد في فتوى العلماء أن « خلاص المسلمين من الأسر ، واخراجهم من دار الكفر ، مما يقاسونه من الضر والمضنك أوجب وأحق »^(٢) . وكان عدد الاسرى المسلمين مائتي أسير ، وقد نصت الماهدة المبرمة بين الروم وأهالي الرها على : « ألا يعبر الروم حدود الرها فيما بعد ، وتقوم بين الطرفين هدنة مؤبدة » . وفعلوا وصل المندبل الى عاصمة الروم (القسطنطينية) في يوم ١٥ أغسطس ٣٤٤ م (صفر ٣٣١ م)^(٣) . حيث حمل الى كنيسة أجيا صوفيا (أيا صوفيا) ، وكان ذلك أبان حكم الإمبراطور رومانوس ليكاينوس^(٤) .

وفي المآثر من رمضان ٣٣١ م (الموافق ١٨ مايو ٣٤٣ م) هاجم الروم دارا وفتحوها ، ثم دخلوا رأس عين ، في يوم الثلاثاء لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام ٣٣٣ م (١٣ / ١١ / ٩٤٣) ، حيث أقاموا فيها يومين سبوا ضلالها من أهلها نحو ألف نفس ، ثم قفلوا عائدين^(٥) . وكانت عدة جيشهم نحو ثمانين ألف رجل على ما يذكر ابن الأثير في حوادث تلك السنة^(٦) .

(١) ابن الأثير : الكامل ١٣٦/٨ :

(٢) الانطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٢٢ - ٢٤ ابن الوردي :

تتمة ٤١٠/١ والهلي : التوقيعات ص ١٦٦ .

(٣) الانطاكي : المصدر السابق ص ٢٤ .

(٤) بومروجنس : إدارة الإمبراطورية ص ٢٨ والانطاكي : تاريخه ٢٢ - ٢٣ (٧٢٩ - ٧٣٠) وقد استمرت الهدنة قائمة حتى انتهاء سيف الدولة سنة ٣٣٨ م لامتناء الروم على ديار المسلمين .

(٥) الانطاكي : المصدر السابق ٢٤ - ٢٥ (٧٣٢ - ٧٣٣) .

(٦) راجع ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٣٦ و .

ويبدو أنه كان يوجد بنود أخرى ضمن الاتفاق غير تسليم الأيقونة مقابل الأسرى المسلمين (مائتى أسير) • اذ تظهورنا الروايات البيزنطية والحراسة التي قام بها دوشوتز Dosehutz عن « قصة ايقونة ادسا «Narratio de Imagine Edessana» ، بأن الأمر تم بمساومات مع أهالى الرها (ادسا) • اذ حصل الأهالى على مبلغ ١٢٠٠٠ قطعة من الفضة من الروم ويبدو أن هذا المبلغ — كما يفترض دوشوتز — قد خصص للصرف على كنيسة الرها^(١) • كما حصل الأهالى على تمهد كتابى رسمى (معاهدة ابدية) بسلام دائم بين ادسا والامبراطورية البيزنطية والمدن الثلاث المجاورة لها وهى ، حران ، وسروج ، وسمسطه • وان كان هذا السلام نقض بعد قليل بسبب اعتداءات الروم على ديار المسلمين • مما دفع سيف الدولة — كما ذكرنا — الى اثناء المعاهدة سنة ٨٣٣٨ •

وتمثل الحملة التى أدت الى تسليم منديل ادسا ختاماً لاهدى مراحل اللواجهة الاسلامية البيزنطية فى فترة ما قبل سيف الدولة الحمدانى ، كما تعتبر ختاماً عملياً لحياة يوحنا كوركواس — الذى لقب بـ « شبيه تراجان »^(٢) ، بعد ان ارتفع شأنه جدا فى أعين المنصارى ، لما احرزه من انتصارات كان اهمها انتصار الرها ، واستعادة المنديل (الأيقونة) من كنيسة ادسا (الرها) الى كنيسة اجيا صوفيا ، الذى وصفه رنسيماى بأنه « رمز لروح الغزو الجديدة فى الشرق »^(٣) •

فكان مما فتحه يوحنا كوركواس مدن أوزن ، وملطية ، وهرش ، وآمد Amidæ وسميساط^(٤) • فلما أفل نجمه ، وسقط الامبراطور رومانس ليكابنتوس ، وارتقى قسطنطين بورغيريوجنتس عرش الامبراطورية البيزنطية عام ٩٤٤م (٨٣٣٣) خفت حدة العمليات

Canard : Ibid., P. 751, No. 79.

(١)

Grousset : Hist. de la Arménie, P. 414 - 475.

(٢)

Firday : Hist. of Byz. Emp. P. 287

(٣)

Diel : Hist. of Byz. Emp. P. 78 - 79.

(٤)

العسكرية بعض الوقت من الجانب البيزنطي^(١).

والحق ان انتصارات الدمشقي يوحنا كوركواس ماكانت لتحدث لولا انشغال الخلافة العباسية بمشاكلها الداخلية ، وتحول اهتمامات سيف الدولة — مرحليا — عن مواجهة العمليات العسكرية البيزنطية ، لانشغاله بالمشاكل الداخلية للخلافة العباسية^(٢) . هذا فضلا عن انشغال سيف الدولة بالصراع على مدينة حلب ، مما دفع الروم وشجعهم على مهاجمة مرشش ، ومنطقة بغراس ، والزحف حتى أبواب مدينة أنطاكية . ثم ارتدت قواتهم بعد ان رد عليهم سيف الدولة بالهجوم على منطقة عريسوس^(٣) . اذ قام سيف الدولة الصمداني — كما سنرى — بحملة ثائرة انتصر فيها على الروم قرب مرقية (ماراش/مرشش Marach 'وجيرمانيكوس' سنة ٨٣٣/٨٤٤م^(٤))

أما بالنسبة للنشاط البحري الاسلامي ضد الروم في حوض البحر المتوسط ، فقد تناقص حجمه أو تقلص لدرجة كبيرة . وكان أمراء طرسوس — قول ذلك — يقومون باغارات على القواعد البيزنطية في منطقة بحرايجة ، في حملات ثائرة سريعة ، ردا على الحملات البيزنطية على مناطق الثغور الاسلامية سواء في الشام أو في اقليم الجزيرة . أما الآن فقد اقتصر النشاط العسكري الاسلامي على القوات البرية فقط^(٥).

وربما كانت ظاهرة تناقص الحملات البحرية الاسلامية أو توقفها ضد الوجود البيزنطي في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، راجعة بالدرجة الأولى الى خلو الميدان من شخصيات قيادية بحرية عظيمة أمثال : أبو الحارث غلام ظرافة (ليو الطرابلسي) ، ويازمان ،

Grousset : Hist. de L'Arménie P. 476.

(١)

Vasiliev : Hist. of Byz. Emp. P. 307.

(٢)

(٣) ابن النديم : زبدة الحلب ١١٢/١ وبورغروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٨ .

Grousset : Ibid., P. 476.

(٤)

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, P. 753.

(٥)

وصابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية (الفصل الثاني من الباب الأول) .

ودميان ، وثمانال الطرسوسى ، الذين لم يخلفوا وراءهم جيلا آخر ، يقوم بعدهم بتولى مسئولية استمرار المواجهة مع الروم فى البحر المتوسط . مما أثر على نشاط القوات البحرية الاسلامية فى شرق المتوسط ، وأضعفها . هذا بينما الاساطيل البيزنطية تحرز نجاحات كثيرة وتقدما كبيرا فى مجالات عدة ضد المسلمين ، وتقوم بنشاط واسع سوف يكون له ما بعده فى عملية المواجهة الاسلامية البيزنطية^(١) .

هذا فضلا عن أن الخلافة كانت تعاني أزمة مالية خانقة ، كما اسهم الإهمال والخفلة التى اتسم بها امراء المسلمين وقتذاك ، فى التأثير على فاعلية النشاط العسكرى البحرى الاسلامى ، بل وانزل بالبحرية الاسلامية فى طرسوس ضربة قاصمة لم تنهض منها لمدة طويلة بعد ذلك^(٢) .

(١) راجع صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية (الفصل الثانى من الباب الأول)

Cenard : Hist. de la Dyn. P. 763.

(٢)

وصابر دياب : نفس المرجع .

الفصل الثالث

جہاد سيف الدولة ضد الروم

في الثغور الإسلامية

(97V-222/4404-111)

١ - المرحلة الاولى : حماية الثغور في بداية عهد سيف الدولة

(902-922/4423-1111)

٢ - المرحلة الثانية : الانقضاء البينظفي • وبداية أفول نجم

• سيف الدولة •

(2970 - 2021/2329 - 323)

٢ - المرحلة الثالثة : محاولات نقفور فوكاس إنهاء الوجود الاسلامي

من الثغور الشامية •

(297V-274/2307-329)

جهاد سيف الدولة ضد الروم في النفور الإسلامية

(١) المرحلة الأولى : حماية النفور ٢٢٣ - ٨٣٤٣/٩٤٤ - ٩٥٤ م :

سار سيف الدولة سنة ٨٣٣٣ م الى مدينة حلب ، فلقى فيها يانس المؤنس ، ففارقها يانس ، واستأمن اليه في قطعة من الجيش . فاستولى عليها سيف الدولة ، وسار الى دمشق^(١) . واقام الدعوة للخليفة العباسي المستنكى (٢٢٣ - ٨٣٣٤/٩٤٤ - ٩٤٦ م) ، ولأخيه (ناصر الدولة الحمداني) ، ولنفسه . فخلع المستنكى على سيف الدولة ، وعلى محمد بن طنجج الاخشيد ، لأن هذا اقلم الخطبة له بمصر ، وما تحت حكمه من الأصقاع . ولما بويج للمطيع بالخلافة (٢٣٤ - ٨٣٣٣/٩٤٦ - ٩٧٤ م) ، سار مع الاخشيد وابن حمدان بسيرة سلفه المستنكى بالله ، على قدم التوازن السياسي . فكتب الى الاخشيد بالتقليد . فثكافا الاخشيد وسيف الدولة وهدأت الفتن واستقامت الطرق^(٢) .

وكان الاخشيد في بادئ الأمر قد حاول مناوءة سيف الدولة ، فجرد جيشا سار الى الرميثين - من أرض حمص - لكن سيف الدولة هزمهم ، فعادوا الى دمشق ، ثم خرجوا عنها يريدون الرملة ، ثم قصدوا الى مصر ، وسار سيف الدولة في أثرهم يريد دمشق ، وكتب اتي جماعة الاشراف والعلماء والاعيان والمستورين كتابا قرى على منبر جامعها جاء فيه :

« .. وقد علمتم اسعحكم الله ، تشاغلي بجهاد اعدائي واعدا الله الكفرة ، وسببهم وقتلى فيهم ، وأخذى أموالهم ، وتخريبى ديارهم ، وقد بلغكم خبر القوانين () في هذه السنة ، وما أولانا الله وخولناه ، واظفرنا به ، واستعملت فيهم السنة في قتال أهل الله فما اتبعت مدبرا ،

(١) ابن الوردي : تبة المختصر ١/١٦٦ .

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ١/١٨٧ .

ولا ذففت على جريح ، حتى سلم من قد رأيتكم ، وقد تقدمنا الى وشاح
بن تمام بصيانتكم وحفظكم ، وحوط أموالكم ، وفتح الحكاكين ، واقامة
الاسواق ، والتصرف في المعاش الى حين موافقتنا ان شاء الله (١) .

هكذا انتهى الأمر برجسان كفة قوات سيف الدولة على جيش
الاخشيديين . حيث أقام سيف الدولة بعمشق يجبي خراجها . وظن
ابن حمدان ان الامر تم له فجمع الى ملكه في الجزيرة ملك الشام ،
بل ربما وصل تطلعه الى مصر . ومادري أن الانحسار تخفى له
انحسار ملكه الى حلب وما حولها . وهو ما اقتنع به عمليا ، بعد
هزيمة قواته امام القوات الاخشيديين في دمشق ، التي اخافها احتمال
قيام سيف الدولة بالمصادرات في أهلها لو تمكن من المدينة (٢) .

استقر الأمر لسيف الدولة في حلب ، التي كانت اقرب الى مهد
عصبيته ، وهي الثغور الشامية والجزرية وديار مصر وديار بكر .
وتصالح مع الاخشيديين وصاهره ، وتقرر لسيف الدولة حلب
وأنطاكية وحمص (٣) .

وكانت علاقة الاخشيديين — كملاقة الحمدانيين — اسمية مع
الخلافة في بغداد . وقد اشتهر الحمدانيون بكرمهم وميلهم للشيعه ،
بينما اشتهر الاخشيديون بالشح وأخذهم برأى أهل السنة (٤) .

تم لسيف الدولة السيطرة على حلب وحمص وأنطاكية ، فضلا
ميا لفرقين ، وأعلى بلاد الشام ، أي المناطق الثرية المتاخمة لأرض
الروم . مما يعنى أن مهمته ، في حماية النطاق الذي يحكمه ضد
هجمات الروم ، سوف تحتل المرتبة الأولى من فكره وجهده
وامكانياته المادية والعقلية والبشرية ، وهو أمر جد خطر .

(١) محمد كرد علي : خطط الشام : ١٨٧/١ — ١٨٨ — وابن الوردي
نفسه : ٤١٦/١ .

(٢) محمد كرد علي : المصدر السابق ١٨٨/١ — ١٨٩ .

(٣) محمد كرد علي : المصدر السابق ١٨٩/١ .

(٤) محمد كرد علي : المصدر السابق ١٨٩/١ .

ومن ناحية أخرى استمر الاهتمام البيزنطي مركزا ومنصبا تجاه تحقيق هدف واحد ، كان بالنسبة لهم استراتيجي وحيوى • ونعنى به كسر شوكة الدولة الحمدانية ، أن لم يكن ممكنا القضاء عليها نهائيا • وسنرى كيف صمدت الدولة الحمدانية حتى هذه اللحظة لبعثان الروم واستمرت كذلك • فكانت بمثابة سد فولاذى تحطمت عليه الكثير من غزوات الروم الشرسة وهجومهم الانسانى • وبذلك حفظت الكيان العربى الاسلامى ، وحمت الثغور الاسلامية ، وهى مهمة خطيرة لا يقدر على عيها وحمل تبعاتها ، سوى أمثال البطلى المستنيد سيف الدولة الحمدانى •

لقد أولى سيف الدولة الحمدانى مهمة حماية الثغور الاسلامية ، وصدد الهجمات البيزنطية عناية خاصة ، مع يقظة فائقة وحذر كبير • حتى أصبح مقبنا بذلك اللقب الذى نعت به المؤرخون المسلمون وهو « يمامى الثغور الاسلامية » (١) • ومن ذلك مثلا ما ذكره ياقوت الحموى حيث قال (٢) بالحرف الواحد : « • • • ثم لم يزل هذا الثغر طرسوس وأذنه والمصيصة » (٣) ، وما يضاف إليها بأيدي المسلمين ، والخلفاء مهتمون بأمرها ، والأمور على هذه الحال مستقرة ، حتى ولى العواصم والثغور الأمير « أبو الحسن على سيف الدولة » ابن أبى الهيثم عبد الله بن حمدان — الذى كان والده حاكما على الموصل والجزيرة — فصدد للغزو ، وأمن فى بلادهم ، واتفق أن قابله ملوك أجناد ، ورجال أولو أباس • • • وبصيرة بالحرب والدين شداد • • وكان سيف الدولة جديرا — بحق — بهذه الثقة ، وأهلا لتلك المهمة التى نيطت به • فأعلنها حربا شعواء فى سبيل المحافظة على كيان العالم الاسلامى ووطنا وشعبا وتراثا •

(١) سلمى الكيالى : سيف الدولة ص ٨٩ •

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٣ ص ٧ (مادة طرسوس) •

(٣) أذنه : هى أطلنه • وهى بلد من الثغور قرب المصيصة المشهورة وهى (المصيصة) مخينة على نهر جيجان قريبة من طرسوس الذى كان نفرا اسلاميا شهرا — راجع ياقوت : المعسر السابق مادة : أذنه والمصيصة وطرسوس •

ففى سنة ٣٣٣ (٩٤٤ م) غزا سيف الدولة الحمدانى بلاد الروم ،
« وعاد سالما بعد أن أبدع فى أرض العدو » ، وكان سبب هذه الغزاة -
كما تذكر المراجع (١) - أنه بلغ الدمشق ما فيه سيف الدولة من المشغل
بمهرب أعداده . فأسار فى جيش عظيم وأوقع بأهل بغراس ومرعش
وقتل وأسر ، فأسرع سيف الدولة الى مضيق وشعاب ، فأوقع بجيش
الدمشق ، وبينهم ، واستنقذ الاسارى والغنيمة ، وانهمز الروم اقبح
هزيمة . ثم بلغ سيف الدولة أن بمدينة للروم تهدم بعض سورها
وذلك فى الشتاء ، فاعتزم سيف الدولة الفرصة ، وبادر فأناخ عليها
وقتل وسبى ، ولكن اصاب بعض جيشه .

بعد هذه الغزوة تميزت الفترة من ٣٣٤ م حتى ٣٣٦ م (٩٤٥ -
٩٤٧ م) يهودى نسبي ، حتى أننا لا نجد ذكرا لحروب قام بها
سيف الدولة آنذاك . وكل ما قام به خلالها لم يتعد عملية تبادل
أسرى تمت مع الروم ، فى شهر ربيع الأول ٣٣٥ م (٩٤٦ م) ، ومن
العملية المعروفة باسم « فداء ابن حمدان » ، وكان الذى توسط فى هذه
العملية هو « نصر التلى » أمير طرسوس . وقد بلغ عدد من فودى
بهم من المسلمين حول ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وإناث -
وقد فرض للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون ، لكثرة من كان فى
أيديهم ، فوفاهم أبو الحسن على (سيف الدولة) ذلك وحمله اليهم (٢) .
وهذا دليل على تفوق الروم على المسلمين فيما بين سنتى
٣٣٤ و ٣٣٥ م .

كما نجد - من ناحية أخرى - بعض التطورات تشهدها
الدولة البيزنطية منذ سنة ٩٤٤ م (٣٣٥ م) وهى تطورات جوهريية .
اذ أريج يوحنا كوركواس عن منصب القيادة للجيش البيزنطية ،
وتم خلع رومانوس ليكابينوس ، ليصبح قسطنطين السادس

(١) ابن العديم : زبدة الطلب ١/١١ والذهبي : دول الإسلام ١/
ورقة ١/١٦٠ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٨٢ - ٢٨٤ .
(٢) المسعودى : التقييه والاشراف ص ١٦٥ وأبو المحاسن :
النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٥ وقسطنطين يروميروجنتس : الإدارة
البيزنطية ص ٢٨ .

(بورفيروجنتس) هو الحاكم المطلق بعد أن بلغ سن الرشد في سنة ٨٩٤٥م^(١).

ثم تحرك سيف الدولة في الفترة من ٨٣٣٩ حتى ٨٣٣٨ (٩٤٧ — ٩٤٩م) • فنزل على حصن برزويه سنة ٨٣٣٩^(٢) — قرب السواحل الشامية — ، وكان يوجد في هذا الحصن يومئذ أبو تغلب الكردي • هذا بينما نزل الروم بقيادة ليو بن برداس فوقاس على حصن الحدث وحاصروه • فاستنجد أهل الحدث بسيف الدولة الذي لم يتمكن من إجابة طلبهم ونجحتهم • لانشغاله بتصفية تمرد أبو تغلب الكردي في برزويه • وكان ذلك مما مكن ليوبن برداس فوكاس من حصن الحدث ، حيث فتحه بالامان ، وأخرب سوره •

أما سيف الدولة فتمكن من أخذ حصن برزويه سنة ٨٣٣٧^(٣) ، من الأكراد ، ثم سار إلى ميفارقين بعد أن استخلف على حلب محمد بن ناصر الدولة^(٤) • بينما سار ليوبن برداس فوكاس ، فنزل على بوقا — شمال أنطاكية — ففرج له محمد بن ناصر الدولة لصدّه ، فهزّمه ليو ، وقتل من رجاله نحو أربعمئة غير من أسرهم وكان عددهم كبيرا ، فكان ذلك أوائل عام ٣٣٨ هـ^(٥) • وفي شهر ربيع الأول من نفس العام (٨٣٣٨) (الموافق ٩٤٩م) فتح الروم مدينة قاليقلا (ثيود وسيوبوليس) وملكوها ، وهدموا سورها ، وأعطوا أهلها الأمان ، وانصرفوا عنها^(٦) •

لم يكن وقع هذه الأحداث التي أصابت المسلمين بالثغور

Vasiliev A. A. ; Hist. of Byz. Emp., P. 307.

(١)

(٢) يسمى اليوم (زمن ياقوت) Berze برزية أو Merze يقع على مرتفع صخري إلى الشمال قبالا من (غابية Apamea) . راجع ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٥٦٥ .

Dussaud : Topographie de la Syrie. PP. 151 - 153.

(٣) ابن طاهر : الدول المتقطعة ورقة ١/٦ وابن العديم — زبدة حلب ١٢٠/١ وابن الوردي ٤٢٢/١ .

(٤) الانطاكي : تاريخ سعيد بن البطريق ص ١١٢ .

(٥) ابن العديم : زبدة حلب ١٢٢/١ والانطاكي : نفس المصدر ص ١٢٢ .

(٦) الانطاكي : نفس المصدر ص ١٢٢ .

الشمامية — على أيدي القوات البيزنطية — هينا على نفس وقلب سيف الدولة • بل أنها استغفرت ، فهد وجيز جيشا من ثلاثين ألف مقاتل ، انضم اليه جيش من طرسوس قوامه أربعة آلاف بقيادة القاضي أبي حصين • وسار سيف الدولة بهذه القوات مجتمعة في يوم الاحد منتصف ربيع الأول ٢٣٣٩ هـ (أغسطس / سبتمبر ٩٥٠ م) الى مدينة قيسارية^(١) ، ثم الى القبدق (الفندق)^(٢) •

لقد أوغل سيف الدولة كثيرا في أرض الروم سنة ٢٣٣٩ هـ وفتح عدة حصون ، وأسر كثيرا منهم ، فضلا عن قتلهم وقواته في الحرب من الروم • ثم سار الى سمندو^(٣) ثم الى خرشنة^(٤) ، واستمر في زحفه حتى صارخة^(٥) • حيث التقى الجمعان (الحمداني والبيزنطي) في معركة كان النصر فيها للحمدانيين بقيادة سيف الدولة وأسر فيها جملة من بطارقة (قواد) الروم • وقد استمر سيف الدولة في غزاته هذه بضعة أشهر • أسر خلالها كثيرا من الروم ، وغنم منهم الكثير من الغنائم^(٦) وقد أنشد أبو الطيب المتنبى في معركة سنة ٢٣٣٩ هـ (٩٥٠ م) شعرا جاء فيه^(٧) :

-
- (١) قيسارية : من مدن كاديكا • وهي مدينة قديمة تقع جنوب نهر هاليس Halys وشمال جبل أرجى Aragus • راجع فيصل السامر : الدولة الحمدانية ١٦١/٢ •
- (٢) تنطق وترد أحيانا « الفندق » وهي من كبادوكيا • راجع السامر : نفس المرجع ١٦١/٢ •
- (٣) سمندو : هي المدينة البيزنطية المسماة (تزاماندوس Tzamandos أو أتزاماندوس) ، وتقع على مرتفع الكريالاس • حيث يقع زمامتي رافد نهر ساروس أو سيحان • وكانت تقع الى الشمال قليلا من طريق مرعش — قيسارية عبر عريصوس • وهو الطريق الذي سلكه سيف الدولة • راجع فيصل السامر : المرجع السابق ١٦١/٢ •
- (٤) خرشنة : أو خرسيون وهي نفس المدينة البيزنطية (المسماة Castrum Charstanum) الى الشمال الشرقي من نهر هاليس • راجع ياقوت ، معجم البلدان مادة خرشنة •
- (٥) صارخة : من مدن الروم • وتبعد سبعة أيام من القسطنطينية • راجع ياقوت : المعجم •
- (٦) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ١٦١/٢ — ١٦٢ •
- (٧) المتنبى : حيواته •

لهذا اليوم بعد غد أريج
مرفقك والصوف معيات
وخصينا والدمستق غير راض
فإن يقدم فقد زرنا سمندو
ونسار في العدو لها أجيج
وأنت بغير سيفك لا تعيج
بما حكم القواضب والوشيج
وإن يحجم فموعدنا الخليج

غير أن القوات الطرسوسية ، اعتكفت أن الأمر انتهى ، وأن الحرب وضعت أوزارها ، فعادت وعاد معها الاعراب . فلما أراد سيف الدولة العودة ، سد عليه الروم حرب التيكرون^(١) ، فأنحصر سيف الدولة في هذا المضيق الصعب وعزل عن مقدمة جيشه ، كما قطع الروم الشجر وسدوا به الطرق ، وألقوا بنصفور الضخمة من قعم الجبال ، على جنود المسمين (الحمدانيون) . هذا بينما كان الدمستق يشرب ساقية الجيش الحمداني بعنف ويقتل ويأسر بوحشية^(٢) .

وقد وصف المؤرخ الصالح الذهبى هذه المعركة الرهيبة بقوله :^(٣) « وفي هذه السنة (٨٣٩م / ٨٥٠م) غزا سيف الدولة فسار في ربيع الأول ، ووافاه عسكر طرسوس في أربعة آلاف عليهم القاضي أبو حصين . فسار إلى المندق وأوغل في بلاد الروم ، وفتح عدة حصون ، ثم سار إلى سمندو ، ثم إلى خرشنة (خرسيون) ثم إلى بلد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام . فلما نزل عليها واقع الدمستق مقدمته ، وظهرت (أى مقدمة سيف الدولة) عليه . فلجأ إلى الحصن ، وخاف على نفسه . ثم جمع جيوشه والتقى مع سيف الدولة ، فهزمه ألقبح هزيمة وأسر بطارقته ، وكانت غزوة مشهورة ، وغنم المسلمون ما لا يوصف ، ويقوا في الغزو أشهراً . ثم

(١) في ناحية الحدث ويعرف باسم درب مقطع الانغار . راجع : الأتطلى ، تاريخ يحيى بن سعيد ص ١١٢ والذهبي : تاريخ الاسلام ورقة ١٦٢ .

(٢) ابن العديم : زبدة الخلب ١٢٢/١ والذهبي : نفس المصدر ورقة ١٦٣ .

(٣) الذهبى : تاريخ دول الاسلام ١٦٢/١ وبورجوجنس : إدارة الامبراطورية ص ٢٩ - ٣٠ .

ان الطرطوسيين قفلوا ، ورجع العربان ، ورجع سيف الدولة في مضيق صعب ، فأخذت الروم عليه الدروب ، وحالوا بينه وبين المقدمة ، فمقطعوا الشجر ، وهدموا (القوا) الصخور في المضيق على الناس (القوات الحمدانية) ، والروم وراء الناس يقتلون ويأسرون ، ولا منقذ لسيف الدولة . وكان معه أربعمائة أسير من وجوه الروم ، فغضب أعناقهم ، وعقر جماله وكثيرا من دوابه ، وقاتل قتال الموت ونجا في نفر يسير » .

والحق ان سيف الدولة غامرا كثيرا ، حين أوغل في تعقبه للقوات البيزنطية التي غرت من امامه أول الأمر ، مستدرجة لسيف الدولة وقواته الى النقطة التي حصروه فيها ، والتي يذكر بروفيروجنتس انها تسمى منطقة « حرب الجوازات » الواقعة بين الصنح والبستين^(١) . وهناك امكن للروم عزل سيف الدولة عن مقدمة قواته ، مما مكثهم من القضاء بسهولة على كثير من القوات الحمدانية ، حتى اضطر للتراجع بصعوبة بالغة ، ناجيا بنفسه وقلة ممن كانوا معه ، وكان ذلك في جمادى الآخر ٢٤٣هـ^(٢) .

لقد كانت نتيجة غزوة درب الجوازات ، التي وقعت في اليوم الخامس من شهر جمادى الآخرة سنة ٢٤٣هـ (الموافق العشرين من شهر نوفمبر ٨٥٠م) شديدة الوقع والايلام على نفس سيف الدولة انحمداني ، وهو الأمير والقائد الذي طالبا مشي النصر في ركابته . وهذه الهزيمة في ذاتها من الفداحة بحيث كانت كافية لتوهين الجزم ، وتثقيس النفوس ، وتبسيط الهمم عن مواصلة المواجهة مع الروم . لكن نفس سيف الدولة لم تكن من ذلك اللون أو النوع الذي ينكسر ، ولم يكن للباس والوهن اليها سبيلا ، لما غطر عليه من نفس أبيه وهمة فولاذية قوية . بل أن سيف الدولة جعل من هذه الهزيمة المؤلمة ، نقطة انطلاق ، لرحلة جديدة من المواجهة مع الروم

(١) بروفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٣٠ .

(٢) سالى الكيالى : سيف الدولة ص ٨٤ .

حفظنا لكيان العالم الاسلامي . ولا غرو ، فلم يكن سيف الدولة يحارب عن نفسه أو أسرته ، بقدر ما كان يقوم بدور المجاهد دفاعا عن عرين الاسلام وحمايته من هجمات الروم وقتلتهم . فبدأ في التجهيز فورا لجولة جديدة ، يسمح بها آثار هزيمة حزب الجوازات في جمادى الآخرة سنة ٨٣٣٩ . هذا بينما نزل امبراطور الروم في نفس المسام على حصن أنطامية وجميع عظام قنلاءه ، وصلى عليهم ودفنهم ، ثم فتح شيزر بالأمن لخطوها من مدافع^(١) .

في هذه الأثناء وبينما سيف الدولة يستعد لجولة جديدة ، جاء الروم في قوة كبيرة وهاجموا مدينة سروج^(٢) ، « وخرّبوا مبانيها ومسجدها ، ونهبوا مالها »^(٣) فلما علم بذلك سيف الدولة ، أسرع بقوة ليشترك مع القوات الغازية من الروم سنة ٨٣٤٠ في معركة خالفة فيها النصر ، وجعل يتمتعهم حتى اجلاهم عن سروج ، ثم اتجه الى مرعش^(٤) ، فأعاد سنة ٨٣٤٠ بناء ملكان الروم قد هدموه في غزوتهم عام ٨٣٣٧ ، وهو ما نوه به المتنبى في احدى قصائده حين قال^(٥) .

فيوما يخيّل تطرد الروم عنهم	ويوما يجود تطرد الفقير والجديبا
سراياك تترى والدمستق هارب	وأصحابه قتلى وأمواله نهبا
أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا	وأدبر اذ أقبلت تستبعد القربا
كفى عجبا أن يعجب الناس أنه	بني مرعشا تبأ لأرائهم تبأ
وما الفرق ما بين الأنعام وبينه	أذ حفر المحذور واستصعب الصعبا

بعد أن عاد سيف الدولة الى حلب سنة ٨٣٤١ — عقب تخليصه

-
- (١) ابن الوردي : تبة المختصر (تاريخ ابن الوردي) ٤٢٣/١ .
 (٢) سروج : مخينة من ديار مصر ، قرب كل من حلب وحران . راجع ياقوت : معجم البلدان مادة سروج وابن الوردي : تبة المختصر ٤٢٥/١ .
 (٣) ابن الوردي : المصدر نفسه ٤٢٥/١ .
 (٤) مرعش : اول الثغور الشامية مما يلي جبل اللكلم . خربت الروم سنة ٨٣٣٧ فأعاد سيف الدولة بنائها سنة ٨٣٤٠ . راجع ابن الفحّنة : الدر المنخوب ص ١٩١ — ١٩٢ .
 (٥) ابن الوردي : المصدر نفسه ٤٢٦/١ والمتنبى : ديوانه .

مدينة سروج من الروم — علم بمعاودتهم الاستعداد لغزو حلب .
 فاجتاح نهر الفرات الى دلولك (دلولص) ثم الى قنطرة صنجة ، حيث
 تعقب الروم ، حتى احرکهم في ملطية آخر ٨٣٤١ ومستهل علم ٨٣٤٢
 واحتدم القتال بين الفريقين اباما ، لينتهى بنصر مؤزر للقوات
 الحمدانية ، وهزيمة الروم ، الذين قتل كثير منهم ، وأسر منهم
 اعداد غفيرة . كما جرح القائد برداس فوكاس Baradas Phocas
 في وجهه وكان قسطنطين بن برداس فوكاس من بين الاسرى . وقد
 اذهله وقوعه في أسر المسلمين قرب مرعش ٨٣٤٢ (٩٥٣ م) ، فمال
 في هم وكمد حتى قضى نحبه وهلك في الاسر . فحزن لوفته سيف الدولة
 كثيرا ، حتى يقال انه أرسل فيه عزاء لوالده (١) .

والحق ، لقد كانت هذه الجولة الأخيرة بين الحمدانيين والروم
 — معركة ملطية ٨٣٤١ ومرعش ٨٣٤٢ — من اشد ما مر بالروم من
 كوارث ونكبات . اذ انتاب الحزن بعدها برداس فوكاس ، لأسر ابنه
 قسطنطين ثم موته أسيرا . بل لم يلبث برداس نفسه أن تربعن .
 وتسابق شعراء سيف الدولة الحمداني في وصف هذه المواجهة ببراعة
 فائقة . من ذلك ما قاله أبو الطيب المتنبى موجها كلامه لامبراطور
 الروم (٢) :

نجوت باحدى مهجتك جريحة وخلفت احدى مهجتك تسيل
 أتسلم للخطية ابنك هاربا ويسكن في الدنيا اليك خليل
 بوجهك ما أنساكه من مرشة نصيرك منها رنة وعويل
 ومنها قوله في قصيدة أخرى :

فلو كان ينبغي من على ترهب ترحبت الأملاك متى وموحدا (٣)

(١) ابن شداد : الاملاق الخطيرة ٢٥٩/١ وابن الوردي : تنبيه المختصر ٤٢٧/١ .

(٢) المتنبى : ديوانه وابن العديم : زبدة الطلب ١٢٤/١ وابن الوردي
 المصدر السابق : ٢٨٦/١ ومصطفى الشكعة : سيرة الدولة الحمدانية
 ص ١١٠ .

(٣) ابن الوردي : تنبيه المختصر ٤٢٧/١ .

وهكذا تنتهى هذه المواجهة الحميدانية البيزنطية فى تلك الفترة (٢٢٣ — ٨٣٤٣ / ٩٤٤ — ٩٥٤م) بنصر مؤزر المسلمين أحرزه لهم سيف الدولة الحميدانى البطل وجنوده البواسل ، ضد الروم .

المرحلة الثانية : مرحلة الانتفاض البيزنطى وأقول نجم سيف الدولة (٣٤٣ — ٣٤٩/٣٤٨م)

عاود الروم اعتداءاتهم سنة ٨٣٤٣/٩٥٤م على تخوم (نخور) الدولة الإسلامية فى بلاد الشام ، مما دفع سيف الدولة للقيام لصددهم . ولذلك نشبت المعارك بين الطرفين قرب حصن الحدث Adatha (١) . وكان عدد جيش الروم هذه المرة — تعدادتهم — كثيفا أيضا — يقال أنه بلغ خمسين ألفا من الفرسان والرجالة — تجمع من جموع الروم والأرمن والبلغار والروس والصقلية والخزيرية . وظلت المعركة من الصباح حتى العصر ، حيث تمكن سيف الدولة فيها من قتل الكثير من قوات الروم وعلوهم ، حتى بلغ ما قتل منهم نحو ثلاثة آلاف ، عدا من أسر وكان عددهم كبيرا ، كان منهم الامبراطور قسطنطين نفسه وبعض بطارقته (أى قواده) (٢) .

ويصف الثعالبى معركة الحدث وما وقع فيها بقوله (٣) :
« . . . وسار سيف الدولة لبناء الحدث — وهى قلعة عظيمة الشأن — فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء مملكته ، وجهزهم بالصليب الاعظم (ما يسمونه صليب الصليبوت) وعليهم فردوس (برداس) الدمشق ثائرا بأبنه قسطنطين ، فى عدد لا يحصى ، حتى احاطوا بمسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب وساعت ظنون المسلمين . ثم أنزل الله نصره ، فحمل سيف الدولة يخرق الصفوف طلبيا للدمشق ، فولى هاربا وابن بنته وقتل خلق كثير من الروم » . وقد سجل المتنبى هذا النصر الحميدانى الإسلامى المؤزر

(١) الحدث مدينة صغيرة بالشام . راجع أبو الفدا : تقويم البلدان ٢٦٢

(٢) ابن العديم : زبدة الحطب ١/١٢٤ — ١٢٦ .

(٣) الثعالبى : بتهمة الدهر (ط . مصر ١٩٣٤م) .

للامير سيف الدولة في قصيدته « على قدر أهل العزم تأتي العزائم » (١)
التي جاء فيها .

وقفت وما في الموت شك لواقف كئلك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلنى هزيمة ووجهك وضاح وشرك باسم

والحق أن سيف الدولة كان يرمى دائما من وراء معاركه ، الى تحقيق هدف واحد لم يغب عنه لحظة واحدة ، ألا وهو حماية الدولة الاسلامية من يبنى بها سوما أو شرا . أما الروم فكانوا يشعلونها حربا دينية لاخذ بلادها الاسلام ، وسكن بنوره في قلوب وأفئدة أهلها . وليس لاعادتهم للضلال سبيل . فالتاريخ لا يعود للوراء أبدا ، والحق لا بد وان ينتصر مهما طال الأمد . مما يجعلنا نقرر بشيء من الثقة أن عصر الحروب الصليبية ، انما يرجع الى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وليس الى تلك الصيحة الرغاء التي تنق بها البابا أوربان الثانى في مجمع كليرمونت سنة ١٠٩٦م (اواخر القرن الخامس الهجرى) .

لقد كانت معركة الحفص ٣٤٣هـ حقا من المارك التي منى فيها الروم بجسائر فادحة في الرجال والاموال ، وكان انحصارهم فيها مزمرا . لكن سيف الدولة لم يستخف هذا النصر الباهر على عدوه وعدو دينه وأمته ، بل ظل يحذرا متيقظا دائما لما يمكن ان يقوم به الروم من هجوم مباغت . ولولا هذه اليقظة التي تمتع بها سيف الدولة ، لما كانت الدولة الصمدانية ، ولما كان لتسييف الدولة هذا الصيت الداوى على مر الاجيال .

سار سيف الدولة في عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) ، على رأس جيشه قاصدا أرض الروم . وقد صحبه في حملته هذه شاعره أبو الطيب المتنبى ، ليشهد بنفسه المارك التي طالما سمع عنها من الرواة . وغير

سيف الدولة بقواته نهر أرسناس^(١) ، ثم اجتاز حصن الران^(٢) ، ومنه إلى تل بطريق ، الذي كان ضمن المناطق البيزنطية . ولم تجد القوات الحميدانية في هذه النواحي مقاومة تذكر^(٣) .

وقد سجل المتنبى هذه المناسبة في قصيدة له جاء فيها^(٤) :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى الحسل الثانى

ومنها قوله :

لولا سعى سيوفه ومضاؤه لما سلن لكن كالأجفان
مازلت تضربهم دراكاً في الذرى ضرباً كأن السيف فيه اثنان
فرموا بما يرمون عنه وأدبروا يطأون كل حنينة مرنان
بتشاهم مطر السحاب مفصلاً بمهند ومتقف وسببثان
يامن يقتل من أراد بسيفه أصبحت من قتلك بالإحسان
فاذا رأيتهك حاد حوثك ناظري وإذا مدحتك خار فيك لسانى

كان لخبر وصول القوات الحميدانية إلى منطقة تل بطريق ، وقع الصاعقة في نفوس الروم وقادتهم . فالحقوا بسيف الدولة ، والتحم الفريقان في قتال ، جادت أثناءه السماء بمطر غزير عطل القسى عن الرماية ، مما أذهل الروم وأمرغهم ، فطلقوا بتفرقون في انحاء المملكة البيزنطية ، وانسحبوا كالجرذان المذعورة إلى جحورها ، مما أشعل الحمية والحماس في نفس جيش الحميدانيين وقادتهم سيف الدولة . « فركبوا أقفية الروم المنصورة » ، حتى أوغلوا في

(١) نهر أرسناس : نهر في بلاد الروم يوصف ببرودة مائه . راجع ياقوت معجم والبلانرى : فتوح .

(٢) يقع حصن الران على منطقة الحدود الإسلامية البيزنطية قرب ملطية .

(٣) ابن ظافر : الدول المتقطعة ج ١ ص ٨ ومحمد كرد على : خطط الشام ج ١ ص ١٩٠ .

(٤) المتنبى : ديوانه وابن الوردي : تمة المختصر ج ١ ص ٤٢٨ .

أرضهم ، يسبون كل ما أحلته لهم قواعد الحرب . وكانت نتيجة هذه الغزاة مؤلة وشديدة الوقع في نفوس الروم ^(١) .

وقد أورد الأنطاكي انبساء هذه الواقعة في تاريخه حيث قال :
 « غزا سيف الدولة الى بطن هنزيط (خنزيت Khanzit) في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، ونزل شاطيء نهر أرسناس ، وعبر الى الجانب الآخر في الزواريق ، وكان يأنس بن الشمشقيق (يوحنا زيمسكس) في تل بطريق فكبحه سيف الدولة ، فانهزم ابن الشمشقيق ، وفتح سيف الدولة تل بطريق ، وانثنى سيف الدولة قاتلًا الى الدرب يثقال له درب الخياطين ، وألقى الدمستق (قائد الجيش البيزنطي) وابن الشمشقيق قد أخذوا الدرب وأشحناه (عباء) بالرجال ، فانتشب القتال بينهم ، واستظهر سيف الدولة عليهما ، وكان سيف الدولة قد خلف بدلو (دلو) أبا العشائر الحسين بن علي بن الحسن بن حمدان ^(٢) ، ورسم له النزول على حصن عرمدا وبناءه . وخرج لاون البطريق بن الدمستق ، ولقيه أبو العشائر فأمره — أي أسر أبا العشائر — وحمله الى القسطنطينية . ومات في الأسر » ^(٣) .

وفي نفس السنة (٨٣٤٥) غزا سيف الدولة — باحدى سراياه — منطقة سمندو ، فوجدوا فيها : استراتيجيوس (حاكمها) ابن البلنطس ، وأسروه . . . « وقتل سيف الدولة ، وأهرق وأسر ثم عاد » .
 كما قصد بعد ذلك حصن زياد وحاصره واتصل به (أي علم) أن الدمستق متوجه الى الشام فتسرع (فاسرع) سيف الدولة الى لقاءه ودفعه ^(٤) .

وقد أورد ابن الأثير في سرده لأحداث عام ٨٣٤٥ (٨٩٥٦)
 « أن سيف الدولة سار في رجب من هذه السنة في جيوش الى بلاد

(١) الأنطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد البطريق ص ٧٤ — ٧٦ (٧٧٢ — ٧٧٤) .

(٢) هو أحد قواد سيف الدولة ، ووالية على انطاكية آنذاك .

(٣) الأنطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٤ — ٧٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٨ حوادث ٨٢٤٥ .

الروم ، وغزاها ، حتى بلغ خرشنة (خرسيون) وصارخه ، وقتل عدة حصون ، وسبى ، وأحرق ، وخرب ، وأكثر القتل فيهم ، ورجع اليه أخذه (أظنه) ، فأقام بها حتى جاءه رئيس طرسوس ، فخلع عليه سيف الدولة وأعطاه شيئا كثيرا وعاد الى حلب ، فلما سمع الروم بما فعل ، جمعوا حشودهم وساروا الى ميسنارقين ، وأحرقوا سوادها ، نهبوه وخربوا ، وسلبوا أهلها ، ونهبوا أموالهم وعادوا » (١) .

عزم الدمشقي لنقفور فوكاس على الانتقام من المسلمين ، نتيجة ما ألحقته بهم هجمات قوات الحمدانيين في الشام من هزائم وخسائر . فجهز حملة كبيرة جعل قيادتها الى أنقضاء حنا زيمسكيس (ابن الشمشيقي عند العرب) الذي بدأ إغاراته على أطراف منطقة ديار بكر . وكان زيمسكيس قد أقسم لنقفور فوكاس أنه « لن يرجع حتى يخذل سيف الدولة خذلانا مبيها » (٢) . وقد نوه المتنبى بهذا القسم في قصيدة له جاء فيها (٣) :

عقبى اليمين على عقبى الوغى نسيم
ملذا بزيدك في اقدامك القسم
وفي اليمين على ما أنت وامسده
مادل انك في الميماد متهمم
آلى الفتى ابن شمشيقي فأحنثه
فنى من الضرب تنسى عنسده الكلم

لما علم سيف الدولة بنيا حملة زيمسكيس ، زحف بقواته نحو سميساط . وهناك انضم اليه بنو نمير (٤) . مما عزز قواته ، ثم لحق بالروم ، وقد ظنوا ان باستطاعتهم استدراجه ، لكنهم كانوا واهمين . وقد التقى الفريقان — الحمداني والبيزنطي — في عام ٩٥٥م (٩٥٦م) في مكان ضيق يسمى « درب بالقيايا » ، حيث أنزل

(١) ابن الأثير : نفس المصدر حوادث ٥٢٤ هـ .

(٢) الانطلي : تاريخ الانطلي (صلة أوتيا) ص ٧٤ — ٧٦ .

(٣) المتنبى : ديوانه .

(٤) راجع ابن حزم : جبهة انساب العرب « بنو نمير » .

بالروم هناك هزيمة فاحشة ، وقتل من قواتهم نحو أربعة آلاف ، بينهم عدد من كبار قادتهم وبطارقتهم ، وكانت مغانم الحمدانيين في هذه الواقعة وفيرة من المتعاد والذخائر ، عدا النفائس الثمينة كالحلى والحرير^(١) .

واستمر الحمدانيون في تعقبهم للروم ، حتى غلوا حدهم ، ومزقوهم شرق ممزق . وكانت موقعة درب باقسيايا هذه مما أثار شجن ووجد المتنبى ، حتى انه نوه بها في قصيدته « الرأى قبل شجاعة الشجعان » ، اذ ورد في بعض أبياتها وصفا للمركة والامكن التي دارت فيها ، نورد منها هذه الأبيات^(٢) :

في جحفل ستر العيون غباره فكانمـــــــــــــــــا يبصرن بالأذان
يرمى بها البلاد البعيد مظفر كل البعيد له قريب دان
فكان أرجلها بترية منبجج يطرحن أيديها بحصن البران
حتى عبرن بأرسناس سوابجا ينشرن فيه عمائر الفرسان

كما أشار المتنبى الى صعوبة الطريق والدروب التي سلكها سيف الدولة بقواته في قوله^(٣) :

وعلى الدروب في الرجوع غصاصة
والسير معتصم من الامكان
والطرق ضيقة المسالك بالقنـــــــــــــــــا
والكفر مجتمع على الأيمـــــــــــــــــان
نظروا الى زير المسجد كأنمــــــــــــــــا
يصعدن بين منالك العقبــــــــــــــــان
وموارس يجبى الحمام نفوسها
فكانمــــــــــــــــا ليست من الحيــــــــــــــــوان

(١) ابن الاثير : الكلب ج ٨ حواش ٢٤٥ .

(٢) المتنبى : حيوانه .

(٣) المتنبى : حيوانه .

مازلت تضربهم درأكا في البحر
ضربا كان السيف فيه اثنا
رغمت بك العرب العماد وصيرت
قبح الملك مواقف النيران

لما سمع الروم بما فعلته القوات الإسلامية بقيادة سيف الدولة
الحمداني ، ساروا إلى ميافارقين (هارتيربوليس) « فأحرقوا سوادها ،
ونهبوا ، وخربوا ، وسبوا أهلها ، ونهبوا أموالهم ، كما سيروا حملة
بحرية إلى طرسوس ، حيث عملت القتل في أهلها العزل ، حتى بلغ
من قتلوه منهم نحو ألف وثمانمائة (١٨٠٠) رجلا ، كما حرقوا
ما حولها » (١) . وبذلك يبدأ العد التنازلي لقوة الحمدانيين ومجدهم .

ذلك أن الفترة التي أعقبت ذلك ، وبخاصة ابتداء من عام
٣٤٧هـ (٩٥٨م) ، اتسمت بظهور علامات ودلائل الضعف ، التي
بدأت تتفرع في كيان القوة والدولة الحمدانية . وهي التي كانت
تتحمّل منذ قيامها عبء المواجهة الحربية مع الروم ، في مناطق
الغور سواء الجزرية أو الشامية . وسيكون لذلك التطور أثره في
المواجهة في الغور الشامية والجزرية ومياه شرقي البحر
المتوسط آنذاك .

وإذا كان السيف هو غيمل العلاقات بين القوى الإسلامية
من ناحية والدولة البيزنطية من ناحية أخرى في بلاد الشرق
الإسلامي - (الشام والجزيرة وأرمينية) - فإن الأمر
اختلف في النطاق الغربي للمسلمين الإسلامي . إذ استقبل
انحسار الأموي في بلاطه بقرطبة (في الأندلس) سفارة بيزنطية
منذ عام ٣٣٦هـ (٩٤٧م) ، للعمل على موادعته على حد قول
المقري (٢) . وذلك لأن الإمبراطور البيزنطي - وقتذاك - قسطنطين

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ حوادث ٣٤٥هـ .

(٢) المقري : نفخ الطيب ١/٢٦٤ ومبجدها .

السابع بورغيريوجنتس (٩١٣ — ٩٥٩ م)^(١) ، ثن يخشى من نوايا الفاطميين ببلاد المغرب ، الذين سبق لهم التحالف مع البلغار ضد الإمبراطورية البيزنطية في عهد رومانوس ليكاينوس^(٢) .

على أى حال ، لقد شهدت الفترة فيما بين سنتي ٨٣٤٥ و ٨٣٤٨ (٩٥٧ — ٩٦٠ م) نشاط بيزنطيا مركزا ، على جهة المواجهة ضد المسلمين ببلاد الشام واقلية الجزيرة . اذ سار الروم في شهر ربيع الأول ٨٣٤٥ في حملة قصدت « حصن الحدث » ، حيث فتحوه صلحا . ثم انصرفوا من توهم الى مدينة حلب لفتحها . وفي سنة ٨٣٤٧ سارت القوات البيزنطية بقيادة يوحنا زيمسكيس (الثمشقي) الى مدن آمد Amidā ، وأرزن Arsen وميلفارقين (مارتيويوليس) ، ونصيبين ، ونزلوا على حصن يسمى « الحصن اليماني » من أعمال آمد^(٣) .

ولما علم سيف الدولة بهجوم الروم على هذه المناطق ، سير غلامه « نجا الكاسكي » على رأس جيش قوامه نحو عشرة آلاف مقاتل . والتقى الجمعان في معركة ضارية ، انتهت بهزيمة القوات الحمدانية ، ومقتل نحو خمسة آلاف منهم ، وأسر ثلاثة آلاف تقريبا ، كما استولى الروم على جميع سواد نجا الكاسكي غلام سيف الدولة^(٤) . وقد واصل الروم زحفهم بقيادة يوحنا زيمسكيس ، انذرى رافقه بالسيريل الباركمونس Basil Le Perakmaumène : حيث نزلوا بقواتهما على سميساط Samosata وفنحاهما ، ثم سارا عنها الى رحبان (أورهان Rābān) فحاصراها في شعبان / رمضان ٨٣٤٧ (أكتوبر / نوفمبر ٩٥٨ م)^(٥) .

(١) اشترك هذا الإمبراطور في الحكم مع رومانوس ليكاينوس فيما بين سنتي ٩١٩ — ٩٤٩ م . ثم انفرد بالحكم بعد ذلك حتى ٩٥٩ م راجع : بورغيريوجنتس : ادارة الإمبراطورية ص ٢٣٥ (ثبت الإمبراطور البيزنطيون) .

(٢) بورغيريوجنتس : المرجع السابق ص ٢١ .

(٣) Grousset; R. Hist. de la Armenie, P. 476 - 477.

(٤)

(٥) الاتطلي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٧٤ — ٧٧٥ .

Grousset : Hist. de la L'Armenie, P. 477.

(٥)

هكذا نرى الجانب البيزنطى يحرز جولات ينتصر فيها على القوات الحمدانية في فترة ضعف القوى الإسلامية ، وذلك بفضل ثلاثة من أبرع قادة الروم وهم : ليوفوقاس ، وباسيل باراكومونس ، ويوحنا زيمسكيس (الأرمنى الأصل) . فیتقدم الزحف البيزنطى نحو آمد ، وأرزن ، ونصيبين ، وميلفارقين . غير أن هذه الحملات البيزنطية لم تتمد كونها اغارات سريعة مضادة ، قام بها الروم كرد فعل للنشاط الإسلامى ، الذى كان قد سجل الكثير من الانتصارات على الروم في جولات سابقة وأماكن مختلفة .

والخيل على أن هذه الحملات البيزنطية كانت بمثابة غارات خاطفة أن المدن الأربعة المذكورة — آمد ، أرزن ، نصيبين ، وميلفارقين — استمرت — بعد انسحاب الروم منها — تحت سيادة الإمارة الحمدانية وسلطة الأمير الحمدانى ، المتمركز في حلب . أما عن النصر الذى أحرزه زيمسكيس على سيف الدولة وقواته في رعبان (رعبان) ، فكان من نتائجه الأساسية ضمان الروم السيطرة التامة على سميساط^(١) . والحق أن الروم أوقفوا بقوات سيف الدولة في معركة رعبان (شعبان / رمضان ٨٣٤٧) هزيمة كبرى . إذ قتل من القوات الحمدانية الكثير ، كان منهم عدد ليس بالقليل ، من أصحاب وغلماں سيف الدولة ، مما يند عن الحصر ، هذا بغضلا عن سيق أسيرا (وعددهم نحو ألف وسبعمائة) إلى شوارع القسطنطينية ، حيث طيف بهم في شوارعها وهم يركبون خيولهم ومعهم أسلحتهم^(٢) .

تشجع الروم بما أحرزوه من انتصارات على القوات الحمدانية ، فاندفعوا يزهفون في نفس سنة ٨٣٤٧ على مدينة قورس^(٣) ، حيث أسروا عددا من أهلها ، استغلصهم سيف الدولة فيما بعد . وفي السنة التالية يموت امبراطور الروم قسطنطين بن ليو (بورفيروجنتس) (في أكتوبر ٩٥٩ م / شعبان ٨٣٤٨) ، بعد حكم دام زهاء ٤٨ عاما ،

Grousset : Ibid. P. 477 - 478.

(١)

(٢) الانتطاكى : المصدر السابق ٧٧٥ — ٧٧٦ .

(٣) مدينة قورس : تقع بين نل عفرين وكلس . راجع الانتطاكى :

تاريخه ض ٧٧٥ — ٧٧٦ .

بزغ خلالها نجم كل من ليونين برداس فوكاس ، ونفقور فوكاس ، بحيث صار للأول حكم شرق الدولة البيزنطية . والثاني غربها^(١) .
والحق أن قسطنطين بورغريوجنس - الامبراطور ومؤلف كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية - مات في وقت أصبحت فيه منطقة الفرات من جديد قاعدة للعمليات البيزنطية ، وصارت منطقة دجلة هدفا للغارات والجهال البيزنطية فيما بعد^(٢) .

وفي مستهل شوال عام ٣٤٨ هـ ، سار الروم الى طرسوس ، حيث فتحوا حصن الهارونية . كما سارت فرقة منهم الى ناحية ديار بكر في نفس للعام . فلما علم بذلك سيف الدولة سار من حلب الى هناك ، فدخل الروم الى ناحية الشام ، بعد أن قتلوا عددا من أهله ، وغربوا حصونا كثيرة ، كما أسر محمد بن ناصر الدولة الحمداني^(٣) . كما حشد الروم قواتهم بقيادة ليوفوقاس ، حيث استولوا على مدينة الصدد ، ودخوا حصونها .

وفي نفس العام ٣٤٨ هـ (٩٥٩ م) نجح الروم في السيطرة على مدينة مرعش^(٤) .

ومن ناحية أخرى شجعت هذه الانتصارات البرية حكام الامبراطورية البيزنطية على نقل ميدان صراعهم ضد المسلمين ، الى الحوض الشرقي للبحر المتوسط في جزيرة كريت (اقريطس) حيث انقض السطول البيزنطي في عام ٣٤٩ هـ على الجزيرة^(٥) ، محاولا اخذها من المسلمين ، وهو ما لم ينجح فيه الا مستهل عام ٣٥٠ هـ بسبب انشغال القوى الاسلامية بالمعاصرة - كالفاطمية في المغرب والاشيديدية في مصر - في مشاكلها الإقليمية الخاصة ، فضلا عن تردى أوضاع الخلافة العباسية آنذاك^(٦) .

(١) الانطاكي : نفس المصدر ص ٧٧٦ .

(٢) Grousset : Hist. de L'Irannie, P. 477.

(٣) الانطاكي : نفس المصدر ص ٧٧٥ ، ٧٧٦ وإلهامي : التوفيقات

الالهية ص ١٧٤ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحطب ١/ ١٢٠ ، ويورغريوجنس ص ٢٥ .

(٥) ويورغريوجنس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٩ .

(٦) ابن العديم : زبدة الحطب ١/ ١٤٧ وصابر دياب : سياسة الدول

الاسلامية في حوض البحر المتوسط ص ١٣٤ - ١٤٠ .

هكذا أصبحت مناطق الثغور الاسلامية — البيزنطية في مستهل عام ٨٣٤٩ م (٩٦٠م) تحوى معنا حدودية (ثغرية) ، تمتد من الشمال إلى الجنوب ، صارت خاضعة للسيطرة والسلطة البيزنطية مثل : سميساط ، بهسنى ، وكوكوسوز (جوكوسن Gokusun) وجمانة ، ويوداندوس (بوزانتى Podandos) ورومانوبوليس Romonopolis وكركارون (جرجر)^(١) .

وبهذه الانتصارات التى أحرزها الروم (البيزنطيون) على المسلمين — منتصف القرن الرابع الهجرى (منتصف العاشر الميلادى) — فى المناطق الثغرية بالقليم الجزيرة (ما بين النهرين أو منطقة الميزوبوتوميا) وببلاد الشام ، تتكون الحدود البيزنطية قد اقتربت أو قل تلاصقت الولايات الأرمينية المستقلة . وهذا الوضع الجديد سترتب عليه مشكلة كبرى سماها جروسية Grouset « مشكلة الأيام القادمة » وهى : هل تساعد الممالك الأرمينية الدولة البيزنطية فى حربها ضد المسلمين ؟ أم تعرقل تقدم قواتها ونشيطها بعد أن زاحمت السيادة البيزنطية تلك الممالك فى عقر دارها ؟^(٢) .

٣ — المرحلة الثالثة : محاولات نقفور فوقاس إنهاء الجود الاسلامى من مناطق الثغور الاسلامية (٢٤٩ — ٨٣٥٦ / ٩٦٠ — ٩٦٧م) :

علم سيف الدولة ، فى مستهل عام ٨٣٤٩ م ، أن الروم يخطون لايقلاع الثغور الاسلامية ، وأنهم حوهموا حولها متعدين حدود طرسوس والرها (احسا Edessa) وقتلوا وسبوا دون أن يلجأوا مقاومة تذكر . فأعد سيف الدولة عدته ، وجيش غواته : وأعلن الجهاد لحرر اعداء الاسلام ، ولينتقم لم انتهاك من حرمان المسلمين .

وسار سيف الدولة فى نفس العام (٨٣٤٩ م) الى خرسيون

Grousset : Hist. de L'Arménie, P. 477.

(١)

Grousset : Ibid., P. 478.

(٢)

(خرشفنة)^(١) ، عازما على ضرب الروم في عقر دثرهم وقتل حدودهم ، وليحول بينهم وبين التوغل في البلاد الاسلامية . خاصة وان مطالعهم كانت تهدف الى احتلال حلب ، ولخذ بلاد الشام من المسلمين ، وهو ما اتضح من تحركاتهم .

وقد أخذ سيف الدولة - وهو في طريقه اني خرشفنة سنة ٨٣٤٩ عددًا من الحصون البيزنطية ، مما أجبر الروم على الانسحاب أمامه ، مصلولين استدراجه الى هوة سحيقة . وقد ابتلع سيف الدولة وجنوده الطعم ، في المنطقة بين البستين والحدث ، « حيث قطعوا الاشجار وسدوا بها الطرق ، ودهدوها الصخور في المضائق (أي القواها) على جيشه ، والروم مع الدمستق وراء الناس يقتلون ويأسرون »^(٢) .

اندلع القتال بين الجانبين - الحمداني والبيزنطي - ودارت المعركة ، فاستبسل سيف الدولة وجنوده . تكن النصر جانب القوات الحمدانية ، حيث انتصر الروم عليهم وراح من جند سيف الدولة (وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا) عدد كبير جدا ، بحيث لم يبق سوى عدد لا يزيد على الفئتمائة ، زادوا عن سيف الدولة واستبسلا.زودا عنه ، حتى انقذوه بعد جهد جهيد . وقد عرفت هذه الغزوة باسم « غزوة المصيبة » ، نسبة للنتيجة المؤلمة التي انتهت بها على الحمدانيين وقواتهم . مثلما حدث وفي نفس المكنن منذ عشر سنوات (٨٣٣٩ في جمادى الآخرة) وهي منطقة درب انجوازات^(٣) .

(١) ورد اسم خرشيعون (خرشفنة أو خرشفنة) مرارا في السمار كل من المتنبى وأبو فراس الحمداني ، الذي بقي أسيرا حيث خاطب خرشفنة بقوله : ان زرت خرشفنة أسيرا فلکم حللت بها أمرا ١ وفي رواية مغيرا) وهي - كما أوضحنا قبل - بلدة ثغرية قريبة من بلطبة ، وهي ثغر رومي راجع ياقوت : معجم البلدان مادة خرشفنة .

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ج ١ ص ١٩٠

(٣) راجع بورغروجنس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٩ - ٣٠ وابن العديم : زبدة الطب ١/١٢١ وابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٤٨٥ - ٤٨٦ (حواشي ٨٣٤٩) وسلي الكيالي : مسيف الدولة ص ٩٣ وابن الوردي : تنمة ٤٣٠/ ، ومحمد كرد علي : المصدر السابق ١٩٠/١ .

وقد أورد ابن مسكويه تصويرا دقيقا لما جرى في « وقعة
المصيبة » هذه حيث قال (١) :

« وفيها (٣٤٩ هـ) غزا سيف الدولة في جمع كثير ، فأثر في بلدان
الروم آثارا عظيمة ، وأحرق وفتح حصونا ، وحصل في يده سبي
كبير وأسارى ، وانتهى في غزوه الى خرشنة ، فلما أراد الخروج
أخذ الروم عليه المضايق (أى حاصروه) فما تهيأ له ان يتخلص
الا بجهد عظيم ، هو ونحو ثلثمائة غلام ، وهاك باقى أصحابه أسرا
وقتيلا ، وأرتجع منه السبي كله والأسارى والغنيمة ، وأخذ جميع
خزائنه وسلاحه وكرامه ، وقتل من الوجوه ، الذين كانوا معه حامد
ابن النعمن ، وموسى بن سبأ ، والقاضى أبو حسين ، وكان معه
(أى مع سيف الدولة) ثلاثين الفا ، وخرج أهل طرسوس من طريق
آخر فسلموا » .

ويقال ان سبب انكسار سيف الدولة وقواته وانزاهمهم في
خرشنة ٣٤٩ هـ انما يرجع الى اهماله مشورة من حوله ، لأنه كان
يطلب الرأى — أو كما يذكر ابن مسكويه — « كان هذا الرجل ممجبا
برأيه ، يجب أن يستبد به ، وألا تتحدث نفسان أنه عمل برأى غيره » .
وكان أشار عليه أهل طرسوس بأن يخرج معهم ، لانهم علموا
أن الروم قد ملكوا عليه الدرب الذى يريد الخروج منه . وشحنوه
بالرجال فلم يقبل (سيف الدولة) منهم ولج (أصر على رأيه)
فأصيب المسلمون بأرواحهم ، وأصيب هو بماله وسواده وغلمانه (٢) .

لكن ألا يمكن أن نستنتج من عدم اذعان سيف الدولة لرأى
ومشورة الطرسوسيين ، سببا آخر غير الاستبداد بالرأى . كان يكون
عز على سيف الدولة أن يسجل التاريخ عليه أنه لم يستطع مواجهة
الروم ، حين أنوا عليه الدروب ، وأنه سلك طريقا آخر هربا منهم .

(١) ابن مسكويه : المصدر نفسه ١٨١/٢ وراجع ايضا محمد كرد
على : الخطط ١٩٠/١ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الامم ١٨١/٢ (٢٤٠/٢٣٩ الاصل)
حوادث ٣٤٩ هـ .

وان كان ذلك في الحرب لا يمد هربا أو تجلبنا ، بقدر ما كان سينظر اليه على أنه تحسرف وخذاع ، وهو ما حض الاسلام عليه فيما ورد من قول الله عز وجل « ومن يولهم يومئذ دبره ، الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله » . . . الآية » .

واذا كانت كبرياء وأنفة سيف الدولة قد أوردته في بعض المواقف موارد الهلكة ، فقد كانت من ناحية أخرى وفي مواقف كثيرة ، من أهم عوامل ثباته وصموده امام هجمات القوات البيزنطية المتلاحقة في مواقع عدة كان النصر حليف سيف الدولة في الكثير منها .

وقد أشار المؤرخ الفرنسي بول بورين في كتابه تاريخ حلب « ماضيها وحاضرها » الى هذه المعركة فقال^(١) : « وفي سنة ٦٦٠م (٨٣٤٩) انهزم سيف الدولة شر هزيمة امام العدو ، وعاد الى حلب برفقة ثلثمائة فارس فقط وقد أسر البيزنطيون عددا من رجاله ، منهم أبو العشائر أحد أقرباء الأمير ، الذي مات في القسطنطينية والشاعر المشهور أبو فراس^(٢) ، ومن جملة القتلى كان أبو حصين الرقي قاضي حلب ، وقد كان الأسرى الطليبيون عديدين » .

على أن المؤرخ الفرنسي بول بورين اختلف في روايته عن أبي فراس ، عما اورده المصادر العربية ، التي تذكر أن أبا فراس أسر سنة ٨٣٥١م . بينما يذكر هو والروايات الاجنبية انه أسر سنة ٨٣٤٨م . والراجع أن أبا فراس أسر مرتين احدهما ٨٣٤٨م ، والأخرى ٨٣٥١م حيث أسر من منبج كما يذكر ابن مسكويه^(٣) ، ومما يرجح هذا القول

Paul, Bourrain : Alep, Autrefois et aujourd'hui

(١)

(٢) أسر الروم أبا فراس بن أبي العلاء بن حمدان — ابن عم سيف الدولة — بعد اصابعه بجرح في معركة خرشنة ٣٤٩ هـ . وبقي النصل الذي اصابه في فخذه . ثم نقل الروم الأسرى ومنهم أبا فراس — الى عاصمتهم ، حيث مكث بها أسرا مدة ، لتعذر الاقتداء وقتذاك . وقد حاول الفرار سنة ٣٥١ هـ . واستمر أسيرا حتى أطلق بفتديا من سيف الدولة سنة ٣٥٥ هـ . وكان أبو فراس يصدر اشعاره في الأسر ، والمرض ، واكرام بسيف الدولة له ، وقرط الحنين للأهل والأجبة ، والتبسم من حياته وحاله . مما يصدر من صدر مكلوم ، وقلب مصدوع . فينسب شعره رقيقا يبيكي من يسمعه لرقته وسلاسته . راجع : الثعالبى : نتيحة الدهر والكيالى : ص ١٤١ — ١٤٥

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ١٩٢/٢ (الأصل ٢٥٤) .

أن أبا فراس كان قد أرسل — وهو في الأسر — قصائد إلى حصين الرقي قلصى حلب ، الذي كانت في موقعة خرشنة ٣٤٩هـ كما أوردت الروايات . وهذا معناه أن أبا فراس أسر قبيل معركة خرشنة سنة ٣٤٩هـ ، يعني سنة ٣٤٨هـ غالبا . على أن المتفق عليه أن النصر لم يؤات سيف الدولة في هذه الغزاة ، وأنه عاد لحلب ليفكر في الثأر من عدوه .

لكن القوات الحمدانية ، التي تجرعت مرارة الهزيمة في ٣٤٩هـ في موقعة خرسيون (خرشنة) ، أمكنها الفوز — في نفس السنة — عقب موقعة خرسيون سنة ٣٤٩هـ . إذ سار « نجا الكاسكي » — غلام سيف الدولة — في جيش كثيف ، لينتار لهزيمة المسلمين في خرشنة . فنزل على حصن ذي القرنين وحاصر أهله ، ووافاه ميخائيل بطريق هنزيط وطرنيق (ديرنيك) وغيرهم في جمع عظيم ، قيل أنهم كانوا عشرة أمثال قوات المسلمين التي مع نجا . والتحم الفريقان في معركة ، صرع فيها نجا بقواته كثيرا من الروم ومطارقتهم ، وهزم باقيهم ، ففروا مذعورين ، وأكثر فيهم نجا قتلا وأسرا ، وكان بين من أسر طرنيق (ديرنيك) وغيره ، وتعلقهم نجا وقواته بسيولهم حتى ضاق بكثير منهم المقام ، فالتقوا بأنفسهم من فوق جبل عال ، بينما طلب آخرون الأمان فلم يؤمنهم نجا^(١) . فكانت هذه الموقعة بمثابة رد فعل إسلامي قوى وعنيف على الروم ، لما فعلوه بالمسلمين في خرشنة سنة ٣٤٩هـ وغيرها قبل ذلك .

ساد الهدوء النسبي جبهة الثغور الإسلامية — البيزنطية في الشام ، بعد معركة خرشنة الثانية ٣٤٩هـ (٩٦٠م) وهزيمة الروم على يد نجا وقواته . واستمر هذا الهدوء مدة تزيد على العام ، أمضاها الأفريقان (الإسلامي) الحمداني ، والبيزنطي (المسيحي) ، في الأعداد لمركة أخرى حاسمة . وقد كان سيف الدولة يدرك تماما أن الاعداء يتأهبون للقضاء عليه وعلى دولته — كما يذكر بول بورين — دفعة واحدة^(٢) .

(١) ابن ظفر : أخبار الدولة المنقطعة ج ١ ص ٩٨ .

(٢) راجع — من سامي الكيالي : سيف الدولة — كتاب

ذلك أن ماكن يهدف إليه نقفور من ذلك كله ، هو إزاحة الوجود الاسلامي الخطر - حسب تصوره - عن كيليكيا وسورية وفلسطين والعراق . وأن يمد حدود المملكة البيزنطية حتى الدجلة ورمال الجزيرة العربية . وكان أول ما فطن اليه نقفور هو ضرورة اخذ كيليكيا ، وجعلها مقرا لقيادته ، ليكون على مقربة من مسرح المعارك . ولتكون بمثابة المفتاح الذي يسيطر منه على منطقة آسيا الجنوبية من جهة الشمال ، وسورية من جهة الجنوب . وكانت منطقة مضائق الأمانوس وطوروس وكيليكيا آنذاك وحتى سنة ٨٣٥٠ م (٩٦١ م) في حوزة سيف الدولة أمير حلب .

فهل استطاع نقفور بكل ما فعل أن يحقق ما كان يرنو اليه ويهدف ، وإن يثار لدماء قتلاه على أيدي وسيفو الحمدانيين في أراضي كيليكيا ومضائق الطوروس ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه .

محاولة نقفور الانتقام من سيف الدولة :

مرت سنة ٨٣٥٠ م دون قتال ، فيما عدا بعض مناوشات بسيطة جرت بين البيزنطيين وجماعات العرب من سلاكني طرسوس ، وقد يكون للطبيعة اثرها القوي في وقف القتال . ذلك أن المؤرخين يتحدثون عن اشتداد البرد اشتدادا عظيما كان من نتيجته هطول الثلوج كثيرا ، وتجمد نهر الفرات ، الأمر الذي تعذر معه القتال . لكن ما أن حل فصل ربيع عام ٨٣٥١ م ، حتى زحف الروم على مدينة « عين زربة » (عين زربي) - وهي من مدن الثغور - في وقت لم يكن سيف الدولة قد اتم استعداده بعد للقائهم وكان البيزنطيون يعلمون ذلك فقرروا أن يباغتوه بالهجوم^(١) .

وقد جهز نقفور فوكاس Nicephore Phocas جيشا عظيما تراوح تعداده ما بين ١٦٠ ألف ، ٢٠٠ ألف مقاتل ، ممثلا لأكبر حشد بيزنطي في تاريخ الحروب البيزنطية الاسلامية . ولعل هذا الجيش اللجب ، يدلنا دلالة قاطعة على مدى ما أحدثته معارك سيف الدولة

(١) سلمي الكيالي : سيف الدولة ص ١٠٧ .

في نفوس البيزنطيين من مخاوف وقلق • إضف الى ذلك أن نقفور فوكاس زود جيشه الكثيف بما يحتاجه من عتاد وذخيرة ، وحاملات جنود ، وراجمات • فضلا عن المصانع والعمال في مختلف المهن ، لتخليد أية صمود فنية ، قد نعترض طريق الجيش في زحفه على الثغور الاسلامية • فكان هناك نحو « ثلاثين ألف صانع للهدم وتطريق الثلوج — أى ازاحتها — وأربعة آلاف بئيل عليها حبل الحديد ، يحيط به معسكر قواته » (١) (وهو ما يشبه الاسلاك الشائكة) وجبلات وناريونانية (٢) ، كان فعلها في الحروب وقتذاك عظيما ، كفعل وتأثير القنبلة الذرية أو الهيدروجينية في عصرنا الحديث ، من حيث قوتها التدميرية في هدم المدن وحشد الأتلس •

بهذا الجيش الجرار اللجب انقض نقفور فوكاس على عين زربة (٣) Anazarbo الواقعة في سفح الجبل — محاصرها من كل جانب ، وقاوت قواته أهلها الذين 'ستبسلوا في الدفاع عن مدينتهم ما وسعهم الجهد ، حتى آخر قطرة دم في كل منهم • ولم يكن أمامهم في النهاية سوى الاستسلام ، بسبب عدم تكافؤ القوى ، وحفاظا على ما بقي في المدينة من أثر للحياة ، وحماية لها من أن تحرق أو تدمر •

وقد وصف لنا ابن مسكويه (٤) هذه الواقعة (وقعة عين زربة) سنة ٣٥١ هـ ، فيقول : « وفيها — أى في سنة ٣٥١ هـ — ورد الروم عين زربة في مائة وستين ألف ، وهى في سفح جبل ، والجبل مطل عليها ، فلما جاء اندمستق (نقفور فوكاس) في هذا الجمع

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٩٣ •

(٢) كانت من مدن الثغور الشمالية الهامة ، وقد حصنها المسلمون كثيرا ، واتفق عليها سيف الدولة نحو ثلاثة ملايين درهم لتعمرها وتثبيتها راجع :

Grousset, R. : Hist. de L'Arménie, P. 480.

(٣) أبو على أحمد بن محمد (المعروف بابن مسكويه) : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٩٠ — ١٩١ • وراجع أيضا : ابن الوردي : تنبيه ١/٢٢ •

العظيم ، أنفذ قطعة من جيشه الى الجبل ، ونزل هو على بابها ، فملك جيشه الجبل . فلما رأى أهل عين زربة أن الجبل قد ملك عليهم ، وإن جيشاً آخر ورد الى باب المدينة ، وأن مع الدمستق دبابات كثيرة ، وأنه قد أخذ في ثقب السور ، طلبوا منه الأمان ، فأمنهم ، وغتحوه له باب المدينة قد خلها ، فوجد الذين في الجبل قد نزلوا الى المدينة ، فندم على اعطائهم الأمان ، فنادى في البلد من أول الليل بأن يفرج جميع أهله الى المسجد الجامع ، وأن من تأخر في منزله قتل ، ففرج من أمكنه الخروج ، فلما أصبح أنفذ رجاله في المدينة وكانوا ستين ألفاً ، من وجدوه في منزله قتلوه . فقتلوا عالماً من الرجال والنساء والصبيان والأطفال ، وأمر بجمع ما في البلد من السلاح ، فجمع منه أمر عظيم وكان في جملة أربعين ألف رمح ، وقطع ما في البلد من النخل ، فقطع نحو خمسين ألف نخلة ، ونادى فيمن حصل في المسجد الجامع من الناس بأن يخرجوا عن البلد الى حيث شاءوا ، وأن من أمسى ولم يخرج قتل ، ففرج الناس مبادرين وتزاحموا ، فمات بالضغط جماعة من الرجال والنساء والصبيان ، وعروا على وجوههم حفاة عراة لا يدرون أين يتوجهوا . فماتوا في الطرقات ، ومن وجد في المدينة آخر النهار قتل ، وأخذ ما خلفه الناس من أمتعتهم وأموالهم ، وهدم السوران اللذان على المدينة ، وهدمت المنازل ، وبقي الدمستق مقيماً في بلدان الاسلام واحداً وعشرين يوماً ، وفتح حول عين زربة أربعة وخمسين حصناً منها بالسيف ومنها بالأمان . وكان من هذه الحصون التي فتحت بالأمان حصن « أمر أهله بالخروج منه ، فخرجوا فتهرض بعض الأرمن للنساء اللواتي خرجن منه . فلحق رجالهن غيرة عليهن ، فجردوا سيوفهم ، فاغتالز الدمستق منهم ، وأمر بقتل الجميع وكانوا أربعمائة رجل ، وقتل النساء والصبيان ، ولم يبق الا جارية حدثه ، أو من يصلح أن يسترق » (١) .

فإذا كانت الحصون التي فتحت بالأمان قد تعرضت لهذه القذائف

والاهوال فما بال تلك التي فتحت بالسيف وتعرضت للهدم والتدمير .

لقد استطاع الروم في هذه المعركة (معركة عين زربة) أن ينتقموا لما وقع بهم قبل ذلك على سيد سيف الدولة . لكنهم في الواقع لم يتمكنوا من اشفاء عليهم ورى ظمأ حقدهم وغضبهم من دم الأمير سيف الدولة ، بل فقط من تلك البلدة الآمنة ، القوية برجاتها ، الغنية بخيراتها . فكانت النساء والرجال وأشجار النخيل ضمة لشهوة الثأر والانتقام ، التي تلججت نيرانها في نفوس الروم بفعل نكبات حروب سيف الدولة فيهم .

ولا شك أن أخبار هذه المعركة ، وما وقع لأهل عين زربة والحصون الخمسين التي حولها ، وما حدث لها من تدمير ونكال على يد نقفور اللعين وقواته الباغية ، قد بلغ مسامع الأمير الحمداي سيف الدولة وآله أشد الألم ، وحفزه للانتقام لما راح من شهداء المسلمين وضحاياهم من النساء والعجزة والأطفال^(١) . بدليل أننا نراه يجمع ما استطاع جمعه من وحدات جيشه بجهد جهيد ، باذلا الكثير من المنح والعطايا لتشجيع الرجال على القطوع للبذل والفداء . ولكن ترى هل خمدت في النفوس جذوة الاقبال على الجهاد في اعداء الله صونا لديار الاسلام ودين الله على هذه الأرض ؟

ومما لا ريب فيه أيضا ، أن هزيمة سيف الدولة في خرشنة سنة ٨٣٤٩ هـ ، ونجاةه بأعجوبة بعد ضياع جيشه كله (٣٠,٠٠٠ ألف جندي) ، ثم دخول البيزنطيين عين زربة سنة ٨٣٥١ هـ ، واقتحامهم للثغور بجيشهم الكثيف ، كل هذه الاحداث لابد ان تكون قد بثت بعض الوهن والخوف أو الذعر في نفوس قوات الحمدايين^(٢) .

(١) ابن الوردي: نفس المصدر ٤٣٢/١ وقد أورد ابن الاثير تفاصيل غدر نقفور بأهالي البلد وقتل الكثير من الرجال والنساء والصبية والأطفال راجع ابن الاثير : الكلبل حوادث ٨٣٥١ هـ .

(٢) سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدايين ص ١٠٩ - ١١٠

الزحف البيزنطى صوب حلب :

من المعلوم ان الحرب سعي وبران فوار مدمر ، لا نتيجة لها الا الدمار والخراب ، وعدم الأتفس • فهل يجازف سيف الدولة بقواته القليلة التى جمعها فى وقت اخذت فيه اراجيف المرجفين والمثبطين تعمل عملها • هذا وعرين الاسلام يتهدده الخطر المالحق الحائق ، والامر جد خطير ، لا مجال فيه لسفسطات ، أو فلسفات • وليس هناك مندوحة ولا مجال لالتقاذ الا عن طريق الجهاد والاستبسال فى ساحة الموغى ، وهو أفضل كثيرا جدا من حياة غموسها الذل والهوان ، وشراها مرير مرارة الذل والانكسار • اذ ما قيمة حياة سلبت منها الكرامة ، وديست فيها الاعراض ، وانتهكت الحرمات ؟ وما قيمة حياة سلب منها نور الحياة بسلب كرامتها ؟ وهل هناك طريق آخر غير بذل المهج والارواح قربانا وفداءا للدين والعرين ؟

فها هى عين زرية صارت فى قبضة نقفور اللعين ، تروح تحت نيره واغلاله وتثن من وطأة بطشه الغاشم هو وبني جلدته • وها هو نقفور يملن — خداعا منه ومكرا — انه سيعود للقتال بعد الفطر ، وانه سيخلف فى قيسارية جيشه^(١) • اذ ليس من المعقول ... وهو يعلم تمام العلم ما فعله ببلاد الاسلام وأهله — أن يطمن أو يركن الى هدنة أو مسالمة ، يسلم فيها خصمه (المسلمين) فرصة ذهبية • وهو أى نقفور — قد أعد حملة — كبيرة للقضاء على سيف الدولة نهائيا ، وأخذ الشام كله — لو تمكن — وضمه الى القبضة البيزنطية^(٢) •

ويورد الأستاذ سامى الكيالى — فى كتابه سيف الدولة وعصر الحمدانيين فقرة مما كتبه بول بورين Bauren, Paul — فى كتابه « حلب » ماضيها وحاضرها « — يصف فيها الفترة التى اعقبت موقعه

(١) راجع ابن مسكويه : نجارب الام ١٩١/٢ •

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٠ — ١١١ •

عين زرية سنة ٨٣٥١م (٩٦٢م) بأنها فترة استرخاء واستراحة » .
فيقول بورين « بعد أن رسم نفقور فوكلس منذ ٩٦٢م (٨٣٥١)
خطته الحربية بأكملها ، انقض على كيليكيا كالصاعقة وفي برهة ٢٢
يوما ، استولى على خمسة وأربعين حصنا ويلدا » (١) ، فوقع العدو
في ارتباك عظيم . أما نفقور فإنه استغل خيرة العدو ، وذهب
بمستريح في قيسارية . وفي خريف السنة نفسها (٩٦٢م / ٨٣٥١)
اجتاز جبال طوروس ثانية ومعه جيش من مائتي ألف محارب ،
قاصدا حلب . وبعد أن استولى على كيليكيا ، اجتاز جبال الأمانوس
في أواخر تشرين الثاني ، ولم يستطع سيف الدولة أن يدافع عن
مضايق الأمانوس لأنه أخذ على حين غرة .

هكذا أصبح الروم على مشارف حلب ، فلما علم بذلك
سيف الدولة ، نادى بالجهاد بين جنده ورجاله ، لدفع الخطر الداهم .
هذا في الوقت الذي كان فيه الروم قد وصلوا الى « اعزاز » ، ولم
بعد مناص من الالتحام في القتال وجها لوجه . وأصبح سيف الدولة
الآن امام نحو ثمانين ألف جندي رومي (بيزنطي) وليس معه سوى
أربعة آلاف مقاتل هم كل من كان معه وقتذاك . فهل تتحقق
المعجزة البدرية مرة أخرى ، وينجز الله وعده بنصر هذه الفئة القليلة
المعتدى على عرينها وحرماها ، كما نصر إسلامهم في بدر ، على تلك
الفئة الباغية المتباهية بكثرتها وكثافتها وعدتها ، واكن هل النفوس
والقلوب في القرن الرابع الهجري هي نفسها نفوس وقلوب أهل
معركة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة .

بهذا الايمان القوي الآمل في نصر الله ، والمؤمن بعذالة القضية ،
وسلامة القصد والمهدف ، اندفع سيف الدولة بقواته في مدافعة الروم
« وكمن من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ، وقا تل سيف الدولة
بقواته ببسالة فادرة ، حتى قتل أكثر من كان معه ، وار تد هو الى

(١) تذكر الروايات العربية : انها أربعة وخمسون حصنا وليس
خمسا وأربعون ولا نعلم ما اذا كان هذا من تحريف الاعلام وتصحيفها ،
خاصة ان الرهين متقاربان الى حد كبير .

حلب ، وخيم بظاھرها ، بفكر كيف الخروج من هذا الوضع الحرج في مواجهة الروم^(١) .

في هذا الوقت ، كان الروم قد أوغلوا في البلاد الاسلامية ، وقد جهز سيف الدولة فتاه « نجا الكاسكى » في ثلاثة آلاف ، ثم لحقه . وعلم في الطريق ان الروم في تل جبرين ، وانهم أوشكوا على مداخمة حلب المشعباء . فعاد سيف للدولة الى لؤلؤته (حلب) ونلدى في الناس للجهاد ، ووزع مافي الخزائن من سلاح وعتاد . واندلع القتال بين الجانبين (الاسلامى والبيزنطى) ودارت معركة غير متكافئة ، تطايرت فيها الرؤوس ، وتناثرت الاثلاء ، وصارت الدماء تجرى في الشوارع أنهارا . ولم ينج سيف الدولة الا بصمودية بالغة ، حيث اتجه الى بالاس - الرقة^(٢) . فطارده ابن الشمشيق (يوحنا زيمسكيس) في عشرين الف فارس رومى ، لكنه لم يتمكن من القبض على سيف الدولة مما حز في نفسه كثيرا ، وأدخل الحصرة في نفس ثقفور اللعين^(٣) .

وقد ذكر شلومبرجر^(٤) كيف كان سيف الدولة عظيما في انكساره كعظمته في انتصاره ، وأن « امبراطورية البيزنطيين العظيمة هذه ، التي ملكت العالم القديم ، كانت تخسافه منتصرا وتجله (تحترمه) منكسرا » . « ففى سنة ٩٦٢م (٨٣٥١) قامت على أبواب حلب معركة بين الجيش البيزنطى ، والجيش الذى يقوده سيف الدولة الامير » . أما كيف كان القتال في هذه الملحمة ، فلا يستطيع وصفه غير الذى شهد المعركة ، وأطل على ساحتها وميدانها « ومع ذلك يصف لنا المؤرخ المذكور كيف كان الامير (سيف الدولة) يثير حماسه الامبراطور ، ويلهب شعوره ، حتى اضطر قيصر البيزنطيين الى مصارحة قواده ، لا أربده قتيلا ، بل أريده أسيرا . فأيكم كانت

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) بين حلب والرقة على الضفة الغربية لنهر الفرات .

(٣) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٢ .

(٤) شلومبرجر : حلب ثقفس بيزنطة (نقلا من سامى الكيالى :

المرجع السابق ص ١١٢) .

له القدرة على أسر منتحمة مقاطعة كاملة » . وهذا لعمري فيه الكفاية لبيان ما أحدثته حملات سيف الدولة من وتميع مؤلم في نفوس الروم أمبراطورا وقادة وجنودا .

نقفور يدخل حلب :

ترك سيف الدولة حلب ، ففقدت المدينة بخروجه منها بعض آملها الكبار ، مما جعلها تشعر بياس قاتل ، وحيرة ملحة ، وذ هول عميق . فماذا عساها تفعل ؟ لقد تناثر فرسانها ، وتفرق جيشها ، فلم يبق فيها غير الكهول والاطفال والنسوة وبعض الحرس . فهل تستسلم المدينة لهذه القوة الباطشة لتفعل فيها ما تشاء ؟

لقد أصبح البيزنطيون قرييين من حلب ، فحوموا حولها . أما أهلها فاعتصموا في الداخل ، وأغلقوا الابواب ، واستعدوا للقتال بهذه الروح القوية التي ايقظها فيهم الأمير الحمداني الهام ، لتتقلب في هذه اللحظات المصيبة وهجا ولهيا وحما . ولتن هذه القوة البسيطة العزلاء من السلاح ، لن تستطيع مقاومة جيش جرار ، من ثمانين ألف مقاتل ، مدججين بالسلاح والعتاد عدا المشاة ، ومع ذلك قاتلوا زودا عن حماتهم^(١) .

لقد أسفرت المواجهة عن استشهاد أكثر من ثلثمائة مسلم بينهم غير واحد من بنى حمدان منهم أبو طلب بن حمدان وابنه ، وداود بن علي كاتب سيف الدولة ، وأبنا نصر بن حسين بن حمدان . وظل البيزنطيون يحومون حول البلد (حلب) دون أن يخطفوها . ثم اتجهوا الى قصر الأمير سيف الدولة الحمداني — ويسمى الدارين — خارج البلد ، وكان مما انبهر له نقفور فوكاس ، بسبب ما كان فيه من انتحف وللنفائس والزخارف والعتاد . غير ان اعجابه بالقصر وانبهاره به ، لم ينجياه من الدمار والتفريب . ومما يذكره المؤرخون ان مما نقل من القصر « أربعة ملايين درهم فضة ، آلاف من البغال ، وحصنا (جمع حصان) من نجد ، وأفراسا عربية ، وستة آلاف ذراع^{٣٧٠٤} حملا

(١) سلبى الكيلاني : سيف الدولة الحمداني ص ١١٣ — ١١٤ .

ورسما فقط . ولحق فان الخليفة كان يشعر ويحس بشعور واحساس الشعب المسلم . لكنه كان مغلوب الارادة والسطة ، لا يملك — ازاء ما سمعه من قول — الا أن يقابل كلام الناس له بكثير من المرارة تسكن في نفسه . وكانت أجابته للربعة ناطقة بما وصلت اليه حال الخلافة والظلاء آنذاك من الضعف والهوان ، لنسلط آل بوية على الخليفة ، واستبدادهم دونه بالسلطة ، وتسليطه على الناس . لكن التاريخ لن يغفر لهم ذلك أبدا .

وقد حاول سيف اندولة أن يلتقي بالجيش البيزنطي سنة ٨٣٥١ م بعيدا عن حلب ، لكنه أدرك أن هيزان الموقف لن يكون في صالحه في حالة المواجهة ، لتفوق العدو عددا وعدة . ونذلك بحث بعلامة نجاة الكاسكي « على رأس جويس من ثلاثة آلاف » ثم نطقه ، ثم عاد فوزع بها في الخرائن من السلاح . ودلر القتال بين الفريقين — وكان قتالا غير كافء عددا ، اذ كان ثلاثة آلاف جندي للحمدين يقاوتون ثلاثين ألف جندي رومي (بيزنطي) ، فضلا عن نجده وأفتهم قدرها أربعون ألفا آخرين كان فيهم يوحنا زميسكيس نفسه . فكانت النتيجة بطبيعة الاحال ليست في صالح المسلمين (الحمدين) ، الذين وقع منهم كثير من القتل ، فضلا عن أسر ، بينما لاذ فريق ثالث بالقلعة (قلعة حلب) فنجبا بذلك . أما المدينة فقد أحكم الروم حصارها ، وحاولوا فتح ثغرة في سورها وقد نجحوا في ذلك ، لكن الأهالي — كما قلنا اعادوا ترميم الجزء المنظم عن أسور^(١) .

وكان أكثر من اهتمم بقلعة حلب من العلويين والمهاشميين والوزراء ، والكتاب ، وجمهور من الأهالي ، فضلا عن فريق من القاطنة . وقد اتمتت القلعة على الروم على الرغم مما بذله نقفور في محاولة اقتحامها . وهكذا تبقي قلعة حلب بيد الحمدين ، لم تصل اليها يد الروم هذه المرة . وكان ذلك مما استاء له ابن أخت نقفور فوكاس ، الذي أصر على اقتحام القلعة . فكان في ذلك كمن سعى إلى حتفه بخلفه . اذ تناوله واحد من في القلعة بطعنة رمح أرته

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمدين ص ١٢٤ — ١٢٥
ومحمد كرد علي : خطط ١٩١/١ .

قتيلا لتوه . فحزن نقفور لمقتله ، وانتقم له بمقتل ألف ومائتي مسلم أسير أو أكثر على مرأى ومسمع من الحلبيين ، أمعانا في أربابهم والانتقام منهم^(١) .

وعلى الرغم من كل ذلك ، استعصت قلعة حلب على نقفور وجيوشه سنة ٨٣٥١ م (٩٦٢ هـ) مما جعل الوسالوس والمخاوف تتتابه ، خشية أن يتعرض بقواته لانتفاضة مباغطة من هنا أو هناك . فانسحب بعد أن أمر سكان حلب بالعودة إلى زراعة الأرض وفلاحتها ، قائلا لهم أن هذه البلاد صارت لنا (للروم) ، وأنه سيعود في العام المقبل ليحصد مازرعوه^(٢) . وفي ذلك يذكر ابن مسكويه^(٣) : أن « نقفور سار إلى بلد الروم (القسطنطينية) بما معه ، ولم يعرض لسواد حلب والقرى التي حولها ، وقال لأهلها : هذا البلد قد صار لنا فلا تقصروا في الممارسة ، فلنا بمد قليل نعود إليكم » .

وهكذا انتهت هذه الحملة البيزنطية الكبيرة على حلب بالانسحاب في نفس العام (٨٣٥١ م) ، جون أن يتمكن من تحقيق بها كان يعتبر هدفا رئيسيا لها ، وهو وضع حد نهجيات المسلمين المتوالية بقيادة سيف الدولة الحمداني . وضم هذه البلاد (بلاد الشام كلية) إلى دائرة السيطرة والنفوذ البيزنطي ، الذي اندحر عنها لثلاثة قرون كاملة^(٤) . وقد شاع خبر انسحاب نقفور والقوات البيزنطية الغازية ، وعلم بذلك سيف الدولة — وكان في قنشرين وقتذاك — فأسرع إلى عاصمة ملكة دافع العين ، حزين النفس ، مصدوع القلب ، لما آل إليه حال حلب الشهوان . وكان قد اعتاد دخولها دخول الظافرين ، مستقبلا بلزغاريد والأهاريج ، مشفعا أذنيه بأبيات من الشعر يقرضها لها المتنبى وغيره من شعراء العصر . لكنه هذه المرة لا يسمع إلا بكاء أو عويلا ينطلق من صدور أمهات وزوجات تكلى . ولا يرى إلا أصداء

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ١٩٣/٢ — ١٩٤ .

(٢) مسلم الكيالي : سيف الدولة ص ١١٧ — ١١٨ ومصطفى الشكعة : نفس المرجع ص ١٣٦ .

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ١٩٤/٢ (حوادث ٨٣٥١ هـ) .

(٤) مسلم الكيالي : سيف الدولة ص ١١٨ .

ومما يذكر أن الحرس نفسه — وهم بشر أيضا لهم احتياطات البشر العادية — اشتركوا في أعمال النهب • فيورد ابن مسكويه أن رجال الشرطة جلب ذهبوا « إلى منازل الناس وخانات التجار ينهبونها وقيل للناس الحقوا بمنازلكم فانها قد نهبت • فنزلوا عن السور وأخلوه ومضوا إلى منازلهم مبادرين ، ليدفعوا عنها » (١) •

لما رأى الروم أن الاضطرابات عمت حلب وأهلها ، اقتحم نفقور وجنوده أبواب المدينة ، ودخلوها ونفوسهم تقلى في مباحل للحقد والانتقام • فاعملوا القتل والنهب والتدمير في المدينة ستة أيام كاملة ، من يوم السبت إلى يوم الأحد ثلاث بقين من ذي القعدة ١٠٥١ هـ (٢) • وهكذا خضعت حلب للبطش البيزنطي • فرسعت النساء والأطفال إلى وعاء جند الروم في أرضها فسادا ، منتهكين الحرمات ، ووضعوا للسيف في الناس ، فقتلوا كل من لقيهم ولم يرغبوا إلا بعد أن كلوا ووضجوا • وكان في البلد من أسارى الروم ألف ومائتا رجل ، فقتلوا (مروا) من المسلمين) ، وحملوا السلاح على المسلمين • وكان سيف الدولة قد أعد من الروم سبعمائة رجل ليفادى بهم ، فأخضعهم للمستقر القائد البيزنطي (ونسبى من البلد ومن المسلمين والمسلمات ، بغصة بشرية ، صبى وصبية ، وأخذ من خزائن سيف الدولة ، وأمتعة التجار ما لا يحصى ولا يوصف كثرة (٣) •

وقد عهد الروم بقيادة نفقور فوكاس « إلى الحبابه ، لفتح جحيز فيها الزيت (أى يحفظ) فصب فيها الماء ، حتى غاص الزيت على وجهه الأرض ، وأحرق المساجد ، وأقام فيها (في حلب) تسعة أيام (٤) • « ثم قال نفقور : « هذا البلد قد صار لنا فلا تقصروا في الجمان قروا لنا معد قليل نعود اليكم (٥) • والحق ، أن نفقور استفاد كثيرا من الرومانيات

-
- (١) ابن مسكويه : المصدر السابق ج ٢ ص ١٩٢ (حوادث ٤٣٥١) •
 (٢) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١٢٢ وابن مسكويه المصدر نفسه ١٩٢/٢ — ١٩٣ •
 (٣) ابن مسكويه : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٢ •
 (٤) ابن مسكويه : المصدر السابق ١٩٢/٢ •
 (٥) ابن مسكويه : نفس المصدر ١٩٢/٢ •

الخصيصة التي لا يتفق وقانون الحروب الذي كان يلتزم به سيف الدولة (١) .

اتصل الحمدانيون - أبان المعركة التي دارت رحاها على أبواب حلب عام (٩٦٢ م) - بالخليفة العباسي المطيع لله (٣٣٤ - ٣٣٧ هـ) طالبين منه أن يمدهم منجدة ، لكيلا يقاسح للروم الفرصة في أن يعضوا في غزوتهم الكبرى . فماذا كانت النتيجة ؟ وماذا حدث ؟

يقول الذهبي - في كتابه تاريخ الاسلام - : « وذاع الخبر في بغداد ، فأغلق الناس الأسواق ، وذهبوا إلى باب الخلافة ، ومعهم كتاب يشرح مصيبة حلب وضجوا . . فخرج اليهم الحاجب ، وأوصل الكتاب إلى الخليفة فقرأه ، ثم خرج اليهم (الحاجب) وأهمهم ابن الخليفة بكى ، ونقل اليهم نص ما قاله : لقد غمى ما جرى ، وأنتم تعلمون أن سيفي مزمز الدولة ، وأنا أرسله في هذا : لكن أهبل المراقب - الذين تربطهم ببلاد الشام أواصر القرى والدم واللغة - لم يرضهم هذا الجواب . فضج الناس وطلبوا إلى الخليفة أن يخرج إلى الجبهات بذاته . وقالوا : لا نقنع إلا بفروجه ، وأن تكتب إلى صائري الأقاليم وتجمع أنجيوش ، وألا نأمنزل لثولي غيرك » (٢) .

وكان هذا يعتبر دليلا واضحا على مدى فداحة المصيبة ، التي توشك أن تصك - ليس فقط بالحمدانيين في حلب والشعر الثنائية - بل بالمسلمين جميعا . فلقد كانت هذه الكلمات - على إيجازها - بمثابة صرخة تخرج من قلب أمة متألمة تدري أية كارثة تصدق بالدولة الإسلامية وشعوبها ، إذا لم تتوحد الصفوف وتمسك بالنيات ، وتضمد مصدبة لهذه الأخطار الداهية . وتتكاثر لحمرها ودرقها . وما يشبه الليلية بالبارحة . ؟ أهمل متعظ ؟

لكن الخليفة ما كان يستطيع أن يفعل شيئا - وقد أصبح شبحا

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمداني ص ١٢٤ .

(٢) راجع ابن مسكويه : تجارب الأمم ص ٢٠١ . وقد روى ابن مسكويه ذلك بنص الذهبي . راجع أيضا : سلبى الكيال : سيف الدولة ص ١٢١ .

الخراب يرن في جنبات حلب ، وأصوات البوم ينق بين أطلالها ورسومها . بل أنه ليمسم بكاء المدينة التلكى نفسها ، وقد سادها حزن عميق دفين ، وذحول مخيف^(١) .

والواقع أن خسائر العرب في معركة حلب كانت فادحة : سواء في الرجال أو المال أو العتاد . فمن الرجال قتل الكثير من أعيان حلب وعلى رأسهم أبو طالب بن داود بن حمدان ، وابنه ، وداود بن علي ، وأبو محمد الفياض كاتب سيف الدولة ، وأبو طالب النوى ، وغيرهم آلاف من الرجال والنسوة والأطفال . وفي الخسائر المادية ، فقد نهبت المتاجر والمحوانيت عن آخرها ، وكانت تحوى بضائع بالمالين من الخناجر^(٢) . كما أخذت من خزائن سيف الدولة ، وأمتعة التجار ما يند عن العصر . هذا فضلا عن أضياد الجند البيزنطيين لمؤونة المدينة ، إذ كانوا يصبون الماء على الحبال التي يخزن فيها الزيت حتى فاض على وجهه الأرض ، وأهرقوا مسجد المدينة البهي الجميل الرائع ، وخرّبوا قصر الحلبة أجمل قصور حلب ، ونهبوا كل ما كان في حلب من خيل وسلاح وعتاد وميرة وديباج وحرير وأوان ذهبية قيمه ، بل أنهم نقلوا سقوف الدار انحمدانية معهم حيث كانت مذهب^(٣) .

ويوضح ابن العديم أن سبب هزيمة المسلمين في حلب راجع إلى عدم سماع أهلها أمر سيف الدولة^(٤) « بالتحصن خلف الأسوار كحين استرجاع جيشه الذي كان قد توغل به في بلاد الروم » . إذ قال لهم :

- (١) سألني الكيال : سيف الدولة ص ١١٩
- (٢) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٣٦ وابن الأثير : الكامل ٣٠٢/٧ وابن مسكويه : تجارب ١٩٢/٢ .
- (٣) يقدر ابن مسكويه الأموال التي وجدها تغلور في قصر الحلب بنحو ثلثمائة وتسعين بكرة ، ويستطرد ابن الأثير : بأن الروم استولوا على ألف وأربعمائة بقل وعلى كربات كبيرة من الأسلحة . ويضيف ابن ظافر أن الروم أخذوا ثلثمائة حمل من البز والديباج ، وخمسين حملا من أواني الذهب والفضة . وثمالمائة رأس من الخيل ومئة حمل من السلاح والمناطق والتجانيب والسيوف ونقل معه ستوناً . راجع ابن مسكويه ١٩٢/٢ وابن الأثير : ٣٠٢/٧ وابن ظافر ١٠١/١ ورقة ١٠ أ - ب .
- (٤) ابن العديم : زبدة الطب ١٣٣/١ ومسكويه ١٩٢/٢ - ١٩٣ وابن الأثير : ١٠٤/٨ .

« اغلقوا الأبواب واحفظوها وأمضى أنا وانظم جنودى وأعود إليكم ،
وإكون من ظاهر البلد وأنتم من بلطنه » ، فلا يكون دون الظفر بالروم
شيء » . فلما أبى الحلبيون ذلك قال لهم : « اثبتوا هاهنا معكم » (١) .

لقد انتقم الروم في هجوم (سنة ٣٥١ م) من العاصمة المتعبدية
العنيدة بتدميرها وإحراقها بعد استعمال وسائل القدر والخسة . وكان
من الممكن أن تغل البلد صامدة ، وتستعصى عليهم لولا حركة النهب ،
والسلب التي قام بها بعض اللصوص داخل المدينة . الأمر الذي شغل -
كما أوضحنا - المدافعين عن حماية السور ، لكي يحافظوا على
أعراضهم وأموالهم (٢) . ونعتقد أنه لو كانت هناك قيادة من أى نوع
داخل المدينة ، ولو أن الأهالي سمحوا لمسيف الدولة بجمع الجيش ،
وتحصنوا داخل أسوار المدينة لحين عودة سياف الدولة - بعد
تجميع قواته ، وإعادة تهيئتها من أرض الروم كما أشار عليهم - لمعاد
نقلها خائفاً محصوراً إلى بلده ، ولما أمكنه أن يحصل على مثل هذا
النصر الرخيص الخسيس الذي أحززه بالقدر والخسة (٣) .

آخر أيام سيف الدولة : (٢٥٤ - ٢٥٦ م) :

لم تذهب الهزيمة أمام الروم في حلب بثبات وعزم الأمير
الحمداني « سيف الدولة » ، بل أنه عاد إلى عاصمته في نفس الشهر ،
وقد وقف على أطلال المدينة (حلب) يساوره ويكتفه حزن عميق .
ولم يعمر فؤاده ، مع أصرار في النفس على الانتقام لرجاله ،
وللكرامة العربية الإسلامية ، وللأبرياء العزل الذي قتلهم الروم في
حروبهم بخسة ودناءة (٤) .

خرجت جيوش المسلمين من طرسوس واقتحمت بلاد الروم ،
وأوقفوا بجيوشهم وعادوا بنفائهم والفرة . ولما علم سيف الدولة
بما دب من خلاف بين الأسرة الامبراطورية والادارة البيزنطية على من

(١) ابن العديم : نفس المصدر ١/ ١٢٤ .

(٢) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمداني ص ١٣٧ .

(٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١٣٧ .

(٤) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١٣٧ .

يلقى العرش الامبراطوري البيزنطي . انتهر الفرصة ودخل بلادهم ، وأحرقها وسبى أكثر من ألفين ، كما غنم الكثير من المواشي (أكثر من مائة ألف رأس) . وظل يضرب بلادهم حتى وصل الى ملطية وكان ما غنمه وسباه يضيق عنه الحصر^(١) .

ومن ناحية أخرى انسحب نقفور فوكاس وجيشه من حلب في أوائل ذي الحجة سنة ٣٥١ هـ (الموافق ٣١ ديسمبر ٩٦٢ م) وقد عمل — أثناء انسحابه — على الانتقام من البلاد التي اتخذها المسلمون معارك قوية ومراكز حصينة لغزو بلاد الروم . وكانت المصيصة وطرسوس من أقوى هذه المعارك . وقد عرف أهلها بالصبر والجلاد والجهاد . وقد اعتمدتهم سيف الدولة في الكثير من غزواته وحروبه ، فكانوا سندهم المكين ودرعه الحصين^(٢) . ويرى أن الروم أسرت في شوال سنة ٣٥١ هـ أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان من منبج التي كان متغلدا أمرها ، كما فتحت حصن دلولك عنوة^(٣) .

أما سيف الدولة فقد سار مع غلامه نجا الى طرسوس سنة ٣٥٢ هـ ، على رأس بغايا قواته الحمدانية ، وانضموا لأهلها في معركة ضد الروم . لكن سيف الدولة رأى — بخبرته الحربية — أن يقسم الجيش الى فريقين . فرقة من الطرسوسيين تتجه الى طرسوس ، وأخرى بقيادة غلامه نجا الكاسكي من القوات الحمدانية تتوجه الى جهة أخرى ، ليشعب الجبهات على الروم فيشتت قواتهم . بينما تولى سيف الدولة مهمة حماية الحدود ، وظل جنوده يتمتعون بجنود الروم حتى أجلوهم عن البلاد الاسلامية . وما يذكره المؤرخون العرب أن القوات الطرسوسية والحمدانية وجهت في تعقبها للروم حتى مدينة قولية (أوقمونية)^(٤) .

فيذكر ابن مسكويه^(٥) أنه في هذه السنة (٣٥٢ هـ) ورد الخبر

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٢) سامي الكيالي : مرجع سابق ص ١١٩ .

(٣) ابن الوردي : تهذيب المختصر ١/٤٣٢ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ص ١٩٨/٢ .

(٥) ابن مسكويه : المصدر السابق ١٩٨/٢ — ١٩٩ .

بأن الطرسوسيين غزوا ودخلوا من درب من دروب الروم الى بلد الروم ، ودخل نجسا — غلام سيف الدولة — من درب آخر ، فنظم أهل طرسوس غنيمة يسيرة ، وأقام سيف الدولة على درب آخر ، ولم يدخل لانه عليلا من فالج لحقه قبل ذلك بصنتين (حول سنة ٣٥٠ هـ) • فلما خرج نجسا وانطرسوسيون عاد بسيف الدولة الى حلب وهو عليل ولحقته غشية ظن معها أنه تلف •

وقد أشاع هبة الله بن ناصر الدولة الحمداني ، خبر وفاة سيف الدولة خطأ • وكان يتملج وفاته أملا في أيلولة ملك الحمدانيين اليه بعد سيف الدولة ، اذ كان خصما ومنافسا له • وكان هبة الله هذا يحكم حران ، فاستبد بأهلها حتى شغبت عليه البلد وأهلها ، وضجوا من عسفه بهم ، فقاموا بثورة ضده ، ظنوا بعض المؤرخين — خطأ — أنها كانت ثورة على سيف الدولة • وحقيقة الامر أنها كانت ضد استبداد العمال ، لما أنزلوه بالرعية من عنت وارهاق (١) •

أرسل سيف الدولة غلامه نجسا الكاسكي سنة ٣٥٢ هـ الى منطقة حران ، لاضهاد الثورة التي اندلعت هناك ضد حاكمها هبة الله بن ناصر الدولة ، وانهاء تمرد هذا الحاكم على عمه سيف الدولة (٢) • لكن نجسا لم يكن أمينا في تنفيذ ما كلف به من مهام • اذ ترك مهمته وطلق يفرض الضرائب والأتاوات على أهل حران ، « حتى ظلمهم وأجحف بهم ، وصادرهم على ألف ألف (مليون) درهم ، ووكل بهم حتى أدواها في خمسة أيام بعد الضرب الوجيع (المولم) بحضرة عيالاتهم وأهلهم • فأخرجوا أمتعتهم وباعوا كل ما يساوي دينارا ، ودرهم • لان أهل البلد كلهم كانوا يبيعون ، ليس فيهم من يشتري لانهم مصادرون • فاشتري ذلك أصحاب نجسا بما أرادوا واقتروا أهل البلدة » (٣) •

(١) سامي الكيالي : سيف الدولة من ١١٩ — ١٢٠ •

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ص ١١٩ •

(٣) ابن الأثير : ج ٨ ص ١٨٠ •

وقد أورد ابن مسكويه تفصيلا لما أوقعه نجبا بأهل حران من عسف ، وما وقع هو فيه من انحراف عن القصد ، الذي جاء من أجله إلى حران ، وغروجه على ولى نعمته . حيث قال (١) : « ٥٥٠ » وسار نجبا إلى حران ، فلما قرب منها حرب هبة الله إلى أبيه (ناصر الدولة) ، وأسلم (سنم) أهل حران ، فتحرك نجبا خارج حران ، وخرج إليه وجوه أهلها واشترافها وهم سبعون شيخا ليسلوا عليه . فوكل بهم وتهددهم ٥٥٠ ، وطالبهم عن البلد بألف ألف درهم أرش (مساوئ) ما عمنوه من غلق الأبواب في وجه أخيه « نما » ولم يسمح لهم غفرا . وجرت لهم معه خطوب ، إلى أن قنع منهم بثلاثمائة ألف درهم وعشرين ألف درهم ، ووجه معهم بالفرسان والرجالة ، والزهم الأجمال (الالتزامات) الثقيلة ، ورسم (أمر) أن يستفرج له المال في يوم واحد ، وبعد الجهد إلى أن يكون المدة خمسة أيام . وقسط المال على أهل البلد ، وأدخل فيه الملى والذمى والسوقة والنساء . الأراذل وغيرهم ، ووضع عليهم المعنى والشرب في دورهم بحضرة حرهم وعيالهم . فأخرجوا أمتعتهم ، وباعوا ما يساوى دينارا بدرهم ، ولم يجدوا من يشتري ، لأن أهل البلد كلهم كانوا يبيعون . فاشتري أصحاب نجا الامنة والمولى بحكمهم وبما أرادوا ولزم (أصاب) أهل البلد من الأجمال ، أمر عظيم ، وضرب بذلك البلد ، واقتتر أهله ، وانصرف عنهم نجا إلى ميافارقين بعد أن استوفى جميع المال ، وترك البلد شاعرا ، فتسلط عليه الميعارون . وأظهر نجا لخلاف على مولاة سيف الدولة ، والخروج على طاعته ، ولم يزرع في هذه المسنة أحد بديار مضر كبير شيء للجور الذي كانوا فيه . »

وهكذا نجد أن من وثق فيه سيف الدولة ، وأوكل إليه مهمة اقرار الأمور وتحدثها في حران ، يقترب ما هو أشنع من الظلم . ذلك أنه « لما اجتمعت عنده (نجبا) هذه الأموال قوى بها ويطر ، ولم يشكر ولى نعمته ، بل كفره ، وسار إلى ميافارقين ، وقصد بلاد

(١) ابن مسكويه : تجارب الامم ج ٢ ص ٢٠٠ . (في الأصل ٢٦١) .

أرمينية . وكان قد استولى عليها — كثير منها — رجل من العرب ، يعرف بأبى الورد ، فقتله (نجا) فقتل أبو الورد ، وأخذ نجا قلاع وبلاد (خلاط ، وملازركد ، وموش) وحصل له من أموال أبى الورد شيء كثير فأظهر العصيان على سيف الدولة (١) .

والحق أن وقع ثورة هبة الله بن ناصر الدولة الحمداني ، على عمه سيف الدولة ، وتمرد نجا الكاسكى على طاعته ، كان شديدا على نفس سيف الدولة . ذلك أنه لم يكن يتصور أن يصل الأمر إلى هذه الدرجة من الجور والظلم . وقد بلغ من تأثير سيف الدولة أنه كان كلما تذكر هذا الموقف طفر الدمع من عينيه . خاصة وأنه أصبح أمام خصم عديد يسمى إلى قهره وقهر المسلمين في عقر دارهم وهو العدو البيزنطي ، بينما بعض رجاله ومن كان يعتقد في شدة إخلاصهم له ، ينتفضون عليه بقيادة نجا ، فضلا عن طمعه نجله أغمداه هبة الله ابن ناصر الدولة في سحر سيف الدولة بتمرده عليه . وإذا أضفنا إلى هذا الأمر كله أن المرض بدأ يهاجم سيف الدولة ، وأصبح بذلك لا يقوى على المظالم والصدود ، أدركنا إلى أي مدى كان وضع سيف الدولة وموقفه حرجا . لكنه مع ذلك لم يستسلم لكل هذه المؤامرات وصمم على معاقبة غلامه نجا . كان هذا هو الوضع في داخل الجبهة الإسلامية المتحملة لمسئولية المواجهة مع الروم ، ونعني بها جبهة الحمدانيين .

ومن ناحية أخرى فإن الوضع داخل الجبهة البيزنطية لم يكن أحسن حالا عما كان عليه الأمر بين عناصر الحمدانيين . ذلك أن الإمبراطور رومانوس الثاني مات سنة ٩٦٣ م (٣٥٢ هـ) تاركا زوجة شابة هي ثيوفانو Theophana وولدين ، أولهما باسيل (وكان عمره لا يزيد على سبعة أعوام ، وثانيهما قسطنطين وكان لا يزال في الثانية من عمره) . فأعلن نقفور فوكاس نفسه وصيا على هذين الطفلين ، ثم لم يمض كثير وقت ، حتى تزوج من أمهما

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٨٠ وابن مسكويه : تجارب الأمم ص ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢١١ ومصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٥٠-١٥١ .

تيوفانيو الجميلة • وبذلك أصبحت السلطة الفعلية في يده^(١) • وقد اعتم نقفور بالجيش ، حيث كرس كل موارد الدولة الامبراطورية لتدعيمه • بل أنه اشتط في هذا السبيل ، حيث أفرط في فرض الضرائب الباهظة ، مما جلب عليه غضب الشعب بعد أن كان موضع إعجابه وتقديره^(٢) • لكن كل ذلك لم يعره التفاتا ، لأنه كان يركز على تحقيق الهدف الرسخي عنده وتحطيم قوة الدولة الحمدانية ، ومد حدود امبراطورية الروم الى سورية والجزيرة ، وفتح بيت المقدس • وهو ما اتضح جليا حينما فتح طرسوس ، ووقف على منبرها وخطب قائلا « ان هذه البلدة هي التي كانت تعوقه عن الوصول الى بيت المقدس »^(٣) •

لقد كان ممكنا ان يأخذ نقفور فوكاس بيت المقدس ، لولا قوة سيف الدولة ويقظته الثامة ، وقيادته القوية لجيوشه ومصابرته في القتال • الا أن نقفور كان — مع ذلك — طاغيا جبارا ، يصفه المؤرخون فيقولون أنه كان ضخيم الجثة عملاقا لدرجة أن البعض كانوا يشبهونه بهرقل • وكان يزاول الاعمال العنيفة ويهوى الصيد والقنص ، ولا يصرف وقته الا في خوض غمار حرب أو الاستعداد لآخرى^(٤) •

على أي حال ، فقد هزل سيف الدولة سنة ٣٥٣ هـ ، الى ميافارقين ، ففر منها غلامه الجمود المتبرد نج الكاسكي ، فملك سيف الدولة بلاده وقلاعه ، التي أخذها عن أبي الورد ، واستأمن اليه (الى سيف الدولة) جماعة من أصحاب نجا فقتلهم (سيف الدولة)^(٥) وكان سيف الدولة أراد أن يجمع هذه الثروة بهذه الشدة لتكون

(١) ابن العديم : زبدة الطلب ١٤٤/١ والأنتاكي : تاريخ يحيى بن سعيد الأنتاكي ص ١١٩ — ١٢٠ ، بميل السامر : الدولة الحمدانية ص ١٨٦ — ١٨٧ و

Finlay : Hist. of Byz. Empire, P. 302.
Finlay : Ibid., p. 306.

(٢)

(٣) ابن العديم : زبدة الطلب ١٤٣/١ وبينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٦٢ •

(٤) وبسطنى الشكعة : سيف الدولة ص ١١١ — ١١٢ •
Schümbarger : Nicephore Phocas, P. 309 . 311.

(٥) ابن مسكويه : تجارب ص ٢٠١ — ٢٠٢ •

وأصحابها عبدة وعظماة لمن تحدته نفسه بمثل ذلك مستقبلا . ولمل
هذا إما دفع نما أخو نجا أن يستأمن سيف الدولة ، الذى أمنه وأكرمه
وأحسن إليه (١) .

لكن سيف الدولة رأى — بعد ذلك — أن يتجه الى أسلوب
الملاينة والكياسة ، فى معالجة الموضوع مع نجا . فأخذ يرأسله
ويرغبه ويرهبه ، حتى عاد نجا تائبا نادما . فأكرمه سيف الدولة ،
وأعاده الى سابق مكانته (٢) . وقد استمر نجا فى خدمة سيده حتى
قتل . فهل قتل نجا بتدبير سيف الدولة ؟ أن هذا الحدس نستبعده
لأنه يتعارض مع خلق سيف الدولة وما جبل عليه من سجايا
وصفات حميدة .

على أنه ربما يكون لزوجة سيف الدولة — وقد عز عليها ما وقع
لزوجها بسبب نجا وهبة الله بن أخى سيف الدولة — يد فى مقتل
نجا . فلا يبعد أن تكون هى التى حرّضت الغلمان على قتله . خاصة
وأنها كانت دائما تتذكر اغارته على ميافارقين ، بعد أن عاش فى حران
وديار مصر . وكانت زوجة الأمير وقتذاك هناك فأمرت بصدده بكل
الوسائل الممكنة . لكن يحيى بن سعيد الأنطاكي يورد رواية أخرى نصها (٣)
« وسار سيف الدولة الى ميافارقين ، وأرسل الى نجا يأمره بالمسير
اليه ، وأمنه على نفسه وماله . وسار نجا إليه فصطح عنه ، وأقام
عنده ، وشرب بين يديه . فلما سكت شتم الغلمان وغلط عليهم فى
القول فاختلطوا عليه ، وكانت حرمه « زوجة » سيف الدولة أشد
غيظا لحصاره لها ، وشتمه إباحا ، فصاح سيف الدولة على نجا
وأمر أن يقام من بين يديه ، فرتب الغلمان عليه ، فقتلوه » .

ومما يروى أيضا أن نجا أغلظ فى القول لسيف الدولة ،
فأهاج هذا غلاما آخر لسيف الدولة اسمه نجاسح ، فضره (ضرب
نجا) بسيف على رأسه فقتله . وقد فزع لذلك سيف الدولة فزعا

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ص ٢٠٢ .

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٣) الأنطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٩٢ .

شديدا ، حتى أغشى عليه فلمرت زوجة سيف الدولة أن يجر نجا من
رجله ، إلى أن أخرج من القصر ، وطرح في مجرى ماء تصب فيه
المقادورات والمياه ، وبقي كذلك ، حتى عصر اليوم التالي ، حيث أخرج
نجا ودفن وكان ذلك فيما يروى سنة ٣٥٤هـ (١) .

على أن اهتمام سيف الدولة بالمواجهة مع الروم لم يفت ، بل
ولم يصرفه عن ذلك ما واجهه من أحداث داخلية . هذا في الوقت
الذي كان تقفون يكرر محاولاته لاخذ المصيصة منذ سنة ٣٥٣هـ جامعا
لذلك جيشا لجبا . ومع ذلك عجز عن فتح هذه المدينة الثغرية الحصينة
على الرغم من « نقيب نيفا وستين نقبا في سورها » . اذ انصرف
عنها عاجزا عن فتحها « لما ضاقت به الميوغلا السعر وبعد أن أقام
في بلاد الاسلام خمسة عشر يوما » (٢) . وقيل أن ينصرف تقفور
— عاجزا — عن المصيصة ، خاطب أهلها ملوحا لهم بالقوة والتهديد ،
ويأني « منصرف عنكم ، لا لمجز عنكم وعن فتح مدينتكم ، ولكن
لضيق الطوفة ، وأنا عائد اليكم بعد هذا الوقت فمن أراد منكم
الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعي ، فلينقل ومن وجدته بعد عودتي
قتله » (٣) . ولم ينس تقفور عند انسحابه أن يحرق ويخرب ضواحي
انصيصنة — كمادته الاجرامية دائما — كما قتل كثيرا من سكانها النزل
الابرياء (٤) . كما حمل معه — حسبما يروى فنلاي
والمؤرخون المسلمون (٥) — صليبيا كبيرا كان المسلمون قد أخذوه في
حروبهم السابقة ، حيث وضعه في كنيسة أجيا صوفيا بالقسطنطينية
وحمل أيضا أبواب طرسوس والمصيصة وأذنه ذات الصنعة الدقيقة
حيث وضعها في كاتدرائية شيدها (٦) .

(١) ابن مسكويه : تجارب من ٢٠٩ ومصطفى الشكعة : سيف
الذولة ص ١٥٠ .

(٢) ابن مسكويه : المصدر السابق ص ٢٠٢ .

(٣) ابن مسكويه : نفس المصدر ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٤) ابن شداد : الاملاقي الخطيرة (مخطوط) ١/١٩٤ .

(٥) الانطاكي : تاريخ الانطاكي ص ١٢٢ و

Finlay : Hist. Byz. Emp. P. 307.

(٦) الانطاكي : المصدر السابق ص ١٢٢ وبصل المسار : الدولة

الصدائنية ج ٢ ص ١٨٧ .

وكان سيف الدولة في وقت نزول نقفور على المصيصة سنة ٣٥٣ هـ قد أرسل خمسة آلاف متطوع خراساني لمساعدة أهل البلد على مقاومة الغزو البيزنطي وجره ، وكان هؤلاء الخراسانيون قد جاءوا إلى سيف الدولة خلال اشتعال المعارك على الحدود^(١) . ولعل ذلك كان مما دعم قوة أهل المصيصة وساعدتهم على الثبات والمقاومة ، واستعصموا بمدينتهم على الغازي نقفور وقواته ، فانسحبوا بعد تدمير الرساتق والقرى الواقعة على الحدود . وهو عمل خسيس لا يقوم به إلا منحدر جبان . عجز عن المواجهة الشجاعة ، وعن مقارعة السيف للسيف فانتقم من قرى آمنة عزلاء وأناس آمنون .

لما انسحب نقفور بقواته خائباً ، اعتقد الخراسانيون أن المواجهة قد انتهت مع الروم ، وبذلك تنتهي مهمتهم . فانسحبوا ، ولم يتقربوا نقفور وقواته قتلاً وتكتيلاً واخفاً ، كما فعل هو بالمدنيين الآمنين . والحق أن ذلك كان تقديراً خاطئاً ، وتضرراً غير سليم . ولا ندري كيف تركهم سيف الدولة يفعلون ذلك ؟ . اللهم إلا إذا كان ما أورده ابن مسكويه ، كان هو الدافع وراء انسحابهم : « وهو شدة الغلاء في الثغور وحلب » مما دفعهم إلى « رجوع أكثرهم لبغداد ، ثم خراسان »^(٢) . ونما يؤكد هذه الرواية ، ما قاله نقفور لأهل المصيصة : « من أن سبب عودته وتركهم هو نقص العلوفة ، وندرتها ، وبالتالي ارتفاع أسعارها »^(٣) .

ويذكر ابن مسكويه في حوادث سنة ٣٥٣ هـ^(٤) . « أن الغلاء اشتد بانطاكية وجميع الثغور ، حتى لم يقدر أحد على الخبز ، وأكل الناس الرطبة والحشيش ، وانتقل قوم من الثغور إلى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف إنسان هرباً من الغلاء ، فان دمشق (القائد البيزنطي) قد جمع الجميع للخروج إلى بلاد الإسلام ، وأن السلطان (سيف الدولة) بصرام مقيم بعد الذي جرى

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ص ٢٠٢ (حوادث ٣٥٣ هـ) .

(٢) ابن مسكويه : المصدر نفسه ص ٢٠٢ (حوادث ٣٥٣ هـ) .

(٣) ابن شداد : الأملق الخطيرة : ١ / ورقة ١٩٤ / ١ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٠٢ .

على أهلها من نجبا على ظلمهم وطرح الأمتعة عليهم ، والجور في معاملتهم وأن الفلاء بها وبالرقة شديد جدا » .

لكن نقفور رأى أن مصلحة دولته تقتضى القيام بعملية تهديد للجيبة الإسلامية وتهدة للموقف مع الحمدانيين ، ربما لتساعب داخلية كان يعاني منها ، فضلا عن انشغاله الى حد ما بتثبيت النفوذ البيزنطى فى جزيرة كريت (اقريطس) التى استطاع الروم الاستيلاء عليها من المسلمين منذ سنة ٣٤٩/٣٥٠ هـ . ولذلك عمد الى سياسة المهادنة والملاينة مع سيف الدولة الحمدانى حيث « هادى » سيف الدولة بهدايا ، قصار (ذلك) سببا لمقام (الحمسق) نقفور فى بلاد الاسلام ثلاثة أشهر لا يتنازعه أحد ، ولا يمكنه فتح المصيصة ، وانصرف عنها لان البلاد لم يحصله ، ووقع فى أصحابه الوباء فاضطر الى الانصراف^(١) . وقد قبل سيف الدولة ما أهداه إليه نقفور ورد عليه بهدايا أخرى^(٢) .

ويرجح أن سيف الدولة اتخذ من قبول الهدايا من نقفور والرد عليه بإهدائه هدايا أخرى ، سببا ووسيلة لاطلاق وقءاء لمسرى المسلمين لدى الروم ، وهو أمر هام بالنسبة لسيف الدولة ، اذ كلن يحاول تجميع قواته المبعثرة ، والعمل على إعادة تنظيمها ، ليتمكن بالتالى من التمدد للبيزنطيين فيحفظ بذلك دولته من التلاشى والانتهيار بعد الجهاد الطويل الذى تحمله .

ويبدو أن ما دار بفكر سيف الدولة لم يكن بعيدا عن تقدير نقفور ولذلك انتقل من المصيصة الى قيسارية فاقام سنة يتلمس أنباء الثغور الإسلامية^(٣) . حتى اذا أيقن من ضعفها . وعدم قدرتها على

(١) ابن مسكويه : المصدر نفسه ص ٢٠٤ ، ٢٠٨ .

(٢) ابن مسكويه : المصدر نفسه ص ٢٠٨ . ويصل الإسلمر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٨٧ .

(٣) سلى الكيلى : سيف الدولة ص ١٢٢ . وابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢١٠ .

الضمود والدفاع ، قام — نقفور — بحملته الكبيرة للقضاء على دولة
الحمندانين التي شغلت الزوم نحو عشرين عاما كاملة (١) .

وفي ذلك يذكر صاحب كتاب نجارب الامم . . . ورد الخبر
أن نقفور ملك الروم بنى بقيسارية مدينة ، وهي تقرب من بلاد
الاسلام ، فقام بها ، ونقل اليها عياله ، ليقرّب عليه ما يريد من بلاد
الاسلام ، وأن أهل المصيصة وطرسوس أنفقوا اليه رسولا يسألونه
أن يقبل منهم ائتوة يؤدونها اليه ، على أن ينفذ اليهم صاحبها له
ليقيم فيهم ، فعمل على أجابتهم الى ذلك . فورد عليه الخبر بأن أهل
هذه البلدان قد ضعفوا جدا ، وأنه لا ناصر لهم . ولا دافع له عنها ،
وأنه لم تقو قواته . وأنه آل الأمر بأهل طرسوس أني أكل الكلاب
والحيطة ، وأنه يخرج منها في كل يوم ثلثمائة جنازة . فانصرف رأيه
عما كان عمل عليه ، وأحضر رسولهم وضرب له مثالا ، وقال :
مثلكم مثل الحية في الشتاء اذا لحقها البرد ذبلت وضعفت حتى يقدر
من رآها أنها قد ماتت ، فان أخذها وأحسن اليها ، وأدفاها ،
انتشيت ولدغته . وأنتم انما بغمتم (أي خضعتم) بالطاعة لما
خضعتم ، وان تركتم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم » وأخذ
الكتاب الذي أروده فأحرقه على رأسه فاحترقت لحيته ، وقال :
« امض اليهم وعرفهم أنه ليس عندي الا السيف » . فانصرف
(الرسول) . وجمع الملك (نقفور) جيوشه وعمل على أن ينفذ
جيشا الى الشام ، وجيشا الى الثغور وجيشا إلى ميافارقين . وكان
سيف الدولة بميافارقين قد تخلص البطارقة الذين في يد نصبا
وكان بميافارقين نحو ألف كر حنطة فمزقها (سيف الدولة) وفرقها
ثلثا تأخذها الروم (٢) .

انقض نقفور فوكلس بقواته البيزنطية على المصيصة ، ففتحها
بالسيف عنوة يوم السبت الثالث عشر من رجب سنة ٣٥٤ هـ بعد أن

(١) سلمى الكيلى : المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الامم ص ٢١٠ — ٢١١ (حوادث ٣٥٤ هـ)
والعيني : الدولة البيزنطية ص ٤١٥ — ٤١٦ .

قتل من أهلها عددا عظيما^(١) ، ونقل كل من بها الى بلاد الروم ، وكانوا نحو مائتي ألف نسمة^(٢) . ويضيف الذهبي^(٣) : أن جماعة من أهل المصيصة رجعوا اليها وتنصروا . وقد أرجع الذهبي السبب في تمكن نفقور من المصيصة ، الى قيام أهلها « بهدم سورها بالنقوب » ، وأن رجلا أشار عليهم أن يخرجوا الاسارى لمعط عليهم نفقور فأخرجوهم . فعرفه الاسارى بعدم الاقوات وأطمعوه في فتحها ، فزحف عليها .

على أن الثابت أن أهل المصيصة قاتلوا الروم في الشوارع ، من شارع الى شارع ، حتى قتلوا من الروم عددا يذكره الذهبي بأربعة آلاف . غير أن تكاثر الروم على أهل البلد هزمهم ، ومكثهم منهم فمقتلوهم . وأخذوا من أعيانهم مائة ضربوا أعناقهم بازاء طرسوس وكان ذلك مما دفع الطرسوسيين الى اخراج من عندهم من الاسرى البيزنطيين (ثلاثة آلاف رومي) وقتلوهم عن آخرهم ، انتقلنا لما فعله نفقور وجيشه بأهل المصيصة^(٤) .

بعد أن انتهى نفقور من أمر المصيصة ، توجه الى طرسوس ، التي أذن أهلها له ، بعد أن أيقنوا بعدم جدوى المقاومة فسلم ابن الزيات (عامل سيف الدولة على طرسوس) ومولاه رشيق النسيمي طرسوس صلحا^(٥) . ودخل نفقور المدينة مشترطا على أهلها شروطا أهمها :^(٦)

أولا : أن يخرج الطرسوسيون عن البلد .

ثانيا : أن يحملوا معهم ما يمكنهم حمله .

(١) ابن الوردي : تبة ٤٣٣/١ .

(٢) ابن شداد : الاعلاق للخطبة ورقة ١/٩٤ - ٩٤/ب (مخطوط)

وابن الوردي : تبة ٤٣٣/١ .

(٣) الذهبي : تاريخ دول الاسلام، ١/١٧١ (حوادث ٨٣٥٤هـ) .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الامم ج ٢ ص ٢١٢ (حوادث ٨٣٥٤هـ) .

(٥) الذهبي : تاريخ دول الاسلام ج ١ ص ١٧٢ .

(٦) ابن مسكويه : المصدر السابق ٢/٢١١ .

ثالثا : أن تصبح كل الدور بيد الروم .

رابعا : أن من أراد المقام في طرسوس فليتنصر .

خامسا : أن من أراد المقام في طرسوس على دين الاسلام

فعلية جزية .

ويذكر ياقوت الحموي^(١) أن « خلقا كثيرا تنصروا ، وبقى نفر يسير على الجزية ، بينما خرج أكثر الناس قاصدين بلاد الاسلام وملك نقفور البلد ، وحرق المصاحف وخرّب المساجد ، وأخذ من خزائن السلاح ما لم يسمح بمثله مما كان قد جمع من أيام بني أمية الى هذه الغاية » .

ويروي ابن الوردي^(٢) أن نقفور « أمن أهل طرسوس سنة ٣٥٤ هـ ، وكان فيها أريمون ألف فارس ، طلع نقفور على منبر طرسوس ، فقال ابن حوله : أين أنا فقالوا : أيها الملك على منبر طرسوس ، فقال : لا . ولكنى على منبر بيت المقدس ، وهذه — أى طرسوس — كانت تمنحك من ذلك ، وجمع مصاحف الجامع ، وكان ألف مصحف في الحرم وطين عليها ، والله أعلم . وسار أهلها عنها في البر والبحر ، وجيز مهم من يحميهم الى أنطاكية . ولقيهم أهل انطاكية بالبكاء والنحيب وكان في أول طرسوس رجل منهم يقرأ (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) . وجعل (نقفور) جامع طرسوس اصطبلًا ، وأحرق المنبر ، وحصن طرسوس وتراجع بعض أهلها وتنصر بعضهم ، ثم عاد اللعين الى القسطنطينية » .

كما أورد الذهبي — في تاريخه^(٣) . عرضا وافيا لما حدث لمدينة طرسوس وأهلها سنة ٣٥٤ هـ على أيدي الروم وبسببهم ، حيث

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان (مادة طرسوس) .

(٢) ابن الوردي : تلمة الخضر ج ١ ص ٤٣٣ — ٤٣٤ .

(٣) الذهبي : تاريخ دول الاسلام ورقة ١/٩ وابن مسكويه :

تجارب ٢١٢/٢ حاشية ١ .

قال : « في هذه السنة (٣٥٤ هـ) أتستد الحصار على مدينة طرسوس وتكاثرت عليهم جموع الروم ، وضعت عزائمهم بأخذ المصيص ، وبما هم فيه من القلة والنفلاء . ولكن سيف الدولة لم يستطع أن ينجدهم ، فانقطعت عنهم المواد ، وطال الحصار فراسلوا نقفور ملك الروم ، في أن يسلموا اليه البلد ، بالأمان على أنفسهم وأموالهم ، واستوثقوا منه بأيمان وشرائط . ودخل طائفة من وكلاء الروم ، فاشتروا منهم من اليز الفلخر والاونى المخروطة واشتروا من الروم دواب كثيرة تحملهم ، لأنه لم يبق عندهم دابة الا أكلوها ، وخرجوا بحريمهم وسلاحهم وأموالهم . ثم دخل الروم مدينة طرسوس فأحرقوا المنبر ، وجعلوا المسجد اصطبلًا . »

لقد نزع الطرسوسيون عن مدينتهم سنة ٣٥٤ هـ ، بقلوب كبيرة واثقة حزينة ملتعة ، ونفوس جزعة ، وعيون دامعة . وظلوا سائرين حتى بلغوا انطاكية فلما علم بذلك أهل انطاكية . « وجفوا وطمعوا ، فطردوا عامل سيف الدولة عليهم من بلدهم انطاكية ، واتصلوا بنقفور على أن يؤدوا اليه أربعمائة ألف درهم عدا ثلاثين درهما كجزية عن كل شخص سنويا . وكان سيف الدولة في مياليتين يرقب الموقف وقلبه يمتصر الما وخرنا^(١) . »

ومما لا شك فيه أن الخيانات الداخلية كانت من أهم العوامل التي مكنت للروم من رقاب المسلمين ، وجعلتهم يتفوقون على الحمدانيين . وكان من أهم هذه الاحداث تفاضل ابن الزيات عامل سيف الدولة على طرسوس ، ومولاه رشيق النسيمي ، عن الصمود أمام الروم . وقد سار رشيق النسيمي الى جهة حلب وقا تل قرعوية (عامل سيف الدولة) فراسل سيف الدولة قوة مع خادمه وغلما بهشارة ، فقاتلا — بشارة وقرعوية — رشيق النسيمي ، فقتل رشيق وفر أصحابه الى انطاكية . فلما عاد سيف الدولة اجتمع على جريه ابن الأهوازي وجزير الديلمي ، الذي قام محل رشيق النسيمي ، في

(١) ابن مسكويه : تجارب الامم ٢/٢١٣ حاشية ١ .

طرسوس ، فقتل كلا من ابن الأهواز ودزير كما قتل من ولايتها
وقضائهما وشيوخهما خلقا^(١) .

هذا فضلا عن مرض سيف الدولة ، الذى أقعده ومنعه من صد
غارات العدو ، لدرجة أنه طلب الهدنة من نقفور سنة ٣٥٤ هـ
(٩٦٥ م)^(٢) ، وهوما لم يفعله قبل ذلك .

كان سيف الدولة قد سار — قبيل دخول الروم الى طرسوس —
الى أرزن وأرمينية وحاصر بدليس ، وخلاط ، التى كان بها أخو نجا
الكاسكى ، واسمه « نما » — كان قد تمرد الاثنان على سيف الدولة —
فتملك سيف الدولة ورد الى ميافارقين^(٣) .

هكذا تسببت الاضطرابات والمتاعب التى واجهت سيف الدولة ،
منذ سنة ٣٥٤ هـ وحتى وفاته يوم الجمعة لخمس بقين من شهر
صفر سنة ٣٥٦ هـ ، فى اعاقته عن التصدى بغاغية وقوة للروم .
وكان من أهم هذه المتاعب : ثورة مروان القرمطى فى السواحل ،
وتمرد الانطاكيين بتهريض من رشيق النسيمي — الذى كان قد سلم
وابن الزيات مدينة طرسوس للروم — ، واتضمام بعض الديالة اليه
فى ثورته ، وسيرهم جميعا لاختطاف من يد عاملها الحمداني المسمى
قرعوية (غلام سيف للدولة) الذى دافع دفاعا مجيدا^(٤) . لكن
سيف الدولة انتفض عليهم — رغم مرضه — فأعطاهم درسا قاسيا
واستتقذ منهم حلب وشواحيها .

هكذا كانت هذه هى الظروف التى حملت سيف الدولة ٣٥٥ هـ
(٩٦٦ م) ، الى قبول مصالحة الروم . فأرسل الى نقفور ملك
(امبراطور) الروم يعرض عليه المهادنة ، ليتمكن الطرفان من تبادل

(١) ابن الوردي : تبة المختصر ج ١ ص ٢٤٤ .

(٢) ابن تذكاء : الاملاق الخطيرة ورقة ١/١٤ وب ويصل السامر :
الدولة الحمدانية ج ٢ ص ٢١٢ و ٢١٣ حاشية ١ .

(٣) ابن مسكويه : تجارب الامم ٢/٢١٢ حاشية ١ نقلا عن الذهبى :
تاريخ دول الاسلام .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الامم ٢/٢١٣ — ٢١٤ .

الأسرى • وقد وافق نقفور فوكاس على الهدنة • فأطلق سيف الدولة من كان عنده من بطارقة (قواد) الروم الذين كانوا أسرى لديه كما أطلق نقفور رجال سيف الدولة ، الذين كان منهم أبو فراس الحمداني ، ومحمد بن ناصر الدولة ، وغيرهما من رجال سيف الدولة وغلمانه • كما اشترى حرية ألفى أسير جمائة وستين ألف دينار ، بواقع ثمانين ديناراً عن كل أسير^(١) • ولما نفذ ماله اشترى الباقين بأن رهن بدنته (درعه) والجواهر المضمومة المثلث ، ثم عاد إلى عاصمة ملكه ومعه من أطلقهم من رجاله وغلمانه^(٢) •

وقد أورد ابن الوردي وصفا لعملية الفداء هذه ، ضمن حديثه عن حوادث سنة ٣٥٥ هـ حيث قال^(٣) ، « ٥٠٠ وفيها (أي سنة ٣٥٥ هـ) وصلت الروم إلى آمد وحاصروها ، ثم انصرفوا وقاربوا نصيبين ، ثم ساروا ونزلوا أنطاكية طويلاً ثم رحلوا إلى طرطوس ، وفيها وقع بين سيف الدولة وبين الروم الفداء ، فخلص أبو فراس ابن عمه وغلماؤه روطاس وجماعة من أكابر الطليبين والحمصيين ، ولما لم يبق معه من أسرى الروم أحد ، اشترى الباقين كل نفس بأثنين وسبعين ديناراً ، حتى نفذ ما معه من المال • فاشترى الباقين ، ورهن عليهم بدنته الجوهر المضمومة المثلث ، ثم لما لم يبق أحد من أسرى المسلمين ، كاتب نقفور ملك الروم ، وهذه مجاسن سيف الدولة »

وكان مما أنفقته سيف الدولة في عملية الفداء في هذه السنة (٣٥٥ هـ) نيفاً وعشرين ألف ألف درهم ومائتين وستين ألف دينار • وقد كان هذا الفداء في شهر رجب من عام ٣٥٥ هـ حيث بلغ جملة من فداهم سيف الدولة ثلاث آلاف ومائتين وسبعون نفساً ما بين أمير وزاهد^(٤) •

(١) الانطاكية : تاريخ يحيى بن سعيد ص ١٢٦ •

(٢) الذهبي : تاريخ دول الاسلام ١٧٢/١ وابن مسكويه : تجارب الامم ٣١٢/٢ ، ص ٢٢ •

(٣) ابن الوردي : تنبيه المخضر ٤٣٥/١ - ٤٣٦ •

(٤) ابن الوردي : المصنف النسب ٤٣٦/١ حاشية ١ ، وراجع الذهبي : تاريخ دول الاسلام ج ١ ص ١٧٢ •

فإننا أضفنا ، الى الاضطرابات التي وقعت في كل من انطاكية وحلب ، أن الروم أحاطوا علما ، بأحوال القوى الاسلامية الأخرى آنذاك ، وما كانت تعانيه من مشاكل ، في بلدان العالم الاسلامي شرقا وغربا أدركنا لماذا تفوق الروم على المسلمين في هذا الوقت (منتصف القرن الرابع) .

نعم ، لقد كان عالم الاسلام وقتذاك (٣٤٩ - ٣٥٥ هـ) يشهد حالة تشرخم وبعمرة لقواء ، التي حسارت كل منها تعمل لخدمة مصالحها الاقليمية فقط ، بصرف النظر عن ما يحدث تصرفها ذلك من اضرار بمصلحة العالم الاسلامي ككل . الامر الذي كان من أهم نتائجه ضياع كريت (اقريطش) من يد المسلمين سنة ٣٥٠ هـ (١) ، وسيطرة الروم عليها ، وعلى بعض الثغور الشامية أمثال الحصيصة وطرشوس وانطاكية .

وقد عاود نقفور - امبراطور الروم - الهجزم آخر ٣٥٥ هـ ، على مناطق الثغور الاسلامية ، بهدف دخول حلب . وذلك لأن الروم اعتبروا هذه المدينة المعبر ، الذي يمر من عليه الى بلاد الاسلام . لكن سيف الدولة تصدى لهم ودافع عن لؤلؤته الغالية دفاع الأبطال ، فظلت القوات البيزنطية تعيث وتفسد لمدة خمسين يوما في الضواحي المحيطة بحلب ، دون أن يتمكنهم تحطيم تلك الصخرة « حلب الشهباء » (٢) .

غير أن سيم الأحداث كلن يوحى آنذاك بانكدار نجم سيف الدولة لأن المرض « الح علية ، وظل ينخر في جسده ، الى أن اخترمت النية حياته في يوم الجمعة لخمس بقين من صفر ٣٥٦ ، ونقل تابوته الى ميافارقين ، وكان المرض الذي مات به سيف الدولة هو « عسر البول والفالج » (٣) .

(١) صابر ديب : سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط ١٢٢ - ١٤٠ .

(٢) راجع : ابن مسكويه : تجارب الامم ٢٢٠/٢ - ٢٢١ .

(٣) ابن الوردي : تكملة المختصر ٢٢٨/١ .

هكذا انطوت صفحة حياة بطل من ابطال الاسلام الانفاذ ، بعد أن عاش حياة حافلة بانجهاض ضد أعداء الاسلام والمسلمين ، وكتب صفحاتها بمخاض حمة وحماء الشهداء ، الذين شاركوا معه في المعارك ، حتى لقد قيل عنه أنه لم يكن بين الملوك من هو أغزى منه .

ومما يرى عنه انه جمع من نفخ النبل الذي كان يجتمع عليه في غزواته شيئا ، وعمله لبنة بسدر الكف ، ثم أوصى بأن يؤسد خده عليها عند دفنه (١) ، وقد نفذت وصيته تماما .

وبوفاة سيف الدولة — بطل الجهاد الاسلامي ضد الروم — تبدأ الدولة الحمدانية في الضعف ثم 'التلاشي' . لان ابنه أبو المعالي شريف ، لم يقو على توطيد ما عجز عنه أبوه . وبذلك صار المسرح خاليا أمام الروم ، ليعيثوا في أرض الاسلام ، قتلًا وتذبيحا ونهبًا وتخريبًا . وتوغلوا فيها أينما وكيفما شاءوا ، سواء في الشام أو العراق ، بعد أن كان عبور الفرات في الجهات الواقعة ، أسفل جبل طوروس ، يعد من الأمور المستحيلة على الروم منذ أيام هركل « القرن السابع الميلادي » . أما الآن — في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وفي عصر يوحنا زيمسكيس ونقفور فوكلس — فقد استطاع الروم أن يكتسحوا الكثير من المدن العربية العريقة مثل : القرها (اديسا) ، ديار بكر ، ميافارقين ، نصيبين الواقعة عند حدود امبراطوريتهم القديمة على نهر دجلة (٢) .

ولم يستطع الروم قط اخضاع المسلمين والنبل منهم — في وقت من الأوقات — مثلما أمكنهم ذلك أيام زيمسكيس ونقفور . إذ انتزعوا من المسلمين كيليكيا ، وجزءا من البلاد السورية ، كما اعترف شطر كبير من بلدان الدولة العباسية بالتبعية للامبراطورية البيزنطية (٣) .

هكذا نرى انه بوفاة سيف الدولة الحمداني سنة ٣٥٦ هـ ، يتغير

(١) ابن مسكويه : تجارب الامم ٢/ ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٢) الاطلكي : تاريخ يحيى بن سعيد ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ وأبو الفدا : المختصر ص ١١٨ .

(٣) مسلم الكيال : سيف الدولة ص ١٥٥ .

ميزان القوى في غير صالح الممالك الاسلامي ، وتنتفى هذه الصفحات الطويلة المضيئة من الكفاح ، وانجهد الاسلامي ، الذي رفع لواءه سيف الدولة وسل سيفه ولم يعده الى غمده الا في اواخر أيام حياته ، كما اهتم بقداء الاسرى ، قبيل وفاته بعام واحد (أى ٨٣٥٥/٩٦٥ - ٩٦٦ م) ، بعد ان دوخ اكبر امبراطورية في زمانه ، وهي امبراطورية الروم ، التي كانت وقتذاك في عصرها الذهبي ^(١) .

ولنتوقف هنا لحظة ، لنسجل كلمة حق في سيف الدولة .
انصافا للرجل ، كما شهد له بذلك المؤرخون الاجانب قبل المسلمين .

ذلك ان سيف الدولة لم يكن يبغي بحروبه أو غزواته تلك بغيا أو عدوانا على أحد ، ولم يكن نهالها سلابا أو غازيا لمجرد الغزو ، كما ذهب بعض المؤرخين الاجانب في الحملة عليه ، امثال متر Metz وشلومبرجر . فبعض هؤلاء المؤرخين لا يكاد يلقى تهمته في سيف الدولة ، حتى يصرعه نور الحق ويرهانه الساطع ، فلا يلبث أن يسجل للرجل فضلا عظيما ، في عديد من المواضع والمواقف ومن هؤلاء شلومبرجر نفسه في كتابته الذي ألفه عن نفقور فوكاس ^(٢) .

والحق ، أن طبيعة موقع الدولة الحمدانية في بلاد الشام ، ومتاخمتها للحدود البيزنطية ، جعل حكام هذه المنطقة العربية الاسلامية يوجهون عنايتهم لتحسين حدودهم مع الروم ، لتمنع عنهم عادية هجمة مباغتة من هنا أو هناك . وكان هذا مما جعل سيف الدولة دائما ، على أهبة وحذر وتحفز للرد على أى عدوان . وهو الذي عرف عنه التزامه جانبا الخلق الحميد ، واحترام آداب الحروب . هذا ، بينما ألف الإغناء (الروم) : التدر والفديعة ، فلا يكادون يحرزون نصر في معركة الا باستعمال أساليب يترفع عن ذكرها لخلق العربى الندى ، الذى تخلق به سيف الدولة ^(٣) .

كما يذكر لسيف الدولة تدعيمه للثور وشحنها بالمقاتلة ، وانشاء

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٢٨ .

(٢) Schlumberger : Nicéphore Phocas P. 227.

(٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١١٣ - ١١٤ .

الحصون الجديدة ، ورم القديمة أو تجديدهما • وكان بناء الحصن الواحد كثيراً ما يكلفه معركة دامية مع الروم ، الذين اعتبروا كل لبنة توضع في أى حصن أو ثغر إسلامي خنجراً مصوباً إلى قلب امبراطوريتهم ^(١) •

والغريب أن مؤرخاً مثل شلومبرجر الذى يصف هروب سيف الدولة بأنها حملات سلب ونهب ، لا يلبث أن يقول : « ينبغي أن نحترس من الاعتقاد أن جيوش سيف الدولة لم تكن الا عصابات دون نظام أو ترتيب • • بل كان العرب يتبعون خططا (تكتيكا) في منتهى الدقة والأحكام ، ويخضعون لنظام صارم ، ويشنونها حرباً فنية مدروسة ، ويقودون جيوشاً متفوقة في تنظيمها وقد أعدوا لكل أمر عدته ، وتداركوا كل صغير وكبير من الأمور ، ونظموا الخدمة اليومية ، وأخذوا بنظام الاستطلاع والدوريات الصغيرة لكل فرقة (تكتيكية) » ^(٢) • فهل هذه الصفات التى أوردها شلومبرجر هى صفات سلاية نهابة أم سمات مجاهدين •

ولقد ابتكر سيف الدولة نظلم القوات الفدائية (القوات الانتحارية) التى تقوم بعملياتها ، بنظام المباحثه ، من حيث لا يتوقع العدو زماناً ومكاناً • لكنه — وهو المتحلى بالخلق العربى الإسلامى الكريم — حين شعر بما فى هذه العمليات من شبهة تتناقض مع الخلق العربى المسنم ، ألغاهما وصرحها • بعد أن كانت قد أثقلت بعملياتها — مضاجع الروم طوال عشر سنوات (٣٣٩ — ٣٤٩هـ) / ٩٥٠ — ٩٦٠ • فهو اذن ألغاهما لاهساسه بمخالفتها — فى عملياتها — للخلق العربى الذى لا يغدر • لكن المؤرخ شلومبرجر عكس الغامع بأن سيف الدولة وجد « أعمالها مخزية مضجلة » ^(٣) •

وغريب أمر هذا المؤرخ حقاً أن يعتبر أعمال القوات الفدائية مخزية مضجلة ، مع أن هؤلاء الفدائين لم يوقعوا أذى الا بالجنود ،

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١١٤ •

Schnlberger . Nicéphore Phocas , P. 226 - 227.

(٢)

Schnlberger : Nicéphore Phocas P. 227.

(٣)

ولم يقتلوا الا المصارين . أما ما كان يوقعه البيزنطيون بالأطفال والنساء والشيوخ المسلمين في الثغور ، وما أنزله نقفور فوكاس بأهل حلب سنة ٨٣٥١ م وطرسوس سنة ٨٣٥٤ م قتل وغدر بالشيوخ والأطفال فليس أمرا مخزيا أو مخجلا^(١) .

والجدير بالذكر أن سيف الدولة اعتمد في حروبه وغزواته على عدد من القادة العظام أمثال : الفارس الشاعر الخوارث أبو فراس الحمداني ، وابن عمه أبو تغلب وأثل بن داود بن حمدان ، أمير حمص ، وأبو زهير مهلهل بن نصر بن حمدان — صديق أبي فراس — الذي أنكى في بلاد الأعداء واستشهد في إحدى معاركه على أرض الروم ، وأبو العشاير أمير أنطاكية الذي أسر في معركة عرندس ٨٣٤٥ م (٨٩٥٦) ثم حمل للقسطنطينية حيث مات بها ، وهبة الله ومحمد لبنا تلحمر للدولة اللذين ولاهما أكثر من مرة قيادة بعض جيوشه في المعركة^(٢) .

كما أن هناك أيضا من القادة عدد من علمان سيف الدولة أمثال : نجاش الكاسكي ، وقرعويه ، ويمالك ، وكان أبرزهم نجاش الذي لم يغير في معركة واحدة^(٣) .

والحق أن قواد سيف الدولة جميعا لشعوا بالبسالة والافتداف ، وحب البخل والتضحية . فكان الواحد منهم يثبت في المعركة حتى يقتل أو يقتل أو يؤسر مثل ما حدث لأبي زهير المهلهل الذي خر صريعا في معركة الصفصاف ، وأبو فراس ، وأبو العشاير محمد بن ناصر الدولة ، الذين وقعوا جميعا في الأسر ، فمات منهم في الأسر أبو العشاير وعاد الاثنان الآخران في الفداء الثماني سنة ٨٣٥٥ م^(٤) .

لقد تنفست بيزنطة الصعداء بموت البطل المخلوع سيف الدولة ، لأنهم بذلك يكونون قد استرحوا من أخطر أعدائهم على الجهة الإسلامية آنذاك . لهذا أمكنهم — بعد ذلك — التوغل في سورية ، وحاولوا

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١١٦ — ١٢٣ .

(٢) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١١٨ — ١١٩ .

(٣) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 135/8, 142.

(٤) مصطفى الشكعة : نفس المرجع ص ١١٩ — ١٢٠ .

توجيهه تيار الأحداث فيها ، وبخاصة في عهد سعيد الدولة الحمداني (١) .

ويتحدث فنلاي — نقلا عن غزيرليف Vasiliev — عن تفوق الروم في هذه المرحلة من مراحل المواجهة الإسلامية البيزنطية (منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) فيقول : « ١٠٠٥ ان المدة بين ٩٦٣ — ٩٦٩ م (٣٥٢ — ٣٥٩ م) تكون أزهى فترات تاريخ العسكرية البيزنطية في صراعها مع المسلمين . فقد استطاع نقفور فوكاس ان يركز اهتمامه على الشرق . فاحتل طرسوس وكيليكيا ، على حين نجح الاسطول البيزنطي في انتزاع جزيرة قبرص من العرب ، مما فتح له الطريق الى سورية . فبدأ يعمل على تحقيق حلمه النهائي وهو غزو أنطاكية التي تعتبر قلب سورية . وبعد غزوات تهديديه على سورية ، حاصر نقفور أنطاكية . ثم استولى عليها في آخر سنين حكمه (٩٦٩ / ٣٥٩ هـ) » (٢) .

على أن مما زاد موقف الجبهة الإسلامية سوءا في مواجهة الخطر البيزنطي — المهدق بالملكات الإسلامية في الشام والجزيرة وقبرس وكريت وغيرها — هو مآذب بين أفسراد البيت الحمداني من صراع وتقافس أسرى . حيث أعيد فتح السجلات الحمدانية عن ثآثرات قديمة بين أبي فراس الحمداني ، وبين كل من أبي المصالي شريف بن سيف الدولة ، وابن ناصر الدولة ، وهو حساب لم يكن لأبي المصالي شريف فيه يد أو دخل . وإنما هي تركة مثقلة ، ورثها عن أبيه سيف الدولة ، الذي تحملها صابرا ، وكان مجرد وجوده حيا ، كفيلا بإطفاء نيران وحجم هذه الفتنة ، التي سرعان ما تطايرت شظاها بعد وفاته سنة ٣٥٦ هـ ، ليصيب القريب والبعيد على حد سواء ، ولينعكس ذلك كله ضمعا وانهزا أمام الروم .

(١) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٩٠ .

(٢) ابن المديم : زبدة الطب ج ١ ص ١٥٧ ويحيى بن سعيد :

Finlay : Hist. of Byz. Emp., P. 306.

تاريخه ص ١٣١ و

ذلك أنه بمجرد إطلاق سراح أبي فراس الحمداني من الأسر لدى الروم سنة ٣٥٥ هـ ، وما كاد أجمل سيف الدولة ينقضى سنة ٣٥٦ هـ ، حتى نهض أبو فراس محاولاً السيطرة على حمص والتغلب عليها . وكان دافعه الى ذلك هو رغبته في الانتقام والثأر لنفسه من نكد الاليم ، ولأبيه سعيد من ابن عمه ناصر الدولة . لكن أبا المعالي شريف بن سيف الدولة ، علم بنية أبي فراس فأرسل اليه من أتباعه من قائله ، حتى تغلب عليه وقتله^(١) .

غير أن هناك خلاف بين المؤرخين في مسألة مقتل أبي فراس الحمداني . فمن قائل أن أبا المعالي شريف بن سيف الدولة ، أرسل قرعوية ، غلام أبيه سيف الدولة ، فقتله بعد أن ضربه ضربات اليمامة الطريق . وهناك من يقول أن أبا فراس الحمداني قتل في شهر ربيع الآخر ٣٥٧ هـ ، في قرية تعرف باسم « صدد » وذلك في حرب وقعت بينه — وكان مقيماً في مدينة حمص — وبين عسكر أبي المعالي شريف بن سيف الدولة الذين استظهروا على أبي فراس ، وقتلوه في الحرب . وحزوا رأسه ، وطرحوا جثته في البرية أياماً ، الى أن كفنه ردغة بعض الأعراب . كما يروى أن قرعوية أخفى خبر مقتل أبي فراس عن أبي المعالي شريف بن سيف الدولة ، حتى لا يفجعه النبأ . وهو الذي حزن فعلاً عندما بلغه نبأ مقتل أبي فراس الحمداني . كما أن والدة أبي فراس وكان اسمها سخيثة^(٢) — صرعت عندما علمت نبأ مقتل ابنها^(٣) .

وقد قيل في مقتل أبي فراس^(٤) ، شعراً جاء فيه^(٥) :

(١) سلمي الكيالي : سيف الدولة ص ١٥٥ .

(٢) إورد ابن الوردي : ١ تمة المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٤٣٩ (أن اسمها « بجية » وليس « سخيثة » .

(٣) سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ١٥٥—١٥٦ .

(٤) اسمه كابلأ هو أبو فراس الصارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان . وهو ابن عم كلا من سبب الدولة وأخيه ناصر الدولة .

(٥) ابن الوردي : المصدر السابق ج ١ ص ٤٣٩ .

وعلمنى الصمد من بعده من اليوم مصرعه فى صدد
فسيقا لها اذ حوت شقصه . وبعدا لها حيث فيها ابتعد
هكذا أصبحت الاسرة الحمدانية كالنار تاكل بعضها ان لم تجد
ما تأكله . وذلك بعد أن كانت نارا . ولظى يكتوى بسميره عدو المسلمين
أما الآن ، وبعد موت سيف الدولة ، فإن العدو البيزنطى أصبح ينظر
ويتلمظ لالتهام بلاد الاسلام الواحدة بعد الأخرى ، وما شجعه
على ذلك سوى شعوره وإدراكه بما صار فيه المسلمون من غفلة ،
أودت بوحدهم . حيث فرقتهم المنازعات ، والصراعات الإقليمية ،
والأسرية ، والشخصية . وصار — وإي للأسف — بأسهم بينهم
شديد ، وما ذلك إلا لأنهم نسوا ما يدعو اليه الاسلام من الوحدة
والترابط ، ووجب أن يكونوا كالبنيان الواحد المرصوص يشد
بعضه بعضاً^(١) .

لقد خاض المسلمون صراعا مريبا ضد الروم ، فى منطقة الثغور
الاسلامية — البيزنطية ، سواء فى إقليم الجزيرة ، أو بلاد الشام ،
وهو صراع استمر لعدة قرون . حتى أنه يمكن القول أنه يوجد على
وجه البسيطة مكان التهيبت على ترابه نيران معارك ضارية ، مثلما
نشبت فى المنطقة بين الشام وشبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول)
وهى المنطقة المعروفة بالثغور الشامية ، هذا فضلا عن المعارك
التي خاضها المسلمون بيسالة فى الثغور الجزرية .

وكان هناك دائما فارق وتمايز بين المنطقة الداخلية فى الجنوب ،
وهى التى سميت بالعواصم ، وبين المنطقة الخارجية المسماة بالثغور .
فيذكر الاصطخرى^(٢) : « أن هذا النطاق (المسكرى) كان يبدأ
فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) من أولاس على البحر
المتوسط ، ويضم طرسوس وأذنه (أظنه) والمصيصة وزبطرة

(١) ابن الوردي : تلمة المختصر ج ١ ص ٢٩ .
سالمى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ١٥٦ .
(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ .

ومر عش وملطية وحصن منصور حتى يصل الى سميساط على الفرات ، ويمتد على طول الرافد 'اخرى لهذا النهر في اتجاهه جنوبا حتى بالنس'. وقد اهتم المسلمون بها ، الى ان حب الخلف والضعف فيهم فتدهورت المنطقة واضمحلت أمرها^(١) .

ويصور ابن التميمي تدهور مناطق الثغور الى نهايتها المؤسفة فيقول^(٢) : « واهتم المتوكل العباسي (٢٣٣ - ٢٤٧ هـ في الثغر بترتيب المراكب ، ومازال مشحونا من ملوك المسلمين بالراجل والراكب ، الى ان قصرت الهمم ، وولى من تمدى وظلم ، واشتعلوا باللذات ، وتماطوا الأمور المنكرات ، فضعف أمر الثغور واختل ، ووهى عقد نظامها وانحل ، فجرى ما ذكرناه في باب طرسوس وحل بالمسلمين من أعداء الله الشدة والبؤس » .

واذا كلنت حلب الشهباء ، قد وجدت مجداً بانتقال الحمدانيين اليها ، بعد قيامهم في اقليم الجزيرة ، الا أنها لم تستطع المحافظة على مجدها للنهائية . كما لم يكن باستطاعة الدولة الحمدانية (وهي دولة ثغرية) ان تظل واقفة مساندة الى ما لا نهاية ، أمام الحاح ضربات الروم وضغط هجومهم المتوالي . فيصور لنا ياقوت الحموي^(٣) ، أحداث انهاء المؤلة للثغور الاسلامية تصويرا موجزا بليزا في قوله : « ولم يزل هذا الثغر طرسوس وأذنه والمصيصة وما ينضاف اليها بيد المسلمين ، والخلفاء مهتمين بأمرها لا يولونها الا شجمان القواد والراغبين منهم في الجهاد ، والخروب بين أهلها والروم مستمرة .. والأمر على مثل هذه الحال مستقرة حتى ولى العواصم والثغور الامير سيف الدولة على بن أبي الهيثم ابن حمدان ، فصعد للغزو ، وأمن في بلادهم ، فكانت الحرب بينهم سجالا . الى أن كان من وقعة مغلزة الكحل ٣٤٩ هـ . ومن ظفر الروم بعسكر سيف الدولة ، ورجوعه الى حلب في خمسة فرسان على ما قيل » .

(١) الاضطخري : مسالك الممالك ص ٥٣ .

(٢) ابن التميمي : بغية الطلب ورقة ٨ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٧ .

» ٠٠٠ ثم تلا ذلك هجوم الروم على حلب سنة ٣٥١ هـ ، وقتل كل من قد روا عليه من أهلها ، وما كان من عجز سيف الدولة . فترك الشطم شاعرا ، ورجع الى ميافارقين . والثغر من الحماة فارغا . فجاءهم نقفور الدمستق ، فحاصر المصيصة ، ففتحتها ثم طرسوس ثم سائر الثغور وذلك سنة ٣٥٤ هـ . فهي في أيديهم الى هذه الغاية (١) .

ولعل من أسباب تدهور الثغور الاسلامية ، اختلاط فرق الجيش الاسلامي ، الذي قسم الخراسانية والفرغانية والسمرقندية وغيرهم . مع انحلال وضعف رابطة الاسلام الجامعة في نفوس هذا الخليط المتناثر ، وكذلك صراع الطوائف المختلفة على السلطة ، واستسلام الخلفاء العباسيين لاستبداد القادة والمتغلبين عليهم . سواء من الترك أو الفرس أو الديلمة وغيرهم . هذا بينما كان الروم يغيرون على الثغور فيقتلون ويسبون ويأسرون ويحرقون ، دون صناد يصدهم أو رادع يقف في وجههم . والضلالة في كل ذلك اسم بلا جسم لا أمر ولا هيئة ولا جيش ولا سلطان .

وقد أفاد ياقوت أن ملك الروم لما استولى سنة ٣٥٤ هـ على الثغور ، اشترط تخريب الجوامع والمساجد . وأن من أراد المقام في البلد على الذمة وأداء الجزية فعل . وأن تتمرقله الحياة والكرامة وتقر عليه نعمته . قال : فتتصمر خلق ، فافترت نعمة عليهم وأقام نفر يسير على الجزية ، وخرج أكثر الناس يقصدون بلاد الاسلام ، وتفرقوا فيها . وملك نقفور البلد ، فحرق المساجد وغرب المساجد ، وأخذ من خزائن السلاح ما لم يمنع بمثله قط مما كان جمع من أيام بني أمية الى هذه الغاية (٢) .

ويلخص رينيه جروسيه Grousset الموقف بين سنتي ٣٥٠ و ٣٥٩ هـ (٩٦٢ — ٩٦٩ م) بين الروم والحمدانيين قائلا : (٣) « وفي

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٧ ويتصدد ياقوت « بهذه الغاية » أنها ظلت بيد الروم حتى لواخر أيامه — أيام ياقوت — التي انتهت بوفاته ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) .

(٢) ياقوت : المصدر السابق ج ٦ ص ٣٩ .

Grousset : Hist. de l'Islam, p. 489 - 490.

(٣)

عام ٩٦٢م (٣٥٠ - ٣٥١) بدأ نقفور فوكاس ، الذى كان آتخذ مجرد قائد عسكري ، غزو كيليكيا ، فانتزع من الأمراء الحمدانيين مدينة عين زربة *Anezarte* وقلعة سيس *Sis* ثم عبر ممرات جبال أمانوس *Amanoss* في ديسمبر ٩٦٢ م (ذو القعدة ٣٥١ هـ)^(١) وانتزع من الحمدانيين - على مشارف سوريا الشمالية - مدن مرعش *Marasah* ودلوك (دلوخ) *Duluk* ، عينتاب ومنبج ، ومضى يذهب إحدى عواصمهم . وهى مدينة حلب الكبيرة . ثم يستطرد قائلا : « وعندما أصبح امبراطورا ، أتم فتح كيليكيا باستيلائه على أطنسة (٩٦٤ م / ٣٥٣ هـ) ، والمصيصة *Mopsuista* ^(٢) في ١٣ يولية ٩٦٥ م (١٠ رجب ٣٥٤ هـ) وطرسوس *Tarsus* في ١٦ أغسطس ٩٦٥ م (١٤ شعبان ٣٥٤ هـ) ، التى طرد منها الحمدانيون نهائيا . وقد غز كيليكيا (قاليقلا) ، بعد أخذها من الحمدانيين ، وأسكنها بالمسيحيين من الأرمن . وفى سنة ٩٦٦ (٣٥٥ - ٣٥٦ هـ) قامت كتيبة بيزنطية بمسيرة فى بلاد الحمدانيين ضربت فيها أسوار آمد (ديار بكر) ودارا وتميمين . وفى عام ٩٦٨ م (٣٥٧ - ٣٥٨ هـ) - أى عقب وفاة سيف الدولة - اجتاحت نقفور فوقاس - فى أراضى الحمدانيين - مدينة ميافارقين ، ثم قام بحملة فرسان فى سوريا حتى حمص وطرابلس بينما نهب ابن أخيه بارداس فوقاس بلدة منازكرت فى إقليم الإياهونيك ، وهدم أسوارها (٩٦٨ - ٩٦٩ م / ٣٥٧ - ٣٥٨ هـ) . وبعد رحيل نقفور فوقاس انتزع قائده ميخائيل بورتيزيس ، مدينة إنطاكية من العرب فى ٢٩ أكتوبر ٩٦٩ م (١٣ ذى الحجة ٣٥٨ هـ) ، التى بقيت تابعة لبيزنطة حتى عام ١٠٧٨ م (٤٧٠ هـ) بل ونظريا حتى عام ١٠٨٥ م (٤٧٧ - ٤٧٨ هـ) . وهنا أيضا - فى أنطاكية - طرد السكان المسلمين من المدينة ، وأسكن محلهم مهاجرين مسيحيين ، منهم جالية أرمنية كبيرة .»

Grousset, R. : Hist. de L'Arménie P. 488 - 490.

(١)

وقد افقتا بين التاريخ الميلادى والتاريخ الهجرى من كتاب التوقيعات الإلهامية .

(٢) تكتب بالانجليزية مايسترا *Manistra* او مصرية *Manisra*

من ناحية أخرى لم تنقم السلطنة البيزنطية، وهي في أوج انتصارها، بطرد المسلمين من الحدود الغربية والجنوبية الأرمنية، لكنها شجرت أقدامها هناك بضم مقاطعة طارون الهامة (١).

(١) كانت الطارون — كما رأينا سابقا — تابعة لفرع أصغر من فروع الأسرة البجراتية، أسمه بـ «بجرات البجراتوني» (أمير الأبرام) (٨٢٠ — ٨٥١ م/٢١٥ — ٢٣٦ هـ). وكان بـ «بجرات» (بجرات) البجراتوني قد أسره العرب في معركة عام ٨٥١ م/٢٣٦ هـ، وقضى نحبه في بغداد، وترك ثلاثة أبناء هم: أشوط، ودافيت أركليك (أي الملك الصغير) وابننا ثالثا غير معروف من المحتمل أن يكون اسمه تورنك (طرنق أو ديرنيك Tornik). وقد وقع كل من أشوط ودافيت أركليك في أسيرة القوات العباسية بقيادة بـ «أشوط» وأُرسلوا إلى بغداد. ثم أطلق سراحهما عام ٨٥٨ م ليعودا إلى أرمينية. وقد أصبح أشوط (الكبير) منذ ذلك وحتى عام ٨٧٨ م أميراً على الطارون ثم خلفه دافيت أركليك (٨٧٨ — ٨٩٥ م)، ثم ابن أخيه جورجيين بن أشوط (٨٩٥ — ٨٩٧ م)، ثم خضع الطارون لأحمد بن عيسى الشيباني أمير منطقة آمد (ديار بكر) بعد قتله لجورجيين ابن أشوط. ثم حاول الملك سميث ملك أرمينية إعادة الطارون إلى الوريث الشرعي «أشوط بن دافيت أركليك» لكنه هزم قرب طوخ Thouthk سنة ٨٩٨ م. ثم مات أحمد بن عيسى — بعد قليل — عام ٩١٨ م نفسه (٩٢٨ هـ). وبويع أحمد بن عيسى مانت الطارون للأسرة البجراتية المحلية، ليحكمها جرجوريك — بعد أن سجن أشوط بن دافيت من ٨٩٨ — ٩٢٣ م تقريباً. وطلب سميث تعضل إمبراطور الروم ليو السادس «الحكيم» لإطلاق سراح الأسير أشوط بن دافيت. وقد حافظ جرجوريكوس على علاقته الطيبة مع كل من الخلافة، والإمبراطورية البيزنطية بطريقة متوازنة إلى حد ما. وعندما توفى جرجوريكوس ٩٢٣ م تقاسم إقليم الطارون أو تسارمه ولداه باجرات (باتكراتيوس في المصادر البيزنطية) وأشوط من ناحية، وأبناء أخيه أبو جاتم (غاتم) فاهان، سميث، وتورنك الذي كان أول من سافر للسلطان البيزنطي، حيث حصل على لقب ورتبة بطريق. ولم يغفل باجرات (باتكراتيوس) أهمية توثيق علاقته ببيزنطة كذلك. ويبدو أن باتكراتيوس هذا — كما يؤكد جروسية — هو المذكور عند العرب باسم ابن طورنق أو طرنق Ibn - Tornik حين ذكرت المراجع حمله سيف الدولة سنة ٩٤٠ م أمير حلب على بلد ابن طورنق، وأنه نهر مدينة موش، وكنيسة مشهورة، ثم انتزع من أشوط أخى ابن طرنق مدينة سباسون (سباسون) وكولب (قلب)، وهذه الحملة هي من الحملات الخاطفة السريعة. وقد أثبت المؤرخون ولاية باجرات (باتكراتيوس من ٩٣٥ — ٩٤٠ م) وحكم أخوه أشوط الطارون من ٩٤٠ — ٩٦٧/٩٦٦ م، وهو الذي منح رومانوس ليكابينوس لقب «بروتوسباتر» (قائد عسكري إمبراطوري) وحكم طارون الشرعي. وبذلك ثبت التناوب البيزنطي في سميث أرمينية الجنوبية (راجع

وكان ضم اقليم طارون الامبراطورية البيزنطية جدثا خطيرا في ذاته فهو اول خطوة نحو زوال استقلال الارمن ، كما أن وجود القوات البيزنطية في هذه المنطقة • اعتبر مقدمة لشن حملة صليبية مشتركة ضد القوات الاسلامية الأخيرة الموجودة في هذه المنطقة^(١) .

الفصل الرابع

جهاد المسلمين ضد الروم

خلال النصف الثاني

من القرن الرابع الهجري

(٢٥٦ - ٣٩٤ هـ / ٩٦٦ - ١٠٠٢ م)

جهاد المسلمين ضد الروم

خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري

(١) خلفاء سيف الدولة وجهودهم في صد الروم :

زالت أكبر عقبة إسلامية من طريق الروم في عهد نقفور فوقاس (٩٦٣ - ٩٦٩ م) في جبهة المواجهة مع المسلمين ، وبخاصة في مناطق الثغور وذلك بوفاء بطل الجهاد الإسلامي سيف الدولة الحمداني سنة ٣٥٦ هـ . ومع ذلك لم تستطع الروم الافادة من هذه الفرصة . وذلك بسبب انشغال الامبراطورية آنذاك بالحروب ضد البلغار ، ولما ظهر وقتذاك في جوف الامبراطورية من مشكل داخلية . وبهذا لم يتيسر للروم الافادة من خلو مسرح المواجهة من شخصية سيف الدولة ، ومما دب - بعد وفاته - في كيان الاسرة الحمدانية من توترات وصراعات في عهد سعد الدولة (٣٥٦ - ٣٨١ هـ ٩٦٧ - ٩٩١ م) . ولذلك مرت سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) هادئة نسبيا ، فيما عدا بعض اغارات سريعة قام بها المسلمون على بعض مناطق الثغور البيزنطية في الشمال (٢) .

غير أنه ما أن آذنت سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٨ م) بالانتهاء ، حتى كان لامبراطور نقفور فوقاس في وضع يسمح له بتحويل اهتمامه نحو الجبهة الشرقية (الإسلامية) ، وأضما في اعتباره الأول أخذ جلب والسيطرة على انطاكية سيطرة تامة (٣) .

لما علم سعد الدولة (أبو المعالي شريف بن سيف الدولة) بعزم نقفور على التوجه لمهاجمة المناطق الإسلامية في بلاد الشام ، وأنه سار فعلا بجيشه ، خرج سعد الدولة من حلب الى بلس . وقد « ترك على حلب قرعوية صاحب ، أما نقفور فنزل على انطاكية ، حيث مكث هناك يومه ثم رحل في اليوم الثالث الى معرة مصرين فدخلها

(١) هو سعد الدولة أبو المعالي شريف بن سيف الدولة الحمداني .

(٢) فيصل السابر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٩١ .

(٣) فيصل السابر : المرجع السابق ١٩١/٢ .

وهجر ألفا ومائتين من أهلها إلى بلاد الروم^(١) . كما فتح الروم — بقيادة نقفور — مرة النعمان وخرب جامعها وأكثر دورها ، وسار إلى كفر طاب وشيزر وأحرق جامعها ، ثم توجه إلى مدينة حماة ففتحها^(٢) . ثم أتجه إلى حمص حيث أخذ منها رأس يوحنا المعمدان^(٣)

وفي العاشر من شهر ذي الحجة سنة ٣٥٧ هـ سار الروم إلى طرابلس واستولوا عليها ، وأسر نقفور حاكمها أبا الحسن أحمد بن تحرير الأرغلي من حصن « عرقة » ، الذي أقام فيه بعد أن طرده الطرابلسيون^(٤) ، ثم حاصر الروم — بقيادة نقفور — مدينة عرقة تسعة أيام ، ثم له فتحها بعدها باغتحام حصنها المنيع ، وأسر جميع من لجأ إليها من البلاد المجاورة ، وأخذ كثيرا من الأموال^(٥) .

ثم عاد نقفور فوكس — بعد هذه الاغارات الناجمة — إلى بلدان السلطان الشامي ، وفي موجه اعداد ضخمة من السبي ، وفتح حصن أنطوسوس^(٦) ، وصالح أصحاب اللاذقة ، وخرب الكثير من القرى التي مربها .

والحق أن المدن الشامية قاست كثيرا من الآلام والمرارة ، من جراء أعمال نقفور فوقاس وقوانه ، حيث صاحب حملاته وغزواته دائما تكتيل وتخريب ، وارتكاب أعمال يندى لها جبين الانسان خجلا^(٧) . ثم حاصر نقفور أنطاكية لكنه لم يلبث أن فك عنها الحصار عند اقتراب فصل الشتاء ، انتظارا لمقدم فصل الربيع . وقد

(١) ابن العديم : زبدة الطب ١/٢٥٧ ، والأنطاكي : تاريخه ص ١٣١

(٢) فيصل السليبر : الدولة الصليبية ١٩١/٢ .

(٣) الأنطاكي : تاريخه ص ١٣١ وابن العديم : زبدة الطب ١/١٥٧

(٤) ابن العديم : المصدر السابق ١/١٥٨ .

(٥) الأنطاكي : نفس المصدر ص ١٣١ .

(٦) وهي ثغر لجند حمص على بحر الروم (البحر المتوسط) ورمقية وحصن جبلة وهي قلعة مشهورة من أعمال حلب قرب اللاذقية . راجع ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤ .

ترك هناك حاميات صغيرة لمراقبة السكان ، حتى لا يستعدون له بالسلاح والخفيرة ، وأمر قواده هناك (حول انطاكية) ألا يفتحوها في غيبته^(١) . وقد أقام نقفور في مواجهة انطاكية حصن بفراس *Befras*^(٢) ، على سفح جبل اللكام ، ورتب فيها جيشا بقيادة ميخائيل البرجي . وقد استطاع هذا الجيش أن يستولى على انطاكية في سنة ٣٥٩ هـ — كما يذكر ابن الوردي — أو في ١٣ ذي الحجة ٣٥٨ هـ (الموافق ٢٩ أكتوبر ٩٦٩ م) كما يذكر آخرون ، بعد أن ظلت في يد المسلمين نحو ثلثمائة وثمان وعشرون سنة^(٣) .

وقد أورد يحيى بن سعيد الانطاكي^(٤) تفاصيل احتلال الروم لانطاكية . فذكر أن بطرس الاسطراطودرج وميخائيل البرجي حاصرا انطاكية بجيوش ضخمة . وكانت المدينة في حالة متداعية ، بسبب غارات الروم المتلاحقة عليها وعلى أعمالها ، « وضجع أهلها في حراستها ، لأنهم ما كانوا يشعرون أنها تقتصد في ذلك الوقت ، ولم يتمكنوا من جمع رجال يصعدون إلى الجبل . لحفظوا السور ، فرآه الروم خاليا ، فبادروا بالطلوع إليه ، فلم يروا أحدا فيه . . . وطرح المسلمون النار لتحول بينهم وبين الروم ، وفتحوا باب البحر وخرج منه جماعة من أهلها ، وأسر الروم جميع من فيها ، وأطلقوا من كان بها من النصراني وأقروهم »^(٥) .

Finlay : Hist. of BYZ. Emp. P. 307.

- (١) بفراس : مخينة في لفح جبل اللكام . بينها وبين انطاكية أربع فراسخ (١٢ ميلا) في البلاد المطلة على نواحي طرسوس . راجع ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٩٢ .
(٢) راجع ابن الوردي : تبة المختصر ج ١ ص ٤٤١ (ضمن حوادث ٣٥٩ هـ) وانظر أيضا : فيض السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٩٢ — ١٩٣ .

- (٣) الانطاكي : تاريخه ص ١٣٣ — ١٣٤ .
(٤) ذكر ابن العميد : (زبدة الطب ١/١٦٢) أن دخول الروم انطاكية كان ليلة عيد الميلاد . فلما طلع الروم على جبلها جعلوا يأخذون الحارس ، فيقولون له كبر وهال ، فمن لم يغمض قتلوه . فمكثوا يهللون ويكبرون والناس لا يطمعون ، حتى مكثوا جميع أبراجها (أبرجتها) ، وصلحوا صيحة واحدة ، فمن طلب باب الجنسان أسر واجتمع جماعة إلى باب البحر فمردوا القتل فسلموا وخرجوا . راجع أيضا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٣٧ .

وهكذا أمكن للروم السيطرة على معرة النعمان ، ومعرة مصرين وعرة وطرابلس والملاذقية ، ثم أخيرا انطاكية . وقد « أسروا وسبوا في هذه الغزوات — كما قيل — مائة ألف من هتيان المسلمين وغتياهم ، وقتلوا الشيوخ والعاجزين^(١) » . « كما يذكر ابن العديم أيضا » أن نقفور ملك الروم فتح ثمانية عشر منبرا ، أما القرى فلا يحصى عدد ما أخرج وحرقت منها » .

لقد جرى كل ذلك للثغور والسواحل الإسلامية في بلاد الشام على أيدي الروم ، بينما كان سعد الدولة مشغولا الى أذنيه في صراعه الحاد مع قرعوية ، الذين هادن الروم . والجدير بالذكر أن أهل بوقا من النصاري ، الذين انتقلوا الى انطاكية ، قاموا بدور فعال في مساعدة الروم وتسهيل مهمتهم في اقتحام المدينة^(٢) .

وكان نقفور يعتبر الاستيلاء على انطاكية أمنية غالية وحلما جميلا كبيرا ، باختيارها قلب سورية . وها قد تحقق الحلم الكبير ، واستولى النصاري على « انطاكية العظيمة »^(٣) — كما سماها جستنيان قبل ذلك (٥٢٧ — ٥٦٥ م) — « والمنافسة القديمة لبيزنطة في الشرق ، ومدينة انبطارقة العظام والقديسين المبجلين . ومركز الهرطقات »^(٤) . ولكن على الرغم من فرحة نقفور باحتلال انطاكية ، وأخذها من المسلمين بواسطة قائده ميخائيل البرجي (برتريس) ، إلا أنه حقد على هذا القائد بسبب الحريق الذي أحدثه بالمدينة^(٥) .

أصبحت حلب — بعد سقوط انطاكية ٣٥٨ هـ — هي الهدف المباشر والرئيسي لحملة نقفور فوقاس . أما عن سعد الدولة ، فإنه لما علم بدخول الروم انطاكية هجر عاصمته . وانتقل الى مدينة حمص ،

(١) ابن العديم : المصدر نفسه ١٥٩/١ — ١٦٣ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ١٥٩/١ ، ١٦٢ وفيصل السامر : الدولة الصليبية ١٩٢ — ١٩٤ .

(٣) Vasiliev : Hist. Byz. EMP., P. 308 - 309.

(٤) Schlumberger : Nicéphore Phocas, P. 723.

(٥) الانطلي : تاريخه ص ١٣٥ .

تاركا حلب وشؤونها ليتصرف فيها قرعوية ذى النوايا السيئة • وسار القائد البيزنطى تجاه حلب^(١) • وقد تحصن أهل حلب فى القلعة لمدة سنة وعشرين يوما • ترددت خلالها المراسلات والمفاوضات بين الجانبين ، الى أن تقرر الامر على عقد هدنة ومال يحمل فى السنة الى ملك الروم^(٢) •

ومما لا شك فيه أن استيلاء الروم على مدينة حلب ، أواخر أيام نقفور (أواخر ٣٥٩/٩٦٩ م) • يعد انتصارا كبيرا أحرزه الروم على المسلمين • وقد عقدت الهدنة — قبيل مقتل نقفور فى نهاية ٩٦٩ م (صفر ٣٥٩ هـ) • بين الروم وقرعوة ، وكانت شروطها مهيبة بالنسبة للمسلمين ، حيث جاء فيها^(٣) •

١ — يتعهد المسلمون (المحدثيون) بدفع جزية سنوية للروم ، بواقع ست دراهم عن كل فرد فى حمص ، وجوشية ، وسلمية ، وحماة ، وشبزر ، وكفر طاب ، وأماميتة ، ومرة النعمان ، وحلب ، وجبل الساق ، ومرة مصرين ، وقنسرين ، والأثرب وغيرها من الحصون والقلاع •

٢ — يصير قرعوية أميرا على المسلمين (فى الشام) ، ثم يخلفه بكجسور ، ونعده ينصب ملك الروم أميرا يفتاراه من سكان حلب • وليس للمسلمين من سكان حلب أن يفتاروا أميرا بأنفسهم •

٣ — لا يؤخذ من نصرانى جزية فى هذه المدن ، الا اذا كان له بها مسكن أو ضيعة •

(١) القائد البيزنطى هو نظرس الاسطرابدج • ويسميه الأتراك الاسطر الجويدج ، وربما يقصد الاسنراتيجوس (الحاكم المسكرى) ، اما ابن العديم فيسميه الطرناتزى • راجع : الأتراك : تاريخه ص ١٢٤ وابن العديم : زبدة الطلب ١/١٦٢ و Vasiliev : Ibid., P. 309.

(٢) الأتراكى : المصدر السابق ص ١٢٤ •

(٣) ابن الوردى : تهمة المختصر ١/٤٤١ وابن العديم : نفس المصدر ١/١٦٤ — ١٦٥ •

- ٤ — على قرعويه أن يصد أى جيش اسلامى يريد غزو الروم •
فان عجز فعليه أن يخبر الروم بذلك • وعلى بكجور أن يستقبل
جيوش الروم الغازية ، ويشيعها عند رحيلها ، ويسهل لها
الحصول على الاقوات والميرة •
 - ٥ — على قرعويه أن يساعد الروم على غزوهم لبلاد غير اسلامية
 - ٦ — ليس للمسلمين أن يعترضوا على من يدخل النصرانية منهم ،
وليس للروم أن يعترضوا على من يحضل الاسلام منهم •
 - ٧ — اذا هرب عبد مسلم أو نصرانى ذكرا أو أنثى ، فعلى المسلمين
رده أو اعطاء صاحبه ثمنه •
 - ٨ — على المسلمين أن يقوموا بتسليم المجرمين النهاريين من الروم
الى قائد الجيوش البيزنطية •
 - ٩ — للروم الحق فى اعتقال أى جاسوس مسلم يدخل حدود بلادهم •
 - ١٠ — ليس للمسلمين الحق فى هدم الحصون ، أو بناء حصون
جديدة • وللروم أن يعمروا الكنائس المخربة ، وعلى المسلمين
تكريم البطارقة (كبار قادة الروم) والاساقفة الذين يفدون
عليها •
 - ١١ — يقدر الروم لعشر الذى يؤخذ عن تجارتهم ، وبخاصة
الذهب والفضة والديباچ الرومى والاحجار الكريمة والسندس
وعلى قرعويه وبكجور أن يقوموا بالمحافظة على القوافل التجارية
البيزنطية ، وتقديم الادلاء لارشادها فى الطريق • فاذ
تعرض لها قطاع الطرق وجب عليهما أن يقوموا بتعويض ما نجم •
وقد شهد على هذا الصلح جماعة من الشيوخ مع قرعويه وبكجور
وسلم الى الروم رهبان من وجوه أهل حلب ، وكان الوسيط فى هذه
المفاوضة طاهر الهاشمى (١) •
- ويورد الانطاكى عن هذا الصلح ما يلى (٢) « •• تقرر الامر على

(١) ابن العديم : زبدة الطب ١/ ١٦٦ •

(٢) الانطاكى : تاريخه ص ١٣٤

صلح وهدنة مؤبدة ، ومالٌ يحمل في كل سنة الى ملك الروم عن حلب وحمص وجميع أعمالها ، من المدن والقرى ، وهو ثلاثة قناطير ذهب عن حق الأرض ، وسبعة قناطير ذهب عن خراج هذه الاعمال . وعن كل رجل حاتم دينار واحد في السنة سوى ذوى العساكرات . وان يكون ملك الروم صاحب مقيم بحلب ويستخرج أعضاء الامتعة الواردة من البلاد (١) .

أن المتأمل في هذا الصلح يجده على جانب كبير من الأهمية . فهو يعتبر وثيقة قيمة ترسم صورة واضحة لحالة العلاقات الاسلامية — البيزنطية . عسكريا ، وتجاريا ، واجتماعيا ، ودينيا وقتذاك . كما نستدل منه على رواج حركة التجارة والبضائع المستوردة والصادرة وعلى حالة العبيد وطريقة معاملاتهم . ويتضح منه كذلك كثرة عدد الكتائب وتنظيماتها الاثريكية في هذه المناطق التي شملها الصلح .

والحق أن المسلمين لم يتعرضوا في عروبهم ضد الروم لمثل هذه الهزائم . فقد أخذت منهم قناطيرا وجزء من سورية . إلا أن الوضع لم يستقر لنقفور طويلا ، إذ قتل (٢) بيد زوجته الجميلة ثيوغانو وقريبة يوحنا زيمسكيس (الشمشيقي) Jean Tzimiscea الذى اشترك معها في مؤامرة اغتيال نقفور ، ثم تولى هو نفسه عرش الامبراطورية (٣) .

(١) قتل نقفور نوكاس — عقب توقيع هذه المعاهدة — في ١١/١٠ ديسمبر ٩٦٩ م . راجع الهامى : التوفيقات الالهامية ص ١٨٢ حوادث ٣٦٦ هـ (٩٦٦ — ٩٧٧ م) .

Camb. Med. Hist., Vol. 4, P. 146.

(٢)

أورد ابن الوردي (تمة المختصر ٤٤١/١ — ٤٤٢ و ٤٥٢) ذكر مقتل نقفور ملك الروم ساردا قتل ومسيبه فقال : (ضمن حوادث ٣٥٩ هـ) . وفيها (٣٥٩ هـ) طبع نقفور ملك الروم في ملك جبيع الشام ، ولم يكن من بيت الملكة ، وانما قتل الملك الذى قبله وتزوج امرأته بفاتو (ثيوغانو) ، وأراد أن يخص أولادها من بيت المال ، ليقطع نسلهم ، ويبقى الملك في نسله . فانفتحت أهم مع الحبسقى وادلت في جبانة على زى النساء الى كتيبة متصلة بدار نقفور . ونام نقفور مدخلوا عليه ، وقطوا نقفور وأراح الله المسلمين منه . وأقام الحبسقى أحد الأولاد المذكورين ملكا . قلت : وهو بسيل بن أرماتوس ، والعهد في هذه الترجمة أن يفاتو الملكة زوجة أرماتوس

ويذكر المؤرخ ليو الشماس — وهو معاصر للأحداث^(١) — : « أن نفقور لو لم يقتل لامكنه مد حدود امبراطورية الروم في الشرق حتى الهند ، وفي الغرب حتى نهاية العالم ، أو بمباراة أخرى حتى المحيط الاطلسي » . ومما لا شك فيه أن كلام هذا المؤرخ فيه الكثير من المبالغة والتحمس المنطلق من التعصب لبني جلدته ودينه . لأن مشاريع نفقور فوكاس في الغرب أخفقت جميعها .

أما يحيى بن سعيد الانطلي — وهو معاصر كذلك للأحداث — فقد ختم كلامه عن أعمال نفقور فوكاس بقوله : « ولم يشك أحد في أن نفقور الملك يفتح جميع الشمامات (البلاد الشامية) ، وديار مصر ، وديار ربيعة ، وديار بكر ، وتحصل في يديه ، وذلك أنه بنى أمره على قصد سواد المدن والقرى التي يمر بها فيغزوها ، ويحرقها ويسبى أهلها ومواشيها ، وإذا بلغ وقت الحصاد للزروع خرج وأحرق جميع الغلات ، وترك أهل المدن يموتون جوعا . وكان لا يزال يفعل ذلك بهم سنة بعد سنة ، إلى أن تدعيمهم (وضغطهم) الضرورة إلى تسليم المدن إليه حتى كانت غزواته قد صارت كالنزهة له ، ولأصحابه ، وكان يقصد حيث يشاء ، ويغرب من غير أن يلقاه أحد من المسلمين يدافعه عما يريد » .

والحق أن الفتن والمنازعات التي وقعت في الدولة الإسلامية وقتذاك — النصف الثاني من القرن الرابع الهجري — كانت هي الفرصة الثمينة التي مكنت للروم أمر الاستيلاء على ما أخذوه من البلاد الإسلامية . وليس أدل على ذلك من إشارة أوردها ابن الأثير^(٢) أنه حين استولى الروم على ملازكرد عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م)

قتلت أرماتوس ، وتزوجت نفقور الملك ، ثم قتلته وتزوجت باتيس بن الشمشقيق (يوحنا زيمسكيس) ، وولته الملك ثم خلفته على ولديها بسيل وقسطنطين ابني أرماتوس فجهزت إليه وهو بالشام سنا فقتلته قبل عودته إلى الروم وكان ذلك في بداية عام ٩٧٧ م (٣٦٦ هـ) . وولت ابنها بسيل ، وملك بعده على الروم أخوة قسطنطين وكان زمانا لأن دبا وبثت عليه فازمنه .

(١) عن فيصل السامر : الدولة الحديانية ج ٢ ص ١٩٧

(٢) الانطلي : تاريخه ص ١٣٥

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٥٤٤

— وهو حدث معاصر لاخذهم انطاكية — عظمت شوكتهم ، وخافهم المسلمون في أقطار البلاد ، وصارت (أى البلاد) كلها مسيحية (أى لا حامى لها ولا مدافع عنها) لا تمنع عليهم ، يقصدون أيها شاموا . كما يشير ابن الأثير أيضا ، ويؤيده ابن كثير^(١) ، الى أطماع نقفور فوقاس في بلاد الاسلام بقوله : « أنه — أى نقفور — جعل همته قصد بلاد الشام ، والاستيلاء عليها . وتم له ما أراد ، باشتغال ملوك الاسلام بعضهم ببعض ، فدوخ (أى نقفور) البلاد وكان قد بنى أمره على أن يقصد سواد البلاد مينهه ويخربه ، فيضعف البلاد فيملكها . وغلب على الثغور الجزرية والشامية ، وسبى وأسر ما يفرج عن الحق ، وهابه المسلمون هيبة عظيمة ولم يشكوا في (أى توقعوا) أنه يملك جميع الشام ومصر والجزيرة وديار بكر لخلو الجميع من مانع .

كانت حلب وقتذاك يحكمها سعد الحولة بن سيف الحولة (٣٥٦ — ٣٨١ هـ) ولم يكن سعد الحولة كلبية عقلا وتديرا . فعصى عليه جند حلب سنة ٣٥٧ هـ ، فنزلها وبقى القتال عليها مدة ، واستولى الرعيلى على انطاكية ، وجاءت الروم ، فنزلوا عليها وأخذوها ، وهرب الرعيلى من باب البحر هو وخمسة آلاف أنسان ناجين بأنفسهم من الروم . فأسر هؤلاء أهل انطاكية ، وقتلوا أناسا من أكابرهم . وقال عظيم الروم لما ضيقوا عليه : « ارحل واخرب الشام كله وأعود اليكم من الساحل ورحل في اليوم الثالث ، ونزل معرة مصرين فأخذها ، وغدر بهم ، وأسر منهم أربعة آلاف ومائتى نسمة ثم سار الى عرقة فألقته . ثم سار الى طرابلس فأخذ ريفها ، وأقام في الشام أكثر من شهر ورجع ، فأرغسها أهل انطاكية بمال عظيم ، وأحرق حمص ، وقد أخلاها أهلها ، وملك ثمانية منبرا ، وعاد الى بلاده بالاسرى والاموال^(٢) .

(١) ابن الأثير : الكلل ج ٨ ص ٤٤٧ وابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٤٤ . وقد أوردنا القصيدة المسماة « القصيدة الأرمنية » ، النسوبة الى نقفور فوقاس ، حيث يتبين منها نيته تجاه الشعوب الاسلامية .

(٢) محمد كرد على : خطط الشام ج ١ ص ٢٠١ .

قال يحيى بن سعيد الانطليكي « أن نقفور فوكاس لما توجه الى الشام ، خلفه سعد الدولة فخرج عن حلب الى بئس ، واستخلف فيها قرقويه الحالبج ، ونزل الملك (نقفور) على انطاكية وأقام يومين ورجل في اليوم الثالث ، ونزل على معرة مصرين ، وأمن أهلها من القتل ، وكانت عدتهم ألفا ومائتي نفس ، وسيرهم الى بلد الروم ، وفتح معرة النعمان وحماه وحمص . وأخذ منها رأس القديس يوحنا المعمدان ، ونزل على طرابلس ، وأحرق ريفها ، وحاصر مدينة عرقة تسعة أيام ، وكان لها حصن منيع ففتحه بالسيف ، وأخذ منها خلقا كثيرا كانوا التجأوا اليه من الاقاليم المجاورة ، وأخذ منه مالا كثيرا ، وكان في الحصن أمير طرابلس أحمد بن نحرير الارغلي ٥٥٠ . وفتح حصن انطربطوس ومرتية وحصن جبلة ، وصالح أصحاب اللانقية عليها ، وخرب كثيرا من القرى ، وعبر بانطاكية ، وميز السبي الذي معه ، وأعتق عليها من الشيوخ والمجائز زهاء ألف نفس ، وبني حصن بغراس مقابل انطاكية في قم الدرب ، ورتب فيه رئيسا يقال له ميخائيل البرجي ورسم لسائر أصحاب الاطراف طاعته ، ورتب معه ألف رجل ورجل الى القسطنطينية ٥٥٠ (١) » .

ومما يدل على مدى غلظة وفضاعة نقفور ووحشيته في بلاد الاسلام ، ذلك للوصف الذي أورده ابن كثير مصحوبا « بالقصيدة الارمنية » من نظم بعض كتاب نقفور — ممن يعرفون العربية — والتي أرسلها نقفور فوكاس للخليفة العباسي « المطيع لله » (٣٣٤ — ٣٣٣ هـ / ٩٤٦ — ٩٧٤ م) . حيث يقول ابن كثير : « كان هذا الملعون — يقصد نقفور — من أغلظ القلوب ، وأشدهم كفرا ، وأقواهم بأسا ، وأحدهم شوكة ، وأكثرهم قتلا وقتالا للمسلمين في زمانه . استحوذ في أيامه — لعنه الله — على كثير من السواحل ، وأكثرها انتزعها من أيدي المسلمين قسرا ، واستمرت في يده قهرا ،

(١) الانطليكي : ناريخه ، ومحد كرد على : خطط الشام ١/

(٢) هو أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المعتز بالله بن المعتز المعتضد العباسي

وأضيفت الى مملكة الروم قدرا (١).

ولا يفوت ابن كثير أن يورد السبب الذي مكن نفقور من رقباب المسلمين وبلادهم آنذاك فيقول : « ... وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم ، وكثرة المضيان من الخبايا والعام منهم ، وفشو (انتشار - أو شيوع) البدع فيهم ، وكثرة الرفض ، والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلهذا أديب عليهم (تغلب عليهم) أعداء الاسلام ، فانزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ، ونكد العيش ، والفرار من بلاد إلى بلاد ، فلا يبيتون ليلة الا في خوف من قوارع الاعداء ، وطوارق الشرور (أي النوازل) المتردفة (أي المتتالية) ... وقد كان - لعنه الله - لا يدخل في بلد الا قتل المسالطة ، وبقية الرجال ، وسبى النساء والاطفال ، وجعل جامعها اصطیلا لخيوله ، وكسر منبرها ، واستنكت مأذنتها بخيله ورجله وطبوله (٢) » .

وقد أرسل قصيدة الى الخليفة المطيع لله العباسي ، نظمها له بعض كتابه - ممن كان قد هذله الله وأذله - هذا نصها :

من الملك الطهر المسيحي مالك	الى خلف الأملاك من آل هاشم
الى الملك الفضل المطيع أخى العلا	ومن يرتجى للمعضلات العظام
أما سمعت أذنك ما أنا صانع	ولكن دهاك الوهن عن غلبهازم
فإن تك عما تقلدت نائم	فأنى عما همى غير فائهم
ثغورك لم يبق فيها لو هنكم	وضعكم الا رجوم المعالم
فتحننا الثغور الأرمينية كلها	بفتيان صدق كالليوث الضراغم
ونحن صلبنا الخيل تلك لجمها	وتبلغ منها قسمنها للشككم
الى كل ثغر بالجزيرة أهل	الى جند قنسرينكم فالعواجم
مطوية مع سميحنا من بعد كركر	وفي البحر أضلاع الفتوح التواجم
وبالحدث الممرء جالت عساكرى	وكيسوم بعد الجعفرى للمعالم

(١) راجع ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٢٤ - ٢٢٦

(٢) ابن كثير : المصدر السابق ج ١١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦

وكم قد ذللنا من أمزة أهلها
وسد سروج اذ خرنا مجمعا
وأهل الرها لا ذوا بنا تحزبوا
وصبح رأس العين منا بطارق
ودارا وميلافارقين وأرزنبا
واقريطش قد جازت اليها مراكمي
فحزتهم أسرى وسيقت نبأؤهم
هناك فتحنبا عين زرية عنوة
الى حلب حتى استبحنا حريمها
أخذنا للنساء ثم البنات نسوقهم
وقد فرعنها سيف حولة دينكم
ولنا على طرسوس ميلة هازم
فكم ذات عز حرة علوية
سبينا لمسقنا خاضعات حواسرا
وكم من قتيل قد تركنا مجندلا
وكم وقفة في الحرب ألفتكم
ولنا على أرياحكم وحريمها
فأهوت أهلها وبهدل رسمها
إذا صاح فيها اليوم جاويه الصدى
وانطسك لم تبعد على واننى
ومسكن آسائى فمشق فأننى
ومصر سافتحها بمسفى عنوة
وأجزى كلفورا بما يستحقه
إلا شمروا يا أهل همدان شمروا
فان تهرموا تتجوا كراما وتسلموا
كذلك نصيين وموصلها الى

فصاروا لنا من بين عبد وغادم
لنا رتبة تلو على كل قائم
بمعدن مولى علا عن وصف آدمي
بييض غزوناها بضرب الجمالجم
أخذناهم بالخيال طعم العلام
على ظهر بحر مزيد متلاطم
خوات الشعور المسيلات النواعم
نعم وأبدنا كل طاغ وظالم
وهدم منها سورها كل هادم
وصبيانهم مثل الماليك ضادم
وناصرهم منا على رغم راغم
اذ إن فيها احز العلام
منعمة الاطراف ربا المعاصم
بغير مهور ، لا ولا حكم حاكم
يصب دما بين اللها واللاهزم
وسقناهم قسرا كسوق البهائم
مدوخة تحت العجاج السواهم
من الأنس وحشا بعمعض نواعم
واتبعه في الريح نوح الحمائم
سافتحها يوما بهتك الحارم
سأرجع فيها ملكنا تجت خاتنى
وأخذ أهوالا بها ويهائى
بمشط ومقراض وقص محاجم
أتكم جيوش الروم مثل القمام
من الملك الصادى بقتل المسالم
جزيرة آيائى وملك الإقام

سأفتح سامرا وتوثا وعكبرا
واقتل أهلها الرجال بأسرها
ألا شعروا يا أهل بغداد ويلكم
رضيتم بحكم الديلمي ورفضه
ويأقاطمي الرملات ويلكم أرجعوا
وعودوا إلى أرض الحجاز أذلة
سألقى جيوشا نحو بغداد سائرا
وأحرق أعلاها وأهدم سورها
وأحرق أموالا بها وأسرة
واسرى بجيشي نحو الأهواز مسرعا
وأشعلها نهباً وأهدم قصورها
ومنها إلى شيراز والري فأعلموا
إلى شاس وبلغ بعدها وأخواتها
وسابور أهدمها وأهدم حصونها
وكرمان لا أنس سجستان كلها
أسير بجندی نحو بصرتها التي
إلى واسط واسط العراق وكوفة
وأخرج منها نحو مكة مسرعا
فأملكها دحرا عزيزا مسلما
وأحوى نجدا كلها وتهاونها
وأغزو يمانا كلها وزبيدها
فأتركها أيضا خرابا بلا قعا
وأحوى أموال اليمانية كلها
أعود إلى القدس التي شرفت بها
وأعلو سريزي للمسجود معظما
هنالك تخلو الأرض من كل مسلم

وتكريتها مع هاردين العواصم
وأغنم أموالا بها وحرائم
فلكم مستضعف غير رائم
فصرتم عبيدا للعبيد الديالم
إلى أرض صنها راعين البهائم
وغلو بلاد الروم أهل المكارم
إلى باب طاق حيث دار القماقم
واسبى ذرا ريبها على رغم راغم
واقتل من فيها بسيف النقائقم
لاحرز ديباج وخز الواسم
واسبى ذرا ريبها كقتل الاقدام
فراسلن قصرى والجيوش دحارم
وغرغته مع مروها والمخازم
وأوردها يوما كيوم السمائم
وكاملها الثلثي ومالك الاعاجم
لها بحر عجاج رائع متلازم
كما كان يوما جنفا ذو المزائم
أجر جيوشا كالليالي السواجم
أقيم بها للحق كرسى عالم
وسوا واتهام منجج ومخاطم
وصنماءها مع صعدة والتهايم
خلاء من الأهلين أهل نعمائم
وما جمع القرماط يوم محارم
بمنزمكن ثابت الأصل قائم
وتبقى ملوك الأرض مثل الفوادم
لكل نقي الدين أغلف زاعم

نصرنا عليكم حين جارت ولانكم
قضائكم بأعداء القضاء بدينهم
عدو لكم بالزور يشهد ظاهرا
سأفتح أرض الله شرقا وغربا
فعمسى علا فوق السموات عرشه
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى
تثولتم أصحابه بعد موته

واعلمتموا بالانكرات العظام
كبيع ابن يعقوب ببخس الدراهم
وبلائك والبراطيل مع كل قائم
وانشر ديننا للصليب بفسارنى
يفوز الذى والاه يوم التفاسم
ففسار رفاتا بين تلك الزمائم
بسب وقذف وانتهاك المحارم

كما يذكر الانطاكي^(١) « أن المسلمين أيقنوا أن « نفقور فوكاس » سوف يستولى على كل بلاد الشام وسائر الاقاليم . اذ أصبحت اغارات متعة لمساكره ، خلصة وانهم لم يكونوا يواجهون مقاومة أو هجوما مضادا . بل كانوا يسيرون أينما شاءوا ، فيدمرون ويخربون ما يريدون ويشتهون ، دون أن يلتقيهم أو يواجههم أحد المسلمين ، يحول بينهم وبين بغيتهم » . وذلك لما انتاب العالم الاسلامى وقتذاك — القرن الرابع — من تفكك ، وتنازع على السلطات ، وعلى امامة المسلمين ، فضلا عن المنازعات الداخلية في كل قطر أو اقليم .

لذلك كانت النتيجة الطبيعية لكل تلك الاوضاع المتسدية ، التى عاشها العالم الاسلامى وقتذاك ، ان انساح نفقور بقواته في بلاد الاسلام ، دون أن يجد من يردعه . أما المؤرخ اليونانى (البيزنطى) ليز الثعاس — وكان معاصرا لأحداث القرن الرابع الهجرى في نصفه الأخير — فقال — بزهو — عن نفقور انه لو لم يلق مصرعه لاستطاع أن يعد أطراف دولتهم (البيزنطية) الى الهند شرقا ، وإلى تخوم الأرض غربا أى الى المحيط الأطلسى^(٢) . وهو ما عقبت عليه سابقا . فلما تسلط يوحنا نيمسكيس عرش الامبراطورية البيزنطية —

(١) الانطاكي : تاريخه (صله اوتيجا) منشور في مجلة Patrologia Or. 8, 826-828 . وراجع ابن كثير : البداية والتهلة ١١/٢٤٣ —

٣٤٤ والعربى : الدولة البيزنطية ص ٤٢٦ .

(٢) من العربى راجع : Schlumberger, L' Epopee, P. 324.

خلفا لـ **نقفور فوكاس** — (٩٦٩ — ٩٧٦ م / ٣٥٩ — ٣٦٦ هـ) وإلى سياسة الفتوح في **كيليكيا** (قلقية) وسورية . لكنه في السنوات الأولى من حكمه ، لم يشارك في الحروب بنفسه في الجبهة الشرقية ضد المسلمين . وذلك بسبب انشغاله بحرب الروس والبلغار وثورة « **باراداس فوكاس** » *Barades Phocas* . وقد وفق **يوحنا زيمسكيس** في مواجهة الروس والبلغار ، واخماد ثورة **باراداس فوكاس** ، كما تغلب على المشاكل التي واجهت الامبراطورية البيزنطية في ايطاليا ، بمصاهرة وارث التاج الالمانى **اوتو الثانى** *Otto II* امپراطور المستقبل ، مما اتاح له فرصة التفريغ للجبهة الاسلامية في بلاد الشام ^(١) .

كانت أولى الحملات التي شنّها الروم على منطلق الثغور الاسلامية في عهد **زيمسكيس** ، بقيادة القائد **ملياس** (**مليح الأرضي** عند العرب) في سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م) . فقصده الى اقليم الجزيرة ، حيث أغار على مدينة الرها (**أديسا** *Edessa*) ، وبلغ نصيبين فملكها وأحرقها وسبى من المسلمين ، وفعل مثل ذلك في ديار بكر . ولم يستطع **أبو تغلب الحمصاني** أن يحرك ساكنا لصد هذه الحملة البيزنطية ^(٢) . بل أنه — أى **أبى تغلب** — دفع للقائد البيزنطى مبلغا من المال مقابل الكف عن عوانته ، ولاطفه ، وهاداه ، ومازاه . (أى قدم له الميرة ومالآه) وقاد اليه الخيل المتاع ، ومما هو عون للكثرة على الايمان ، وكان فيما اتصفه به للخمر الذي حظر الله عليه أن يشربها ويستقيها ، وصليان ذهب صافها له وتقرب بها اليه ^(٣) .

(ب) موقف الخلافة العباسية من هذه الأحداث :

أحدثت هذه التطورات على جبهة الشام رد فعل غاضب وعنيف بين جماهير المسلمين في بغداد . — عاصمة الخلافة العباسية — التي سارت في تظاهرات أمام دار الخلافة ، واتهمت الخليفة المطيع

Vasiliev : Hist. of Byz. Emp. P. 316, and Camb. Med. Hist. (١)

Vol., 4 P. 174.

Camb. Med. Hist., Vol., 4 P. 147. (٢)

(٣) الصليبي : رسائل الصليبي ج ١ ص ٨٩ .

فه بن المقبدر (٢٣٤ — ٣٦٣ هـ / ٩٤٦ — ٩٧٤ م) بالعجز عن مناجزة الروم ومناقضتهم ، فوعد بشن الغارة عليهم . وكتب بذلك الى أبى تغلب الحمدانى يأمره باعداد المدة لذلك انغرض^(١) . وفى ذلك يذكر ابن مسكويه^(٢) : « . أن الكتب وردت عليه (أى على الخليفة المطيع لله) بأن الروم غزوا نصيبين فملكوها ، وأحرقوها ، وقتلوا الرجال ، وسبوا الخراى ، ثم ورد خلق من ديار ربيعة وديار بكر ومدينة السلام (بغداد) ، واستنفروا المسلمين فى المساجد الجامعة ، والأسواق ، وحكوا انفتاح الطريق للروم ، وأنه لا مانع لهم من ثورد ديارهم ، وهى متصلة بالعراق . فلما تجمع معهم خلق من أهل بغداد ، ساروا الى دار المطيع لله ، وحاولوا الهجوم عليها ، وقاموا ببعض من شبابيكها ، فأغلقت الأبواب دونهم ، بعد أن كادوا يصلون اليه ويأتون عليه ، فاسمعه مأكره ، ونسبوه الى العجز . عما أوجب الله على الأئمة ، وتجاوزوا ذلك الى ما يقبح ذكره » ، وقد أيدته فى ذكر هذه الحادثة ووصفها أيضا ابن الأثير^(٣) .

على أن موقف المسلمين تحسن قليلا ، بفضل ما أحرزه هبة الله ابن ناصر الدولة الحمدانى من مصر على الروم فى فيمارقين ، آخر شهر رمضان ٣٦٢ هـ وأمره للدمستق (القائد) الذى حبسه أبو تغلب الحمدانى . فساعات حالة الدمستق فى الأسر ، ولم يلبث أن مات فى ٤ يوليو ٩٧٣ م (٣٦٣ هـ)^(٤) . « وكانت عدة الدمستق غظيمة كثيفة ، لكنه انحصر فى مضيق لا تجول فيه العساكر ، وكان الدمستق فى أول عسكره على غير أهمية تامة ، فانهزم الروم ، وأخذ الدمستق أسنبا . وتمكن المسلمون منهم ، وأعز الله دينه ، وكثر القتل والأسر فى الروم ، حتى أرسلت الكثير من رؤوس . وأيدي قتلاهم لبغداد لتعشر هناك » ، ولترفع من معنويات عامة المسلمين . « . بعد أن أثر فيهم ما وقع قبل

-
- (١) ابن الوردى : تلمة المختصر ٤٤٣/١ — ٤٤٤ .
 (٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٣٠٣ — ٣٠٤ .
 (٣) ابن الأثير : الإكليل ج ٨ ص ٢٤٤ .
 (٤) ابن الوردى : تلمة المختصر ج ١ ص ٤٤٥ .

ذلك على يد مليح الأرمني في نصيبين والرها وديار بكر سنة ٣٨١ هـ (٩٧١ م)^(١) .

ومن ناحية أخرى ، حاول الخليفة الفاطمي — حاكم مصر وجنوب بلاد الشام — استعادة مدينة انطاكية في سنة ٣٨١ هـ^(٢) . لكن اغارات القرامطة على القوات الفاطمية ، اضطرتته إلى فك الحصار عن المدينة ، فأرسل الروم إليها ميخائيل البرجي حاكما ، فلعاد بناء مسور المدينة (انطاكية) الذي تهجم^(٣) .

وعلى الرغم من انشغال زيمسكيس بحروبه ضد الروس والبلغار ، التي لم يفرغ منها نهائيا حتى ٩٧٤ م (٣٨٣ هـ) فإنه سار في هذا العام (٩٧٤ م) على رأس حملة إلى الجبهة الشرقية (الاسلامية) لتأمين الحدود مع أرمينية ، وتدعيم النفوذ البيزنطي هناك . حيث عقد حلفا مع حكامها ، وور في طريقه بآمد وميفارقين ونصيبين^(٤) .

وقد تميزت حملة زيمسكيس هذه بالرسالة التي كتبها إلى حليفه الأرمني الملك آشو الثالث ملك أرمينية البجراطي . وهذه الرسالة تعتبر وثيقة هامة ، نستدل منها على أن خطة زيمسكيس كانت تهدف إلى السيطرة — بكسلفه نفقور فوكاس — على بيت المقدس وأخذها من المسلمين ، بحرب صليبية يشنها على العالم الإسلامي .

على أن يوجنا زيمسكيس — قبل أن يهبط إلى إقليم الجزيرة — عبر نهر الفرات ، وتوغل في إقليم طبارون (دارون) Daron بأرمينية ، المتاخم للشاطئ الغربي لبحيرة Van حيث أقام معسكرا

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٢٤٧ والعيني : الدولة البيزنطية ص ٤٧٤ ، ٤٧٩ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢١٢ .

Camb. Med., Hist., Vol., 4, P. 147.

(٣)

Schlumberger : L'Epopée, P. 244 - 245.

(٤) فيصل السامر : الدولة الصغديّة ج ٢ ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

أمام حصن أتزيابرد *Atsiz berd* المعروف بقلعة المعيز — وقد أخبرنا جروسية *Grousset* — نقلا عن ماثيو الادسي — أن حملة زيمسكيس العسكرية على الحدود الارمنية ، كانت قد سبقتها فترة من التوتر بين الامراء الارمن والامبراطورية البيزنطية . فلما تواتر خبر حملة زيمسكيس ووجهتها ، تجمع الامراء الارمن حول مليكهم آشو الثالث البجراطي ، وهم يتخوفون مما ستسفر عنه الأحداث المقبلة . وكان ممن حضر هذا التجمع بقواته : الابن الثالث لآشو الثالث وهو الامير جورجين أمير جوجارك ، وعباس (ابتر) *Abas* بن موشيل ملك قارص *Kars* نيابة عن والده ، والامير فلبيلب السيوني سيدكابان *Kaplan* باقليم ملك (شوشه) بـسيونيا الشرقية وعدد كبير من زعماء ارمنية وامرائها . وكلهم قد جمعهم شعور الكراهية ضد النفوذ البيزنطية^(١) .

وكان المكان الذي تجمع فيه الارمن بقواتهم هو منطقة هارك (الهرق ، *Hark* الهرق) بين ملازكردوزرنك *Zarnak* ، وهو موقع ملائم للدفاع عن اقليم الفاسبوركان واورمنية البجراطية ، ضد أية قوات بيزنطية ، يمكن أن تقدم من ناحيته اقليم طارون . وقد بلغ مجموع الحشد الارمني نحو ثمانين ألف مقاتل . وبمبنى آخر — كما يفكر جروسية — فكانت كل الأمة الارمنية مجمعة تحت السلاح في مكان واحد^(٢) .

فلما علم يوحنا زيمسكيس بتجمعات الارمن ، واستعدادهم للمقاومة ضد التدخل ، لم يستمر في خطته ، ايثارا منه لكيب ود الارمن ومنابرتهم له ، في جهوده المقبلة ضد عالم الاسلام . فتوعد للامراء الارمن ، وخلع عليهم الاقبا ، ومنحهم الرتب . وقد نجحت المساعي لمعوشه في عقد معاهدة سلام وتحالف ارمني — بيزنطي ليتفرغ للجهة مع المسلمين^(٣) .

Grousset : Hist. de L'Arménie, P. 495.

(١)

Grousset : Ibid., P. 496.

(٢)

Grousset : Ibid., P. 496.

(٣)

وعلى الرغم من مساعدة السلام والتحالف الأرمنية — البيزنطية التي عقدت ، إلا أن مشاؤون الروم من وقوع صدام بينهم وبين الأرمن ، ظلت مهيمنة على تحركاتهم وتصرفات الإدارة البيزنطية . لا سيما إذا علمنا أن أبناء إقليم طارون لم يكونوا راضين عن الانضمام في معاهدة تحالف ضد المسلمين^(١) .

وأيا كان الأمر فقد دل اجتماع الأرمن ، والتفافهم حول قائد واحد — هو ملكهم أنشوط الثالث الجبراطي — على ما كان في مقدور أرمنية أن تقطع طوال العصور الوسطى ، لو أن الانقسامات المستعمية في صفوف زعمائها الانقطاعيين لم تمتد قوتها . كما يجب ألا يغيب عن بالنا جنسية الإمبراطور زيمسكيس الأرمنية . مما جعلنا نفحص هل كان الإمبراطور — زيمسكيس الأرمني الذي تحول إلى الأرثوذكسية اليونانية وأصبح وريثاً للقيصرة — يحلم بضم وطنه الأصلي إلى أملاك إمبراطورية الروم ؟ أم أن سلالاته الأرمنية — على العكس من ذلك — أوقفت في آخر لحظة ومنعته من المضي في طريق الانفصال ؟ . فلعل هذا التعاطف العرقي العنصري اللا ارادي ، قد قوى في نفسه النواحي الحكيمة التي أملاها عليه مشهد الاستعدادات للمقاومة التي نظمها أنشوط وسائر الأمراء الأرمن وقتذاك . وكانت النتيجة هي أن أرمنية ، بدلاً من أن تدخل في صراع مع زيمسكيس ، زودته بأشجع جندها ، من أجل شن الحرب الصليبية البيزنطية التي جردها ضد العالم الإسلامي^(٢) ، والمعروف أن ملك أرمنية الجبراطي أنشوط الثالث (٩٥٢ — ٩٧٧م) كان قد اتخذ سياسة — السلمية والمهادنة منهجا في التعامل مع المسلمين . وبذلك استطاع أن يكسب ود الخليفة العباسي في بغداد ، بعد أن أنزل أنشوط الثالث الهزيمة بأحد الثائرين — على الخلافة — الذي عاش فسادا في أذربيجان والجزيرة وقتذاك^(٣) . وقد رأينا كيف خرج الملك الأرمني

Grousset : *Ibid.*, P. 496 - 497.

(١)

Grousset : *Ibid.*, P. 497 - 498.

(٢)

(٣) مير كمال تونيق : مقتبعت العدوان الصليبي من ١٧٢ — ١٧٣

Camb. Med. Hist., IV, P. 161.

أشوط الثالث وسائر أمراء أرمينية — رغم ما كان بينهم من خلافات داخلية — بجيش قوامه ثمانين ألف مقاتل للقضاء ورصد تحركات ذلك الامبراطور البيزنطى زيمسكيس ، الذى كان حريصا على تدعيم الوجود البيزنطى فى الجبهة الأرمينية ، قبل زحفه إلى بغداد (١) .

ولذلك أجرى زيمسكيس مفاوضات مع ملك أرمينية أشوط الثالث وأمراء أرمينية ، انتهت بمقد معاهدة بين الطرفين نصت بنودها على تعهد نظام الحكم الأرمينى بمساعدة الامبراطور البيزنطى فى عملياته العسكرية ضد المسلمين (٢) . وتبذلت المراسلات بين كل من الامبراطور البيزنطى زيمسكيس (وهو أرمينى الاصل) والملك الأرمينى « أشوط الثالث » كان من بينها تلك الرسالة التى يرجع تاريخها الى ما قبل عام ٩٧٥ م ، ونص الرسالة جاء فيه (٣) :

« يا أشوط يا شاهنشاه أرمينية الكبرى ، يا بنى الرومى أنصت الى ، ولتعلم الاعاجيب التى أتاها الرب لصالحنا ، وانتماراتنا التى تتم عن اعجاز ، والتى تدل على أنه يستحيل سبر غور العناية الالهية . واننا نريد يا صاحب المجد ، يا أشوط ، أن نطلعك على الدلائل الساطعة على الفضل ، الذى أضافه الرب الى نعمه هذا اعلم ، على يد جلالتنا ، وأن نبصرك بها . فأنت بوصفك مسيحيا وصديقا وفييا لجلالتنا ، سوف تسعد بذلك وتلهج بمظلمة مولانا المسيح السامية . وهكذا ستعرف أن الرب لا يكف عن حماية المسيحيين ، وهذا الذى أتاح لجلالتنا أن نخضع كل بلاد الشرق الفارسي . وستعرف كذلك كيف استولينا على نصيبين مدينة المسلمين وعلى مظاهرات البطريق القديس جاك (الصبى) وكيف أجبرناهم على دفع الجزية ، التى يدينون لنا بها ، وكيف أخذنا منهم الاسرى »

Camb. Med. Hist., IV, P. 161.

(١)

(٢) : العربى : الدولة البيزنطية ص ٤٧٦ / ٤٨٠ .

(٣) راجع مبر كمال توفيق : مقدمات العدوان الجليلي ص ١٦٥ — ١٧١ .

« لقد كانت حملتنا تهدف أيضا الى الاقتصاد من كبرياء أمير المؤمنين وزهوه ، وهو ملك الافريقيين المعروفين بالحرب المفارية ، (وهو يقصد الخليفة الفاطمي) ، الذي كان قد تصدى لنا بقوات هائلة عرضت جيشنا في البداية لخطر^(١) . ولكننا هزمناها بعد ذلك بفضل القوة وعون الرب . فانسحبت في خزي ، شأنها شأن أعدائنا الآخرين ، وعندئذ جعلنا من أنفسنا سادة على بلادهم ، حكمنا بقطع رقاب أهالي عدة أقاليم ، وبعد ذلك تمغننا بالانسحاب وعدنا الى قواعدنا الشتوية . »

« واذا كسا قد أطلعناك ، يا صاحب المجد ، على جميع هذه الحقائق ، فلكي يثير سردها فيك الإعجاب . . وحتى تلم بالأعمال العظيمة ، التي تم انجازها في هذا الزمن ، وما أكثر عددها . . »^(٢) وفي خريف عام ٩٧٤ م ، (٣٦٣ هـ) سار زيمسكيس بقواته جنوبا ، فأغار على الجزيرة (ما بين النهرين) وعبر الفرات من ناحية ملطية ، ثم يمم نحو الجنوب الغربي ، قاصدا آمد على نهر دجلة ، التي كان المسلمون قد استعادوها — بعد أن هزموا ملجح الأرمني بقواته — فاستولى زيمسكيس عليها ، واقتدى أهلها بأنفسهم ، بما دفعوه من أموال وفيرة . كما هاجم الجيش البيزنطي مدينة ميافارقين فنهبها ، وأشعل فيها الحرائق . وحازت قوات الروم منها الكثير من الخنائم . ثم توجهت الى نصيبين فاستباحوها بعد أن هجرها سكانها .

(١) لعل هذه تعتبر اشارة صريحة لما يكده الروم من خسائر ملاحه على يد القوات الفاطمية في مرحلة من مراحل المواجهة الإسلامية البيزنطية (الصليبية) . وبخاصة بوقعتي ربطة والمجاز أمام صقلية سنة ٣٥٤ هـ ، ثم الحملة الفاطمية التي هدفت الى استرداد انطاكية . سنة ٣٦١ هـ . راجع صابر دياب : سياسة الدولة الإسلامية من ٢٠٨ ق

Camb. Med. Hist., 4, P. 148.

(٢) الجدير بالذكر أن صحة هذا الخطب كانت موضع خلاف ونزاع . فثمة بعض النقاد يرون فيه عملا أدبيا ، على غرار الخطب ، التي يؤلفها المؤرخون اليونانيون واللاتين لإبطالهم . وإذا كانت الفقرات المتعلقة بالحملة على سوريا ولبنان قد أبدتها أمثال يحيى بن سعيد الانطاكي ، فإن الفقرات التي تتعلق بالجليل تبدو مبالغا فيها بدرجة كبيرة . راجع ممر كمال توفيق : ملحمات العدوان الصليبي من ١٧١ و

Grousset : Hist. de L'Arménie, P. 466 - 469.

وأقام بها زمسكييس الى أن تقرر الحال بينه وبين أبي تغلب بن حمدان على هنة ومال يتمهد أبو تغلب الحمداني ، بدفعه اليه سنويا على أن يدفع جانباً منه عاجلاً^(١) . وقد استولى يوحنا زمسكييس في هذه الحملة على بعلبك كما سلمت له دمشق صلحا ، وأقرت بدفع الجزية ، وخضعت له منطقة طبرية والناصرية وقيصرية صلحا^(٢) .

أما عن الموقف في الخلافة العباسية ، فقد خلع الخليفة العباسي المطيع لله (٣٣٤ — ٣٣٣ هـ) ، واعتلى ابنه « الطائع لله » عرش الخلافة سنة ٣٣٣ هـ^(٣) . وكان خلع المطيع لله بسبب ظهور عجزه عن مواجهة أخطار الروم ، وفشله في فض النزاع بين السنة والمشيعة فضلا عن فشله في اخمد ثورات واضطرابات العساكر الأتراك^(٤)

أما عن الرسالة التي أرسلها زمسكييس للملك الارمني آشوت الثالث الجراطي عام ٣٣٤ هـ (٩٧٥ م) ، والتي أوردنا بعضها منها فيما سبق ، فنتشير الى المواضع التي هاجمها الروم في ربيع هذا العام . إذ استولى على بانيساس ، وزحفوا الى طبرية وعين عليها حاكما بيزنطيا (استراتيجوس) ، ثم توجه زمسكييس بقواته الى عكا . حيث لم تجد قواته هناك أدنى مقاومة فاطمية ، فزحف حتى وصل الى قيسارية^(٥) .

على أن الملاحظ أن تلك الرسالة لم يرد فيها ما يشير الى مسير الجيش البيزنطي من انطاكية الى القسطنطينية . ولعل هذا

(١) العربي : الدولة البيزنطية ص ٤٨٠ .

Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 488.

(٢)

وصابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية ص ٢١٠ .

(٣) تولى « أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله » بن المطيع لله بن المقتدر بالله سنة ٣٣٣ هـ وظل يحكم حتى سنة ٣٨١ هـ (٩٧٤ — ٩٩١ م . راجع : زامبارو معجم الانساب والاسرات + بورغويونتنس : ادارة الامبراطورية ص ٢٣٠ .

(٤) العربي : الدولة البيزنطية ص ٤٨١ .

(٥) الانطاكي : تاريخه ص ١٤٥ .

Schlumberger : L'Fpopee Tome I, P. 843.

يوحى بأن هذه الرسالة تم تحريرها اما أثناء وجود القوات البيزنطية في أنطاكية ، أو أثناء سير زيمسكيس بقواته - وقد أسكرته خمر النصر - الى عاصمته القسطنطينية . ولما كان الامر فقد أسهم زيمسكيس بعمله هذا في اذكاء ونمو روح المبدء الصليبية البيزنطية ضد العالم الاسلامي ، وهي الروح التي كان قد أطلق شرارتها القائد البيزنطي الصليبي - ثم الامبراطور بعد ذلك - نقفور فوكاس^(١) .

وفي سنة ٣٣٦هـ (٨٧٦م) خرج يوحنا زيمسكيس ملك الروم في جيش عظيم من النصرانية ، كان أولها في منطقة عقاب الروح ، وآخرها في العزل من علاه قفرة النعمان ، فنزل على أفامية ، ثم رحل ففتح بطبك ، وأسر أهلها وكنوا قد تحصنوا في الملعب ، كما حاصر طرابلس ، ثم انصرف عنها^(٢) . ثم لم يلبث زيمسكيس أن مات في مستهل عام ٩٧٧م مسموما بيد ثيوفانو .

أثناء هذه الفترة كان الخليفة الفاطمي (العزيز بالله ٣٦٥ - ٣٨٦هـ) يرغب في حلب . فأنجد بكجور ضد سعد الدولة الحمداي الذي اضطر للاستعانة بالروم . فأمناه بجيش بقيادة ميخائيل البرجي صاحب أنطاكية ، الذي حلت به الهزيمة في عهد سعد الدولة^(٣) .

وفي عام ٣٦٨هـ رد الامبراطور البيزنطي باسيل الثاني ولاية اللاذقية الى كهروك ، لئسنة الغارة على طرابلس وما يليها ، وقتله وأسر من أهلها ومن المغاربة خلقا كثيرا^(٤) . ثم سار القائد البيزنطي الى حلب سنة ٣٧١هـ ، ليطالب سعد الدولة بمال الهدنة ، على أن يجعل للروم كل سنة ٤٠٠٠٠ درهم فضة نقية ، صرف كل عشرين

Ostrogrowsky : Hist. of Byz. State, P. 264.

(١)

(٢) ابن الوردي : تبة المختصر ٤٥٢/١ .

(٣) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ٢٨ والانتطكي تاريخه ١٧٦

وما بعدها .

(٤) محمد كرد علي : خطط الشام ٢٠٣/١ .

دروهم بدينار . وقد اعترف لهم سعد الدولة سنة ٣٧٣ هـ — بسبب اختلال البلاد عليه ، وسعيها الى تمديد الهدنة — بالسيادة وتمهد واداء الجزية السنوية لبستظل بالحماية البيزنطية ، هربا من السيادة الفاطمية (١) .

لكن سعد الدولة لم يلبث أن رفض أداء الجزية . فاستولى الروم على كليس ، وأوقعوا بجماعة من الحمدانيين ، وحاصروا أنامية وقاتلوا أشد قتال ، وجاءوا الى حلب . هذا بينما سار قرعويه الى دير سمعان فحاصره ثلاث أيام وفتحته بالسيف ، وقتل جماعة من رهبانه ، وسبى خلقا كانوا قد التجأوا اليه من انطاكية ، ودخلوا بهم الى حلب وأشهرؤا بها . كما أنفذ الروم سرية الى كفر طاب حيث أوقعت بالمرب وجماعة من الحمدانية (٢) .

وفي سنة ٣٧٦ هـ يتوتر الموقف أكثر بين الروم وصاحب حلب (سعد الدولة بن سيف الدولة) . حيث رفضوا الصلح معه حتى يدفع المتأخر عليه من الجزية . وسار الامبراطور بسيل المقدوني بجيشه فحاصر حلب ، وفتح حمص وشيزر ، وأقام على طرابلس . واستمرت معاهدة صاحب حلب منذ وقعها سعد الدولة الى سنة ٣٩٢ هـ — أي الى نهاية حكم سعيد الدولة أبو الفضائل (٣٨١ — ٣٩٢ هـ) (٣) .

وهكذا أصبحت الدولة الحمدانية بعد عزها على عهد سيف الدولة ، ذليلة خاضعة لسلطان غيرها في عهد من خلفه . ولا غرو فقد تتابذ المسلمون بالعداء ، وصار باسهم بينهم شحيد ، فلا جرم أن يطعم فيهم عدوهم .

لقد وقع القتال بين منجوتكين والقوات الحمدانية على أنامية فانهمزم الحمدانيون سنة ٣٨٢ هـ وقتل وأسر جماعة منهم ونزل منجوتكين على

(١) محيد كرد علي : خطط الشام ١/٢٠٤ .

(٢) محيد كرد علي : خطط الشام ١/٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٣) زيباور : معجم الانسلب ٢/٢٠١ + ابن خلكان : وفيات ج ١ ص ٦٤٠ .

حلب ووقع الحرب في جميع جوانب المدينة • ودخل الى أعمال الروم بسبب اعتقال البرجي (صاحب انطاكية البيزنطية) لرسوله ونزل على حصن في بلدة أرتاح فقاتله وسبى وقتل وسار إلى انطاكية فرشقه الانطاكيون بالنشاب • وعاد منجوتكين إلى منزلة حلب ورجع للقتال (١) •

أما في اللانقية فقد قام المسلمون هناك بثورة ضد الروم ، فتوجه اليهم ميخائيل البرجي ، وأخذ ثورتهم وسباهم وحملهم الى الروم • وفي سنة ٣٨٣ هـ تسلم منجوتكين امامية من وفاء خادم سيف للدولة ، ثم رحل إلى شيزر وقاتلها وتسلمها من سوسن غلام سعد الدولة وعاد ثانية لمنزلة حلب (٢) •

وقد طلب أبو الفضائل سعيد الدولة من الامبراطور باسيل أن ينجده - وكان باسيل يقاتل البلغار - فكلف باسيل نائبه بانطاكية « ميخائيل البرجي » ، بمساعدة أبي الفضائل ، جنى منجوتكين • فلما علم منجوتكين بذلك ، باذر للامانة الروم وهزمهم إلى انطاكية وأكثر القتل فيهم ، حتى بلغ ما جمعه من رؤوس قتلاهم نحو عشرة آلاف رأس حملت إلى مصر • وقد ذكر الانطاكي في ذلك أنه « قتل من الروم في هذه الواقعة التي دعيت بوقعة الخافضة عام ٣٨٤ هـ زهاء خمسة آلاف » ونهم منجوتكين إلى انطاكية ، ونهب رسا ثيقها وأحرقها • • وعاد منجوتكين إلى حلب • • فأنام عليها ثلاثة عشر شهرا ، فعاد صاحب حلب إلى مراسلة ملك الروم والاعتصام به (٣)

أرسل ملك الروم التبعة لصاحب حلب ، فلما شارفت النجدة البيزنطية المدينة ، أحرق منجوتكين الخرائن والأسواق ، والابنية ، التي كان قد استخذتها ، ورحل في الحال منها • أمام قوات باسيل البيزنطي الذي نزل على باب حلب ثم رحل •

(١) محمد كرد علي : خطا ١/ ٢١١ •

(٢) محمد كرد : نفسه / ٢١١ •

(٣) الانطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ، ومحمد كرد علي :

خطا : ١/ ٢١١ •

وهكذا ... يستعين المسلمون بحدو الله وعدوهم • تاركين الالتزام بقوله تعالى عز وجل : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقواه ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير) (سورة آل عمران : آية ٢٨) •

ومن ناحية أخرى ففي سنة ٣٨٦ هـ سير انخليفة الفاطمي العزيز بالله القائد منجوتكين لاحتل حلب^(١) • لكن الأمبراطور — باسيل الثاني (٩٧٧ — ١٠٢٥ م / ٣٦٦ — ٤١٦ هـ) — ظهر عند أسوار حلب ، وفك عنها حصار القوات الفاطمية وأخذ حمص وشيزر^(٢) • ثم عقد باسيل الثاني عام ١٠٠١ م (٣٩٢ هـ) صلحا مع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦ — ٤١١ هـ) ٩٩٦ — ١٠٢٥ م مدته عشر سنوات • واستمر الجو هادئا بين المسلمين والروم حتى وفاة الحاكم بأمر الله الفاطمي^(٣) •

وما أن انتهى الأمبراطور باسيل الثاني (٩٧٧ — ١٠٢٥ م) من توطيد نفوذه في أرمنية ، وينجح في تهدئة أو تبريد جبهة المواجهة مع المسلمين في بلاد الشام بمقده المهادنة سنة ١٠٠١ م (٣٩٢ هـ) مع الفاطميين ، حتى كرس كل جهوده لمصارعة البلغار والصقالبة وتعقبهم بالقتل والافناء حتى سمي باسم سفاح البلغار^(٤) •

على أن الصراع البيزنطي ضد الفاطميين حول حلب احتدم مرة أخرى ، بمجرد تخلص باسيل الثاني من متاعبه مع البلغار •

(١) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٥٠٢ •

(٢) ابن العديم : زبدة الطب ج ١ ص ١٩٢ • أبو الحسن : المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٠٣ — ٥٠٤ •

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٧٢ • فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢٠٠/٢ — ٢٠١ و : •

Camb. Med. Hist., IV, P. 147. and Schlumberger, L'Epopée, II, P. 201, 211.

Schlumberger : Ibid., II, P. 211.

(٤)

وصابر ديب : سياسة الدول الإسلامية ص ٢١٧/٢١٦ •

الامر الذى انعكس بآثاره السيئة على المدينة وأهلها • فعانت الكثير بسبب حروب الروم ضد الفاطميين وسيادتهم عليها ، بحيث صارت حلب كالكرة تارة يحتلها الروم ، وأخرى يستردها الفاطميون (١) •

بعد أن استعرضنا الحروب بين المسلمين يمثلهم آنذاك الحمدانيون وبين البيزنطيين نستطيع أن نستخلص ما يأتى :

١ — أن ما قام بين الحمدانيين والروم من حرب ، كانت ذات صبغة دينية للفريقين • فالمسلمون اعتبروها جهادا فى سبيل الله ، بينما وقف الروم فى وجه المد الإسلامى ، محاولين بدورهم نشر المسيحية أو على الأقل تثبيت مكانها ومكانة الكنيسة المزعومة فى قلوب الرعايا ، كما حرص الروم على استرجاع الايقونات Icons الدينية كالصور والصلبان ومنديل المسيح • يدلنا على ذلك محاولة ابن الشمشق غزو بيت المقدس ، وقد خرب كل من الفريقين المتحاربين العماير الدينية للجانب الآخر (٢) •

٢ — أدت هذه الحروب سالتى غالبا مابداها الروم — الى ايقاع الاضرار الاقتصادية والبشرية بكل من الطرفين • إذ أودت بهياة الكثير من سكان المدن والقرى ، وشردت من لم يقتل أو يمت ، وعطلت الزراعة والصناعة والتجارة ، حتى خلت مدن الحدود (المنعرج) من كل مظهر للحياة •

٣ — راح فى هذه الحروب عشرات الآلاف من الفريقين من مختلف الاجناس (٣) • •

٤ — حوادث هذه الحروب متكررة متشابهة وهى عبارة عن غارات — أغلبها صيفى — يشنها الفريقان على العواصم والثغور ، فيحرقون

Carned. : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 720.

(١)

صابر ديلب : سياسة الدول الاسلامية من ٢١٨ — ٢١٩ •

(٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢٠١/٢ •

(٣) فيصل السامر : المرجع نفسه ٢٠٠/٢ — ٢٠١ •

ويحمرّون ويسلبون. ويسبون ثم يعودون إلى قواعدهم^(١) .
 • إن الجاسوسية لعبت دوراً كبيراً في هذه الحروب . فلجأ إليها
 الفريقان المتحاربان . كما أن الروم استخدموا الرشوة لتفريق
 صفوف الحمدانيين ، الذين ظهر من بين أعوانهم بعض الخونة
 من أمثال رشيق القيسمي وقرعوية ويكجور^(٢) .

وعلى الرغم من أن العداء بين الحمدانيين والبيزنطيين كان
 مستحكماً ، إلا أننا نجد في فترات السلم القصيرة أو الهدئات —
 وبخاصة في فصل الشتاء — علاقات سياسية وأخرى تجارية
 بين الفريقين . هذا فضلاً عن العلاقات الدينية بين القسطنطينية
 والبطريركيات الشرقية الموجودة في بلدان المالم الاسلامي
 وأهمها : انطاكية وبيت المقدس (كنيسة القيامة) وكنيسة
 الاسكندرية^(٣) .

كما يجد الباحث في التاريخ البيزنطي عدة مراسلات رسمية
 بين الإمبراطرة من ناحية ، وبين الخلفاء العباسيين وأمرأه العباسيين
 وأمرأه سوريا وحكام مصر من ناحية أخرى . وقد أرسل
 الإمبراطور قسطنطين السابع (بورغوجنتس^(٤) ٩١٣ — ٩٥٩ م)
 كثيراً من السفارات إلى سيف الدولة بطلب ، ... أورد ذكرها كل من
 أبو فراس الحمداني والمقتنى^(٥) .

ويكفي أن نعلم أن عمليات تبادل الأسرى بين الحمدانيين
 والبيزنطيين ، وما استنزمت هذه العمليات من مفاوضات ومراسلات ،
 تعد أكبر دليل على أن العداء بين الفريقين (المسلمين والروم) لم يطل
 دون قيام علاقات سياسية بين الدولتين . فمثلاً المصالحة التي عقدت
 بينهم وبني قرعوية — أحد قادة الحمدانيين — ذات دلالة كبيرة على مكان

(١) ، (٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢٠١/٢ — ٢٠٢ .

(٣) فيصل السامر : نفس المرجع ٢٠٢/٢ .

(٤) هو مؤلف كتاب إدارة الإمبراطورية البيزنطية .

(٥) انظر فيصل السامر : المرجع السابق ٢٠٢/٢ وراجع

قائما وقتذاك من نشاط تجارى . كما كانت تعد خطوة كبيرة في سبيل تنظيم الشؤون المدنية بين الطرفين^(١) .

كذلك كان وجود نوع من الملائق الدينية بين الطرفين أمرا بالغ الأهمية ، بسبب وجود العناصر النصرانية التي تعيش في الدولة الإسلامية متمتعين بجو التسامح والأمان من جانب المسلمين . وقد أمدنا المؤرخ شيد Chedd بحقائق طريفة عن هذه العلاقات وعن ثورة الكتيمة ورجال الدين المسيحي في العالم الإسلامي ، وعن العلاقات التي قامت بينهم وبين الخلفاء والأمراء المسلمين ، والأساليب التي اتبعها رجال الدين النصارى ، للوصول الى كرسي البطريركية في المدن الإسلامية مثل : الموصل ونصيبين وبغداد^(٢) .

كما مر بنا ما ذكره المؤرخون من قبول سيف الدولة تبادل الهدايا مع الامبراطور البيزنطي نقفور فوكاس ، الذي أرسل اليه بخالا وثيابا وديباجا ومصوغات ذهبية ، ورد عليه بمثلا سنة ٣٥٣ هـ^(٣) . حيث قال ابن مسكويه : « وأقام نقفور على المصيصة وهادى سيف الدولة بهغال ودواب برثياب وديباج رومية وصياغات ذهب ، وقابله سيف الدولة بهدايا ، فصار سببا لحقن الدمسق في بلدان الاسلام ثلاثة أشهر ، لا ينازعه أحد ، ولا يمكنه فتح المصيصة ، وانصرف عنها لان البلد لم يعمل ، ووقع في أصحابه الوباء فاضطر الى الانصراف بعد أن حمل اليه مال المصيصة^(٤) » . ومفضلا عن ذلك يورد الصابى في رسائله أن أبا تغلب بن ناصر الدولة هادى ذلك الروم ، وقاد اليه الخيل الاصلية والخور وصلبان الذهب^(٥) . مما يؤكد قيام علاقات تجارية بين الطرفين — الحمدانيين والروم — وأن الروم حرصوا — برغم عدائهم للمسلمين — على صيانة هذه العلاقات وتدعيمها لمنفعتهم وأن المسلمين — رغم عدمهم بمشاعر

(١) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/٢٠٢ .

(٢) Shedd : Islam and the Oriental Churches P. 19٥ - 248 .

(٣) فيصل السامر : المرجع نفسه ٢/٢٠٤ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢/٢٠٨ -

(٥) الصابى : رسائل الصابى ١/٨٦ .

الروم العدائية — لم يمانعوا في ذلك تماجيا مع الحاجات الضرورية للبشر والامم •

هكذا تنتهى في هذه الفترة تماما — بعد سيف الدولة ٣٥٩ — ٣٩٤ هـ / ٩٦٧ — ١٠٠٤ م — سلطة الحمدانيين من حلب ، كما اختفت أيضا من الموصل منذ عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٨ م •

لقد كان خلفاء سيف الدولة في سوريا ، واقعين تحت سيطرة النفوذ البيزنطى ، بينما استمرت الحرب في منطقة بلاد الشام والهلل الخصب (الميزوبوتوميا) وهي الحرب التي فاز فيها الحمدانيون في اقليم الجزيرة بانتصار على الروم كان من أبرز معاملته أسر قائد الجيش البيزنطى •

ومن ناحية أخرى نجد أن امبراطورية الروم استطاعت كسب أراضى في هذه المواجهة مع المسلمين في أعلى الشام و اقليم الجزيرة • ثم يسود الهدوء تلك المنطقة لمدة ثلاثين عاما في النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (الماشر الميلادى) • وكان السبب في هذا الهدوء الذى شهدته جبهة الفخور الاسلامية البيزنطية في هذا الوقت ، يرجع الى انشغال الروم في مواجهة المتغيرات ، التى طرأت على منطقة الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، بانتقال الفاطميين من بلاد المغرب الى مصر ، التى اتخذوها مقرا لخلافتهم الشيعية • وكان القلق البيزنطى نابع من أحساسهم بأن الفاطميين — وكانوا قسوة بحرية لها وزنها آنذاك في عالم البحر المتوسط — اعتبروا مصر نقطة قوى يسيطون منها نفوذهم على بلاد الشام ، وصوبلا الى ديار الخلافة العباسية وأملاكها في الشرق •

الملاحق

ثبت بالاختصاص لمر الثمدين المفسرين
في فترة البحث

سلسلة الترتيب	اسم الشخصية وألقبه	فترة حكمه بالتقويم الهجري	فترة حكمه بالتاريخ الميلادي
١	أبو الفضل جعفر السوكل على آله بن المصمم	٢٢٢ - ٢٤٧ هـ	٧٤٧ - ٨٦١ م
٢	أبو جعفر محمد المنصور بالله بن السوكل على الله	٢٤٧ - ٢٤٨ هـ	٨٦١ - ٨٦٢ م
٣	أبو العباس أحمد المستعين بالله محمد بن المصمم	٢٤٨ - ٢٥٢ هـ	٨٦٢ - ٨٦٦ م
٤	أبو عبد الله محمد المزمع بالله بن السوكل	٢٥٢ - ٢٥٥ هـ	٨٦٦ - ٨٦٩ م
٥	أبو إسحاق محمد المهدي بالله بن الواثق	٢٥٥ - ٢٥٦ هـ	٨٦٩ - ٨٧٠ م
٦	أبو العباس أحمد المعتد على آله بن السوكل	٢٥٦ - ٢٧٩ هـ	٨٧٠ - ٨٩٢ م
٧	أبو العباس أحمد المعتد بالله بن الواثق بن السوكل	٢٧٩ - ٢٨٩ هـ	٨٩٢ - ٩٠٢ م
٨	أبو محمد علي الكلي بالله بن المعتد	٢٨٩ - ٢٩٥ هـ	٩٠٨ - ٩٠٨ م
٩	أبو الفضل جعفر المنصور بالله بن المعتد	٢٩٥ - ٣٢٠ هـ	٩٠٨ - ٩٣٢ م
١٠	أبو منصور محمد الناصر بالله بن المعتد	٣٢٠ - ٣٢٢ هـ	٩٣٢ - ٩٣٤ م

١٠	١١	أبو العباس أحمد الرازي بالله بن المقرئ .	٣٢٢ — ٣٢٩ م	١٢٤ — ١٣٤ م
٢١	١٢	أبو اسحق إبراهيم التقي بالله بن المقرئ .	٣٢٩ — ٣٣٣ م	١٤٠ — ١٤٤ م
٢٢	١٣	أبو القاسم محمد الله المستفي بالله بن الكشي	٣٣٣ — ٣٣٤ م	١٤٤ — ١٤٦ م
٢٣	١٤	أبو القاسم الفضل الملقب بالله بن المقرئ .	٣٣٤ — ٣٣٣ م	١٤٦ — ١٧٤ م
٢٤	١٥	أبو الفضل محمد الكريم الملقب بالله بن الملقب بالله	٣٣٣ — ٣٨١ م	١٧٤ — ١٩١ م
٢٥	١٦	أبو العباس أحمد العارف بالله بن اسحق بن المقرئ	٣٨١ — ٤٢٢ م	١٩١ — ٢٠١ م

• انتهت في هذه على •

١ — زابيلو: معجم الاسماء والامارات العنكبوتية في التاريخ الإسلامي من ترجمة حسن أحمد وحمود وسيد
كليف . (جردان) .

٢ — أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية (جردان) .

٣ — محمود سعيد عمران (مترجم) : كتاب ادارة الايدياعطورية البيرونيية لولاه الامير الطور قسطنطين المصليح
(بورغونجيتس) .

بيت الحميد القيين في حلب

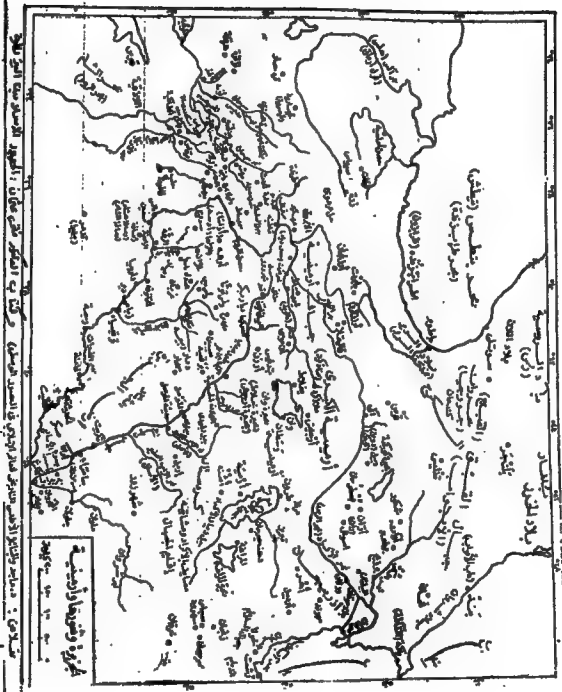
٢٢٢ - ٢٢٤ هـ / ١٤٤ - ١٤٥ م

اسم والقب	بترة الحكم بتاريخ الهجري	بترة الحكم بتاريخ الميلادى	مسلط
أبو الحسن طي ، سيد الدولة الصمداني	٢٢٢ - ٢٥٦ هـ	٩٤٤ - ٩٦٧ م	١
محمد الدولة ، أبو المظفر فريد الصمداني	٢٥٦ - ٢٨١ هـ	٩٦٧ - ٩٩١ م	٢
سعيد الدولة أبو الفضل سعيد الصمداني	٢٨١ - ٢٩٢ هـ	٩٩١ - ١٠٠١ م	٣
أبو الحسن علي أبو المظفر فريد الصمداني	٢٩٢ - ٣١٤ هـ	١٠٠١ - ١٠٠٢ م	٤

بيت بلسهه الإبراهيمية الفيديفون
في فترة المبعث

مسلسل	التوقيت بين الإبراهيمية	اسم الخلية ولقبه	فترة حكمه بالتقويم الهجري	فترة حكمه بالتاريخ الميلادي
١	٤١	مخايل الثالث « السكر » (الأميرة القويبة) *	٨٤٢ - ٨١٧ م	٢٢٧ - ٢٥٢ م
٢	٤٢	بلسيل الأول *	٨١٧ - ٨٨٦ م	٢٥٢ - ٣٢٧/٢٧٢ م
٣	٤٣	ليو السادس « الحكيم »	٨٨٦ - ٩١٢ م	٢٧٢ - ٣٠٠/٢٩٩ م
٤	٤٤	المسكندر	٩١٢ - ٩١٣ م	٣٠٠/٣٠١ م
٥	٤٥	قسطنطين السابع (يوريجر فينيس) القويك معه رومانوس الأول ليكابينوس من ٩١٩-٩٤٤ م	٩١٣ - ٩٥٩ م	٢٠١ - ٢٤٨/٢٤٧ م
٦	٤٦	رومانوس الثاني *	٩٥٩ - ٩٦٢ م	٢٤٧/٢٤٨ - ٢٥٠ م
٧	٤٧	نقور فوكاس *	٩٦٢ - ٩٦٩ م	٢٥١ - ٢٥٨ م
٨	٤٨	يوحنا زيسكس (ابن القويكوف عند العرب)	٩٦٩ - ٩٧١ م	٢٥٨ - ٣١٦/٣١٥ م
٩	٤٩	بلسيل الثاني « مسطاح البطر » *	٩٧١ - ١٠٢٥ م	٣١٦ - ٤١٦ م

* اتممت في هذا البيت على كلب إدارة الإمبراطورية البيزنطية الذي كنهه الإمبراطور قسطنطين السابع (يوريجر فينيس) ونقله للمربية الكور محمود سعيد ميران .
كما وامت التواريخ الميلادية بالتواريخ الهجرية على وجه الترتيب محجدا على كلب اللواء مختل الهامى بلسا :
« التوبيقات الإلهامية » *





المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

(١) المصادر العربية :

- ١ — ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) ، على بن أحمد بن أبي
الكرم — الكامل في التاريخ . ط . بولاق ، مصر ، ١٢٧٤ هـ .
١٢ جزءا .

- ٢ — ابن الاثير .

تاريخ الفارسي (تاريخ ميافارقين) .

- ٣ — الاصطخرى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ، أبو اسحق ابراهيم
ابن محمد الفارسي الاصطخرى المعروف بالكرخي .
— مسالك الممالك . نشرة دى غوية ضمن المجموعة الجغرافية
العربية . الجزء الاول من المجموعة . طبعة لندن ،
بريل ١٩٢٧ و ١٩٢٧ م .

- ٤ — الاصطخرى (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) ، أبو الفرج .
— كتاب الاغانى . ط . القاهرة ، ١٢٨٥ هـ ، ط . ١٩٢٧ .
١٩٣٦ م .

- ٥ — الانطاكي ، يحيى بن سعيد (أفتيشيسوس) .

— تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي (يلى تاريخ سعيد بن
البطريق المسمى « كتاب التاريخ المجموع على التحقيق
والتصديق » والمعروف بصلة أوتيا . نشره كراتشكوفسكى
وغازيليف في مجلة

Patrologia Orientalis, vol. : 8, 9, 1924.

موجود بمكتبة مير الآباء الدومينيكان ، الباسية ، القاهرة

2898/1 — F — 16, 2901/1 — F — 16

مصر برقم

٦ — اليلاندري (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) أحمد بن يحيى بن جابر
— كتاب فتوح البلدان • نشره ووضح ملاحقه وفهارسه
الدكتور صلاح الدين المنجد ، النهضة المصرية ، القاهرة
١٩٥٦ / ١٩٥٧ م •

٧ — بورغويونتس ، قسطنطين السليم « الامبراطور » •

— كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية • تعريب وعرض
وتحليل وتعليق دة محمود سعيد عمران ، طبعة دار النهضة
العربية ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م •

٨ — الثعالبى (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد الملك
ابن حمدان اسماعيل النيسابورى •

— بتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر • تحقيق محمد مصطفى
الدين عبد الحميد ، القاهرة ، طه مصر ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م
وطه ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م •

٩ — ابن الجوزى (٥٠٨ هـ - ٥٩٧ هـ) أبو الفرج عبد الرحمن
أبن على بن محمد بن على •

— المنتظم فى تاريخ الملوك والامم • ١٥ أجزاء ، الطبعة
الاولى ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن
١٣٥٧ هـ •

١٠ — ابن حزم (ولد ٣٨٤ وتوفى ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) أبو محمد
على بن أحمد بن سعيد الاندلسى •

— جمهرة أنساب العرب • تحقيق عبد السلام محمد
خارون ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م •

١١ — ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) أبو القاسم محمد •

— صورة الارض • طه بريلى ، لندن ، ١٩٦٧ م ، نشره
J.H. Kramers ضمن المجموعة الجغرافية العربية (B.A.G.)

١٢ — ابن خرداذبة. (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م) ، عبد الله بن أحمد ابن خرداذبة أبو القاسم .

— المسالك والممالك . نشره دى غوية ، ضمن المجموعة العربية (الجزء السادس من المجموعة ، طه بريل ، ليدين ١٩٦٧ م ومعه نسخ من كتاب الفراج وصنعة الكتابة لقدماء بن جعفر) .

١٣ — ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) ولى الدين و عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون الحضرمي .

— تاريخ التعبير. وديوان المبتدأ والخبر. في ذكر أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصروهم من قوى السلطان الأكبر . طه بولاق ، مصر ، ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م (٨ أجزاء)

١٤ — ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م) شمس الدين أحمد — وفیات الاعيان . طه القاهرة ، ١٣١٠ هـ .

١٥ — الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ الذهبي .

— تاريخ دول الاسلام . مخطوطة مصورة من نسخة المكتبة الاحمدية بحلب ، محفوظة بمعهد المخطوطات العربية بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة ، مصر تحت رقم ٥٨٠ / ٦٥ .

ونسخة أخرى عن حيدر آباد ، الدكن ، الهند . طه مطبعة جمعية دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧ هـ . و ١٣٦٤ هـ . وقد نشر في القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ باسم « تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام » .

١٦ — ابن رسته (ت حوالي ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م) ، أبو علي أحمد بن عمر — الاغلق النفيسة . نشره دى غوية ضمن المجموعة العربية ، طه ليدين ، بريل ، ١٩٦٨ م .

- ١٧ — ابن الشحنة (ت ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) ، محب الدين شيخ الاسلام أبو الوليد محمد .
- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب . طه مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت .
- ١٨ — ابن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) ، عز الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن خليفة الحلبي .
- الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة . مخطوط مصور بمعهد المخطوطات بجامعة أندول العربية ينتهي الجزء الأول منها عند سنة ٣٩٣ هـ ، وعدد أوراقه ١٥٠ ورقة .
- ١٩ — الصابى (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) ، المصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد — رسائل الصابى .
- ٢٠ — الصولى (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) أبو بكر محمد بن يحيى .
- أخبار الراضى بالله والمتقى لله (أو تاريخ الدولة العباسية من ٣٣٢ هـ إلى ٣٣٣ هـ من كتاب الأوراق) .
نشره هيوارث دن ، القاهرة ، ١٩٣٥ م .
- ٢١ — الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
- تاريخ الامم والملوك . نسخة بريل ، لندن ، ١٩٦٨ م .
١٣ جزء
- ونسخة أخرى طه المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١١ جزء
- ٢٢ — أبو الطيب المتنبى .
- ديوان المتنبى . شرح النيازجى ، طه بيروت ، ١٨٨٧ م .
- ٢٣ — ابن ظافر الأزدي (ت ٦٢٣ هـ) ، جمال الدين أبو الحسن على ابن كمال للدين بن حسين الأزدي المصري .
- كتاب أخبار الزمان في تاريخ بني العباس أو كتاب أخبار

الدول المنقطعة • مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ، القاهرة
تحت رقم ٨٩٠ / تاريخ •

٢٤ — ابن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) •

— مرآصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع • تحقيق
البحاوي ، طه دار احياء الكتب العربية •

٢٥ — ابن العبري (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) جريجوريوس أبو الفرج
ابن هارون الملقب المعروف بابن العبري •

— تاريخ مختصر الدول • طه ثانية ، المطبعة الكاثوليكية ،
بيروت ١٩٥٨ م •

٢٦ — ابن العديم (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦١ م) ، كمال الدين أبو القاسم
عمر بن أحمد بن هبة الله •

— زبدة الطلب من تاريخ حلب ، نشره محمد سامي الدهان
دمشق ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م •

٢٧ — ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) •

— شذارات الذهب في اخبار من ذهب • نشر مكتبة القدس ،
القاهرة ، ١٣٥٠ هـ •

٢٨ — أبو الفدا (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين
اسماعيل صاحب حماة •

— المختصر في اخبار البشر : « المعروف بتاريخ أبي الفدا »
طه استيعول ١٢٨٦ هـ (٤ أجزاء في مجلد واحد)

٢٩ — أبو فراس (ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ - ٩٦٨ م) الحارث بن سعيد
ابن حمدان •

— ديوان أبو فراس ، شرح ابن خالوية أبو عبد الله الحسين
ابن محمد بن أحمد (٣٠٠ - ٣٧٠ هـ) ، تحقيق فهد سامي

الدهان ، طه دمشق ، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات
العربية ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٤٤ م .

— ونسفة أخرى طه بيروت ، ١٩١٠ م .

٣٠ — قدامة بن جعفر (ت حول ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) ، أبو الفرج بن
جعفر الكاتب البغدادي .

— نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتاب . نشره دى غوية ،
ليندن ، بريل ، ١٨٨٩ م .

— ونسفة أخرى ملحقه بكتاب المسالك والممالك لابن
خراداذبة ، الجزء السادس من المجموعة الجغرافية العربية ،
نشر دى غوية ، طه بريل ليندن ، ١٩٦٧ م .

٣١ — القرطبي ، عريب بن سعد (ت ٣٩٦ هـ / ٩٧٦ — ٩٧٧ م) .
صلة تاريخ الطبري . نشر دى غوية ، ليندن ، بريل ، ١٨٩١
ونسفة أخرى طبعة القاهرة ، ١٣٢٠ هـ .

٣٢ — ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ، أبو يعلى حمزة .

— ذيل تاريخ دمشق . نشر وتحقيق أمبروز (Ambrósio)
طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ م .

٣٣ — القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) شهاب الدين أبو العباس
أحمد بن علي

— ضبيع الاخشى في صناعة الانشا . طبعة المطبعة الاميرية ،
القاهرة ، ١٣٣١ — ١٣٣٨ هـ / ١٩١٣ — ١٩١٨ م (١٤ جزءا)

٣٤ — ابن كثير (٧٠٠ — ٧٧٤ هـ) عماد الدين أبو الفداء اسماعيل
ابن عمر .

— كتاب البداية والنهاية في التاريخ . طبعة مطبعة المساعدة ،
القاهرة ، ١٩٣٣ م .

- ٣٥ — أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ، جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى •
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة • دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م — ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م (٨ أجزاء)
- ٣٦ — المسمودى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) ، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسمودى •
- التنبية والاعتراف • طه دى غوية ، لندن ، بريل ، ١٨٩٣ م • وطه القلعة ، ١٣٥٧ هـ / ١٨٣٨ م •
- ٣٧ — مروج الذهب ومعادن الجوهر • جزآن ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ وترجمة الى الفرنسية باربييه دى مينار Barbier de Meynard تحت عنوان Prairies d'Or باريس ١٨٦١ — ١٨٧٧ م •
- ٣٨ — ابن مسكويه ، أبو على أحمد بن محمد •
- تجارب الايام وتعاقب الهمم • طه مطبعة المتعدن الصناعية مصر المحمية ، ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م • بالاولفست • ج ٢ (حوادث السنوات من ٣٢٩ — ٣٦٩ هـ) •
- ٣٩ — المقدسى (حوالى ٣٨٧ هـ) شمس الدين أبو عبد الله البشارى — أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم • طبعة لندن ، بريل بالاولفست ١٩٦٨ م (ضمن المجموعة الجغرافية العربية • نشر دى غوية •
- الجزء الثالث من المجموعة) •
- ٤٠ — البقرى (١٠٤١ هـ / ١٦٣٣ م) ، تقى الدين أحمد بن على •
- نفع الطبيب من غصن الأندلس الرطب • طه بولاق ، ١٣٧٩ هـ / ١٨٦٢ م (٤ أجزاء)

٤١ — ابن نباتة (٢٧٤ هـ / ٩٨٤ م) أبو يحيى: عند الرحيم بن محمد بن اسماعيل ابن نباتة الفارقي .

— حيوان الخطب ابن نباتة ، بيروت ، ١٣١١ هـ .

٤٢ — ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) ، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر أبو الفوارس محمد الوردي .

— تاريخ ابن الوردي (تنمة المختصر في أخبار البشر) تحقيق أحمد رفعت البدرأوى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م (الجزء الاول) .

٤٣ — ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي .

— معجم البلدان . ط ١ القاهرة ١٢٣٥ هـ / ١٩٠٨ م (١٠ أجزاء)

وطه الخانجي ، مصر ، ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م ، وطبعة ليزج بشر وستنفلد ١٨٦٦ — ١٨٧٣ م ، ونسخة طه شتوتجارت ، نشرها Schnider Von Oscar Rescher ١٧٧٨ م (٨ أجزاء)

٤٤ — اليعقوبي ، أحمد بن واضح (ت بعد ٢٨٤ هـ / وحوالي ٢٩٢ هـ) — كتاب البلدان (كتب حوالي ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) . ملحق بالاعلاق النفيسة لابن رستة ، ضمن : مجموعة الجغرافية العربية ، طه بريل ، ليدن ، ١٩٦٨ . بالاولفست .

(ب) المراجع العربية الحديثة والعربية :

٤٥ — إبراهيم أحمد العدوي

— دراسات في التاريخ البيزنطي . مقال منشور بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، أكتوبر ، ١٩٤٩ م .

٤٦ — ارشيبالد ، لويس

— القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط
(٥٥٠ — ١١٠٠ م) ، نقله للعربية أحمد محمد عيسى ، راجعه
رستم له محمد شفيق غريال ، القاهرة ١٩٥٦ م .

٤٧ — أحمد السعيد سليمان .

— تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسماء الفلكية ، طه
دار المعارف مصر ، القاهرة ، ١٩٧٢ م (جزآن)

٤٨ — أسعد رستم

— الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم
وصلاتهم بالعرب .

دار المكتوف ، بيروت ، ١٩٥٥ م . (جزآن في مجلدين)

٤٩ — بينز ، نورمان

— الامبراطورية البيزنطية ، تحرير حسين مؤتين ، محمود
يوسف زايد ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .

٥٠ — جاسم الخلف

— محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية
والبشرية طه معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة
١٩٥٩ م .

٥١ — الخانجي ، محمد أمين

— منجم المعرمان في المنتدرك على معجم البلدان . طه
أولى ، القاهرة ، ١٣٣٥ هـ / ١٩٥٧ م .

٥٢ — حسن إبراهيم حسن

— تاريخ الإسلام السيلسي والديني والثقافي والاجتماعي •
دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٥ سابعة ، ١٩٦٤ م •
(٣ أجزاء)

٥٣ — دائرة المعارف الإسلامية • وضع مجموعة من العلماء •
تعريب أحمد زكي خورشيد وآخرون • ط ٥ القاهرة • دار
التشبيح •

٥٤ — زامبازور

— معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي
ترجمة حسن أحمد محمود وسيدة كلثف وآخرون ، طبعة
مطبعة جامعة القاهرة ، (جزآن) •

٥٥ — مساهم الكيالي

— سيف الدولة وعصر الحمدانيين • دار المعارف بمصر ،
١٩٥٩ م •

٥٦ — السيد الباز العريضي

الدولة البيزنطية (٣٣٣ — ١٠٨١ م) • دار النهضة العربية
القاهرة ، ١٩٦٠ م •

٥٧ — صليح دياب

— أرمنية من الفتح الاسلامي حتى مستهل القرن الخامس
الهجري ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨ م •

٥٨ — عبد النعم ماجد

— التاريخ السيلسي للدولة العربية • مكتبة الانجلو المصرية
القاهرة ، ١٩٥٦ / ١٩٥٧ م • (جزآن)

٥٩ — عمر كمال توفيق

— مقدمات المدوان الصليبي — « الامبراطور يوحنا »
 زيمسكيس. وسيسسته الشرقية • الاسكندرية ، ١٩٦٦ م •

٦٠ — غازيليف ، ١٠١٠ •

— العرب والروم • ترجمة محمد عبد الهادي شميرة ، دار
 الفكر العربي ، القاهرة •

٦١ — فتحي عثمان

— الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك العربي
 والاتصال الحضاري طبعة: الجار القومية للطباعة والنشر ،
 القاهرة ، ١٩٦٦ (٣ أجزاء)

٦٢ — فيصل السامر

— الدولة الحمدانية في الموصل وحلب • طه جامعة بغداد
 ١٩٧٣ م ج ١ : في الموصل ، ج ٢ : في حلب (جزءان)

٦٣ — النكيسي ، حمدان عبد الحميد

— عصر الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٣٠ هـ / ٩٠٧ —
 ٩٣٢ م) طبعة جامعة بغداد ، مطبعة النعمان ، النجف ،
 ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م •

٦٤ — لي سترانج ، جاي Lestrang, Guy.

— بلدان الخلافة الشرقية • تعريب بشير فرسيس وكوركيس
 عواد ، نشر المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٤ م

٦٥ — محمد جمال الدين سرور

— تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق • من عهد نفوذ
 الاثراك الى منتصف القرن الخامس الهجري • القاهرة ،
 دار الفكر العربي ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م •

٦٦ - محمد كرد علي

— خطط الشام • طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ،
١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م (٦ أجزاء في ٣ مجلدات)

٦٧ - مختار الهامى باشا : (اللواء المصرى)

— التوقيعات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالمسنين
الافرنكية والقبطية • طه أولى مطبعة بولاق الميرية ،
١٣١١ هـ / ١٨٩٣ - ١٨٩٤ م

٦٨ - مصطفى الشكعة

— سيفة الدولة أو مملكة السيف ودولة الاقلام • نشر عالم
الكتب ، بيروت ، ومكتبة المثنى بالقاهرة ، طه ثانية ،
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م •

ثانيا : المراجع الاجنبية :

1 — Allen, W.E.D.

The History of the Georgian People «from the Beginning to the Russian Conquest in the 19th Century». Introducing by : Sir Denison Ross, London, Kegan Paul, 1932.

2 — Brehier, Louis.

Le Monde Byzantine «Vis et mort de Byzance», A. Michèle, Co., Paris, 1947.

3 — Brooks, E.W.

Arabic Lists of Themes (Journal of Hellenic Studies, Vol. 21, 1901).

4 — Burry, T.B.

History of the later Roman Empire. London, 1931. (2 vols.)

5 — Cambridge Medieval History, Cam. Univ. Press, England, 1918.

6 — Canard, Marins.

Histoire de la Dynastie des Hamanides de Jazira et des Syrie. Alger, 1961 & Paris, 1974 Tome 1.

7 — Canard, M.

Arabes et Bulgares au début du Xème Siècle. (Byzantion, 1936, pp. 213 - 223).

8 — Defremery

Memoires sur la Famille des Sajiites (J. Asiatique, Serie 4, IX 1847 & 4-1848).

- 9 — Dussand :
Topographie Historique de la Syrie Antique et
Medievale, Paris, 1927.
- 10 — Finlay, George
History of Byzantine Empire (716 - 1507 A.D.)
London, 1859, 1865.
- 11 — Finlay, G.
History of the Greece from the Conquest by the
Romans to the Present times (146 B.C. — 1834 A.D.),
Oxford, 1877 (7 vols.)
- 12 — Grousset, René.
Histoire de L'Arménie des Origines à 1071. Payot,
Paris, 1947.
- 13 — Huart :
Sajides. (Encyclopaedia of Islam.)
- 14 — Laurent, J. :
Les Bagratuni Sont en Georgie de la IX Siécle.
- 15 — Laurent, J. :
L'Arménie Entre Byzance et l'Islam, Depuis la Con-
quente Arabe Jusquen en 886. Paris, 1919.
- 16 — Ostrogorowsky, G.
History of Byzantine State (tr. Hussey), Oxford.
1961.
- 17 — Paul, Bourain.
Alep, Autrefois et Aujourd'hui. Alep, 1930.

18 — Runciman, Steven.

The Emperor «Romanus Lecapenus».

19 — Schlumberger, G. :

Un Empereur Byzantine au 10ème Siècle «Nicephore
Phocas». Paris, 1923.

20 — Sourdel, Dominique.

Le Viatrate Abbasside de 749 a 936 (132 A 324 de
l'Hegire). Damas, 1960 Tome : 2.

21 — Sterek :

Art. : Armenia (Ency. of Islam, vol. I, p. 637 etc).

والطبعة العربية مادة «أرمينية» ج ١

23 — Vasiliev, A.A.

History of the Byzantine Empir. Wisconsin, U.S.A.,
1952. & Madison, 1961. (2 vols.).

رقم الايداع بدار الكتب ٨٤/٤٦٤٥

المطبعة التجارية الحديثة
٢٠٢ شارع ادريس راغب - ت ٩٠٣٣٦٤

